

تعريب  
القس يوحنا عطا

[www.christianlib.com](http://www.christianlib.com)

خطابات  
القديس جيروم

مع دراسة عن  
حياته وأعماله

الجزء الأول  
الخطابات من  
٢٢ - ١

٧٤٥١ / انشكيات  
١ / ١٣١  
١٨ / ١٨

# خطابات القديس چيروم الجزء الأول (١-٢٢)

مع دراسة عن حياته وأعماله

ترجمها من اللاتينية

و. هـ فرمانتل

HON. W. H. FREMANTLE, M.A.,

بمعاونة: ج. لويس

REV. G. LEWIS, M.A.,

وأيضاً: و. ج. مارتلي

REV. W. G. MARTLEY, M.A.,

عربها عن الإنجليزية

القس يوحنا عطا محروس



الكتاب: خطابات القديس جيروم، (الجزء الأول) ١-٢٢

مع دراسة عن حياته وأعماله

ترجمه عن اللاتينية: و. هـ فرمانتل

نقله إلى العربية: القس يوحنا عطا محروس

مراجعة عن الإنجليزية: د. يوسف رمسيس

مراجعة لاهوتية: د. جورج فرج

الناشر: مدرسة الإسكندرية

٣ شارع الفاطميين (الدور الأول) متفرع من عمر بن الخطاب - ميدان الإسماعيلية - مصر الجديدة.

البريد الإلكتروني: [administration@asfcs.org](mailto:administration@asfcs.org)

ت: ٠٢٢٤٠٩٨٠٩ / موبايل: ٠١٢٢٨٣٣٧٧٢٢

موقع التواصل الاجتماعي: [asfcs.org](http://asfcs.org)

الموقع الإلكتروني: [www.asfcs.org](http://www.asfcs.org)

الطبعة: الأولى، يناير ٢٠١٨.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠١٧٧/٨٢٨٠٢

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٦٥٩١-٣٠-٧

© حقوق الطبع والنشر والاقتباس محفوظة للناشر



قداسة البابا تواضروس الثاني  
بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية



## فهرس المحتويات

٧.....	القديس جيروم دراسة عن حياته وأعماله.....
٩.....	مقدمة.....
٢٠.....	الخلفية التاريخية.....
٣٣.....	حياة جيروم.....
٣٣.....	الطفولة والشباب.....
٣٤.....	في أكوليليا.....
٣٦.....	في الصحراء (عام ٣٧٤-٣٧٩م).....
٣٨.....	في القسطنطينية.....
٣٩.....	في روما (٣٨٢-٣٨٥م).....
٤٢.....	في بيت لحم.....
٥٨.....	الصراع ضد البيلاجية.....
٦٢.....	أعمال جيروم.....
٦٦.....	تاريخ المخطوطات.....
٦٨.....	كتابات عن جيروم.....
٧٣.....	تقييم لأعمال جيروم ومدى تأثيرها.....
٧٣.....	كتاباته عمومًا.....
٧٣.....	الثقافة العامة.....
٧٤.....	الخطابات.....
٧٥.....	انتشار أعماله.....
٧٦.....	ثقافته.....
٧٧.....	تاريخ الكنيسة.....
٧٨.....	فكره اللاهوتي.....
٩٠.....	شخصية جيروم ومدى تأثيره.....
١٠٧.....	الخطابات.....

خطابات القديس جيروم - الجزء الأول (١-٢٢)

- الخطاب الأول إلى انوسنت (عن المرأة التي ضربت بالسيف سبع مرات)..... ١٠٩
- الخطاب الثاني إلى ثيودوسيوس وباقي النساك الساكنين معه..... ١١٨
- الخطاب الثالث إلى الراهب روفينوس..... ١٢٠
- الخطاب الرابع إلى فلورنيتوس..... ١٢٧
- الخطاب الخامس إلى فلورنتوس..... ١٢٩
- الخطاب السادس إلى يوليان شماس أنطاكية..... ١٣٢
- الخطاب السابع إلى كروماتينوس وجوفينوس ويوسابيوس..... ١٣٤
- الخطاب الثامن إلى نيقياس مساعد شماس في أكويليا..... ١٤١
- الخطاب التاسع إلى كريسوجونس راهب من أكويليا..... ١٤٣
- الخطاب العاشر إلى بولا العجوز من كونكورديا..... ١٤٥
- الخطاب الحادي عشر إلى عذارى إيمونا..... ١٤٩
- الخطاب الثاني عشر إلى الراهب أنطونيوس..... ١٥١
- الخطاب الثالث عشر إلى خالته كاستورينا..... ١٥٣
- الخطاب الرابع عشر إلى الراهب هيلودورس..... ١٥٥
- الخطاب الخامس عشر إلى البابا داماسوس..... ١٧٠
- الخطاب السادس عشر إلى البابا داماسوس..... ١٧٧
- الخطاب السابع عشر إلى الكاهن ماركوس..... ١٨٠
- الخطاب الثامن عشر إلى البابا داماسوس..... ١٨٤
- الجزء الأول..... ١٨٥
- الجزء الثاني..... ٢٠٦
- الخطاب التاسع عشر من داماسوس إلى جيروم..... ٢١٣
- الخطاب العشرون إلى داماسوس..... ٢١٤
- الخطاب الحادي والعشرون إلى البابا داماسوس..... ٢٢١
- الخطاب الثاني والعشرون إلى استوكيوم..... ٢٥٣
- المراجع..... ٣١٧

# القدیس چیروم

دراسة عن حياته وأعماله





## مقدمة<sup>1</sup>

صفرونيوس يوسابيوس هيرونيوس Sophronius Eusabius Hieronymus (جيروم)، هو أحد أعظم المترجمين في الكنيسة اللاتينية وبالتأكيد هو أهمهم على الإطلاق. وهو أيضًا أكثر من تكلم عن نفسه في مؤلفاته، ورغم ذلك فكثير من أحداث حياته وأعماله تاريخها غير مؤكَّد.

بخصوص تحقيق تواريخ جيروم، من الحكمة الرجوع على الأقل إلى أحدث ثلاث دراسات عنه، وهي لكل من:

- Jean Gribomont,<sup>3</sup>
- Pierre Nautin,<sup>4</sup>
- Herald Hagendahl and Hendrik Waszink<sup>5</sup>

ولد جيروم في أسرة مسيحية غنية من الإقطاعيين في بلدة ستريدون Stridon<sup>6</sup> (موقعها بالتحديد غير معلوم) بالقرب من إيمونا Emona. وفي عام ٣٦٠م، ذهب جيروم إلى روما لدراسة البلاغة والخطابة وهناك صار صديقًا لروفينوس<sup>٧</sup> Rufinus. وكان معلّمه هو الخطيب الفصيح إيلْيوس دوناتوس Aelius Donatus. خلال فترة دراسته هذه اقتنى مجموعة معتبرة

---

<sup>1</sup> Hubertus R. Drobner, *The Fathers of the Church: A Comprehensive Introduction*, trans. Siegfried Schatzmann, Translation edition (Baker Academic, 2016), 339-344.

<sup>٢</sup> باليونانية: Ἱερόνυμος أي القديس ايرونيوس أو هيرونيوس. ويدعى اسمه في الشرق باليونانية Ο Άγιος.

<sup>3</sup> J. Quasten, *Patrology* (4 Vols.; Westminster, Md.: Christian Classics, 1984-1988), 4:212-18, and J. Gribomont, *EECh* 1:430f.

<sup>4</sup> P. Nautin, *TRE* 15:304-15.

<sup>5</sup> H. Hagendahl and J. H. Waszink, *RAC* 15:117-39.

<sup>٦</sup> ولذلك يسمي جيروم الستريدوني وبالإنجليزية: Jerome of Stridon.  
<sup>٧</sup> روفينوس Rufinus: ترجم أعمال أوريجانوس، وترجع أهميته إلى أن معظم أعمال أوريجانوس الكبرى وصلت إلينا من ترجمات روفينوس له.

من كتب الكلاسيكيات اللاتينية، وتمكن من ناصية اللغة والأدب اللاتيني، الأمر الذي كان له بالغ الأثر في تشكيل كتاباته وحياته، على الرغم من أنه في النهاية رأى أن الولع بكتابات شيشرون لا يتناسب مع المسيحية. ولقد أمدنا هو نفسه بلمحة ألفت الضوء على أسلوب حياته في تلك الفترة، فعلى الرغم من أنه لم يكن قد اعتمد بعد إلا إنه قال: "بينما كنت فتى أعيش في روما وأدرس الأساليب البلاغية اعتدت أن أذهب أيام الآحاد ضمن جماعة لهم نفس العمر وذات الهدف، إلى أضرحة الرسل والشهداء ونزل باستمرار إلى السراديب المحفورة عميقاً تحت الأرض حيث تحيط بنا من كل جانب الجثامين المدفونة في الحوائط." (Commentariorum in Ezechielem libri XVI 12.50.5, 13.243-254).

أصبح هو وروفينوس على صلة بالجماعات النسكية في روما وشعر بميل شديد إلى مبادئ الحياة النسكية. ففي حين أن روفينوس بدأ على الفور في ممارستها إبان عودته إلى أكويليا Aquileia، نجد أن جيروم، بعد أن تعمد وهو لا يزال في روما، في البداية بدأ أنه كان يطمح في وظيفة (٣٦٧/٣٦٨م) في تيرير Trier، مقر الإمبراطورية في الغال. حكى أغسطس في اعترافاته (8.6.15) عن اثنتين من ذوي المناصب الرفيعة في ترير، اللذان بينما يتجولان في الأجوار<sup>٨</sup> مرّاً ببيت يقطن فيه رهبان وهناك وجدا كتاب 'حياة أنطونيوس'<sup>٩</sup> أب الرهبنة المصري. وسرعان ما فتنا به واعتزلا عن منصيهما في البلاط. حتى لو لم نتفق مع بيير كورسيللي Pierre Courcelle الذي

<sup>٨</sup> ربما الأجورا *agora* أي الساحات.

<sup>٩</sup> كتبه اثناسيوس [٣٥٨/٣٥٧] عقب نياحة أنطونيوس بفترة وجيزة في ٣٥٦/٣٥٥م وترجمها إيفاجريوس الأنطاكي إلى اللاتينية قبل عام ٣٧٥م.

استنتج أن هذَيْن الاثْنَيْنِ هما جيروم وبونوسيس Bonosus،<sup>10</sup> إلا أن المشهد يصف الأجواء التي سرعان ما قرر فيها جيروم التخلي (٣٧٠م) عن المستقبل الدنيوي ليحيا حياة النسك والدراسة في مسقط رأسه وفي جماعة روفينوس صديقه في أكوليا. وربما يكون هذا قريب الشبه من بعض الجماعات التي التقت حول أغسطينوس في كاسيكياكوم Cassiciacum وتاجست Tagaste بعد ذلك بفترة.

تفرقت الجماعة في أكوليا، وقصد كل من جيروم وروفينوس الشرق حيث منشأ الرهبنة. روفينوس أتى إلى مصر (٣٧٣م)، وجيروم (هل في ٣٧١م؟) ذهب إلى أنطاكية عبر القسطنطينية. وهناك استقبله إيفاجريوس Evagrius، الذي صار فيما بعد أسقفاً على الأرثوذكس المتمسكين بإيمان نيقية في أنطاكية. وقضى بعض الوقت متوحداً في صحراء بالقرب من خالكيز<sup>11</sup> Chalcis شرق سوريا ولكنه رجع بعد ذلك إلى أنطاكية. والفترة التي قضاها في أنطاكية، والتي استمرت حتى ٣٨٠/٣٧٩م، بالتأكيد هي ما حددت منهج حياته. واكتسب مهارات جيدة في اليونانية والعبرية اللتين كانتا حجر الأساس لترجماته اللاحقة. لقد بدأ يقرأ الكتاب المقدس بنهم، القراءة التي لم تكن تستهويه فيما سبق، مثل أغسطينوس، وذلك بسبب أسلوبه غير المصقول، واستمع إلى الشروحات الكتابية (هل في ٣٧٧م؟) التي قالها أبولليناريوس Apollinarius من لاودكية Laodocia، والتي أصبحت أساساً لدراساته النصية وتفسيرها اللاحقة. إن تحوله من الحماس والولع بالكلاسيكيات إلى اللهج في الكتاب المقدس كان بواسطة مصاب جلل

<sup>10</sup> P. Courcelle, *Recherches sur les Confessions de saint Augustin* (Paris: E. de Boccard, 1950), 181-87.

<sup>11</sup> ناقش Nautin تاريخ رسائل جيروم ذات الصلة بهذا الموضوع، وتقريباً حدّد مكان وزمان إقامة جيروم عند أطراف صحراء مارونيا Maronia والتي تبعد ٣١ ميلاً عن أنطاكية في ٣٧٩/٣٧٨م.

حدث في حياته، كما حكي هو بنفسه عن حمه شهير. فقد حلم أنه واقف أمام كرسي الدينونة وسمع الحكم الإلهي: "أنت شيشروني ولست مسيحياً، فحيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً (مت ٦: ٢١)." (خطاب ٢٢، ٣٠). ومع ذلك فمن خلال تحليل أعماله نجد أن التأثر بالكلاسيكيات لم يفارقه أبداً، حتى لو كان يتراجع للخلف أمام المسيحية.

بدأ جيروم في دراسة كتابات أوريجانوس، الأعمال الذي قام بترجمتها إلى اللاتينية، وربما كان هذا في المكتبة التي تركها يوستاثيوس Eustathius خلفه. ومثل مضيفه إيفاجريوس انضم إلى الجماعة الأرثوذكسية المتمسكة بإيمان نيقية، وفيها قبل أن يرسم قساً على يد بولينوس Paulinus شريطة ألا يتخلى عن حياته الرهبانية، وهنا أيضاً بدأت تظهر إسهاماته الأدبية. ومن المؤكد أنه كتب أول سيرة رهبانية في الأدب المسيحي خلال هذه الفترة وهي حياة بولا Vita of Paul المتوحد المصري، وربما يكون قد قام بأول ترجمات (بحسب رأي Nautin) لأعمال أوريجانوس (عظات على أسفار إشعياء وإرميا وحزقيال). ولكن بعض الدارسون حددوا تاريخ هذه الترجمات المبكرة فقط في الفترة التالية في القسطنطينية، بتشجيع من غريغوريوس النيزيني. ثم ارتحل مع أسقف بولينوس إلى القسطنطينية في عام ٣٧٩م أو ٣٨٠م، حيث أراد بولينوس أن يحصل على اعترافاً به كأسقف أنطاكية الشرعي من ثيودوسيوس، الامبراطور النيقاوي الجديد. ومع أن هذه المحاولة قد باءت بالفشل لاعتراض الامبراطور ومجمع القسطنطينية (٣٨١م) بميليتوس Meletius أسقفاً على أنطاكية، إلا أن جيروم قد بدأ يتواصل مع الآباء الكبادوك؛ غريغوريوس النيزيني بطريك القسطنطينية، وغريغوريوس النيصي، وأمفيلوكيوس من أيقونية Amphilocheus، وهناك استكمل أعمال الترجمة. وعلى أية حال، ففي القسطنطينية قام بترجمة كتاب تاريخ الكنيسة ليوسابيوس Eusebius والإضافة عليه وذلك نحو عام ٣٨٧م،

والعمل استمر تأثيره حتى إلى العصور الوسطى.

حينما تنحى غريغوريوس النيزيزي عن كرسي القسطنطينية عاد بولينوس وچيروم إلى أنطاكية، ولم يتوقفا عن محاولات الحصول على الاعتراف بجماعتهم الأرثوذكسية المتمسكة بإيمان نيقية. وفي ربيع عام ٣٨٢م سافرا سوياً برفقة أيبفانيوس أسقف سلاميس إلى روما، وكان چيروم هو من يقوم بالترجمة لهم. وعلى الرغم من اعتراف مجمع عُقَدَ في روما عام ٣٨٢م، بمشاركة أمبروسيوس أسقف ميلان، ببولينوس كالأسقف الشرعي الوحيد لأنطاكية، إلا أن هذا القرار لم يجد له أي صدى في الشرق. بقي أيبفانيوس وچيروم مع باولا ومارسيللا الأرملةين واستوكيوم ابنة باولا اللاتي حولن بيوتهن إلى أديرة، مثل أم باسيلوس وغريغوريوس النيصي وأختهما، الأبوان الكبادوكيان العظيمان. بالنسبة إلى چيروم فهذا كان يعني العودة إلى الجماعات النسكية التي كان على تواصل معها منذ دراسته مع الاستمرار في سعيه الخاص. هاتان الأرملةتان كانتا نبيلتين وثريتين وعلى قدر كبير من التعليم. حتى أن مارسيللا تعلّمت العبرية كي تتمكن من دراسة الكتاب المقدس بنصوه الأصلية. وحينما عادا بولينوس وأيبفانيوس إلى الشرق صيف عام ٣٨٣م، ظل چيروم في روما، كما قال هو بنفسه، حيث صار مستشاراً للبابا داماسوس Damasus (خطاب ١٢٣. ٩). ولقد شكك Nautin في دقة هذه المعلومة، لكن سيرة عن چيروم كُتبت في القرن الثاني عشر وصفته بأنه كاردينال cardinal، كما أن الرسومات المتأخرة أيضاً تصوّره كذلك.

بعد نياحة داماسوس، داعمه وحاميه، في ١١ ديسمبر عام ٣٨٤م، أمل چيروم في أن يصبح خليفته (خطاب ٤٥. ٣). ولكن أختير سيريكوس Siricius، ذلك لأن چيروم بسبب شدة نسكياته ونقده اللاذع للسليبيات الأخلاقية والروحية خلق لنفسه أعداءً كثر في المدينة. "لقد كان چيروم

بطبعه مُتهكِّم، أما بخصوص فطنته، وقوة ملاحظته، وبلاغة لسانه، ولكن أيضاً مع عنفه وشدته، فلم يكن هناك من يضاويه في هذا القرن العاصف.<sup>١٢</sup> وهنا ظهرت طباعه الشخصية لأول مرة، ووضحت بالأكثر بعد ذلك في أثناء نزاعه مع روفينوس وأغسطينوس وآخرين. كان هجومه حاداً، إلا أنه كان حساساً سريع التأثير. في روما عومل معاملة سيئة حتى اضطر إلى مغادرة المدينة، بلغ الأمر إلى أن الشكوك تصاعدت حول طبيعة علاقته بالنساء داخل جماعته النسكية. في أغسطس عام ٣٨٥م أبحر من أوستيا Ostia إلى أورشليم، وتبعته باولا واستوكيوم ابنتها مع آخرين والتقوا في ريجيو دي كالابريا Riggio di Calabria. ومن هناك سافروا عبر قبرص وأنطاكية حتى وصلوا أوروشليم أواخر عام ٣٨٥م، ولكن سرعان ما ارتحلوا مرة أخرى إلى مصر لزيارة تجمعات الأديرة وديديموس الخبير بكتابات أوريجانوس في الإسكندرية. في ربيع عام ٣٨٦م رجعوا إلى فلسطين ليستقروا في بيت لحم وهناك أسسوا ديراً وثلاثة بيوتٍ للعداري.

في الأعوام التالية، استغل جيروم مكتبات أوريجانوس ويوسابيوس في قيصرية فلسطين الاستغلال الأمثل وكَرَس نفسه للكتابة بجد مضمي. أصدر جيروم، مع كتابات أخرى، ترجمات للكتاب المقدس، وتفاسير لرسالة بولس الرسول إلى فليمون، وغلاطية، وأفسس، وتيطس، ولسفر الجامعة، وميخا، وصفنيا، وناحوم، وحبقوق، وحجي، ويونان، وعوبديا، إضافة إلى ترجمات كتاب الروح القدس De Spiritu Sancto لديديموس، وكتاب عظات على إنجيل لوقا لأوريجانوس، وكتاب مشاهير الرجال De viris illustribus. وفي سبتمبر عام ٣٩٣م، بعد الاحتفال بتكريس كنيسة في أورشليم، وجد جيروم نفسه متورطاً في نزاع بين أيبفانيوس أسقف

<sup>12</sup> H. Hagendahl: Gn 40 (1968), 582.

سلاميس ويوحنا أسقف أورشليم حول تعاليم أوريجانوس. ولقد اختار جانب أيبفانيوس الذي كان لصيقًا له منذ سنوات، بينما وقف صديقه روفينوس في المعسكر الآخر مع يوحنا الأسقف. لم يكن هذا فقط هو بداية لنزاع استمر سنوات عدة، لكن جيروم أيضًا أصبح متورطًا أيضًا في موقف كنسي صعب. فبدون سماح من يوحنا الأسقف الذي كان دير بيت لحم يقع تحت نطاق سلطته تمت رسامة أخو جيروم شماسًا بيد أيبفانيوس أسقف سلاميس. وتبعًا لذلك، حرم يوحنا هذا الدير من شركته. ودافع جيروم عن نفسه في مقال 'ضد يوحنا الأورشليمي' *Adversus Joannem Hierosolymitanum* والتمس مساندة البابا ثيوفيلس الإسكندري. وبعد جهود مشتركة حثيثة أعاد يوحنا الشركة أخيرًا مع جيروم يوم الخميس الكبير من البسخة عام ٣٩٧م. وفي نفس الوقت اصطلح جيروم مع روفينوس مرة أخرى. لا نستطيع أن نجزم في مسألة هل كان للاستقطاب في النزاع حول أوريجانوس الأثر الأكبر على جيروم الأمر الذي أدى إلى جعله يغيّر رأيه فيه. فلقد مدح وترجم كتاباته قبل وبعد. قد يكون الدافع إلى وقوفه بجانب أيبفانيوس في ذلك النزاع شخصي، والنزاع ضد روفينوس لم يكن في الأساس بسبب تعاليم أوريجانوس بل كان حول مدى دقة ترجمة كتاب المبادئ الأساسية *De principiis* لأوريجانوس وهو الفتيل الذي أشعل الأزمة التالية بينهما عام ٣٩٧م.

علاقات جيروم ببعض الأساقفة العظام في عصره قابلت بعض التوتر أيضًا. اقتبس أمبروسوس في كتابه 'الروح القدس' *De Spiritu Sancto* من كتاب يحمل نفس الاسم لديديموس، وفي تفسيره لإنجيل لوقا اقتبس من عظات أوريجانوس دون ذكر، فترجم جيروم كلا الكتابين إلى اللاتينية بغرض فضح هذه الاقتباسات. لا يمكن التيقن من أن هدفه كان انتقاميًا بسبب الضغينة وذلك لأن أمبروسوس لم يدعم جيروم أو بولينوس في مجمع



روما عام ٣٨٢م. المراسلات مع أغسطينوس في الفترة ما بين ٤٠٠م و٤٠٤م صارت صعبة، وأثناء النزاع حول الأوريجانية بين البابا ثيوفيلس الإسكندري ويوحنا ذهبي الفم، ترجم عدة خطابات للبابا ثيوفيلس إلى اللاتينية.

الأعوام من ٤٠٣م إلى ٤٠٥م تمثل توقفاً لحياة جيروم، فخلال هذه الفترة لم يكن منشغلاً بالأعمال الأدبية وذلك لوفاة باولا في ٢٦ يناير ٤٠٤م، بعد صراع طويل مع المرض. وبعد ذلك واصل كتابة التفاسير لأسفار زكريا، وملاخي، وهوشع، ويوثيل، وعاموس (٤٠٦م)، ودانيال (٤٠٧م)، وإشعيا (٤٠٩/٤٠٨م)، وحزقيال (٤١١-٤١٤م أو ٤١٢-٤١٥م)، وإرميا (بدأه في ٤١٥م). اجتياح الاريك Alaric لروما في ٢٤ أغسطس ٤١٠م والجموع الغفيرة من النازحين إلى فلسطين أوقفت انتاجه للمرة الثانية. في شتاء عام ٤١٥/٤١٦م كتب مقال 'ضد البيلاجيين' Adversus Pelagianos الذي هيا لهم يوحنا أسقف أورشليم ملاذاً عنده.

تنيح جيروم في ٣٠ سبتمبر ٤١٩م أو ٤٢٠م. وتعيّد له الكنيسة الغربية منذ عام ١٢٩٥م، مع أمبروسيوس، وأغسطينوس، وجريجوري<sup>١٣</sup> الكبير كواحد من "الآباء الأربعة الغربيين العظام". وعادة الرسام يفضلون تصويره وهو في مكتبته وأسفل قدميه أسد جالس (واشهرها رسم محفور بواسطة Albrecht Durer). المكتبة تُظهر دراساته أثناء حياته الرهبانية، والأسد لوجود سيرة له من القرن التاسع تقول إنه أخرج شوكة من قدم أسد ظل يلازمه كعرفان بالجميل. وهي قصة مأثورة تنتقل من شخص لآخر، ففي تاريخ لاحق ذكرت هذه القصة على هنري الأسد Henry the Lion (١١٤٢-١١٨٠م) دوق مقاطعة

<sup>١٣</sup> هو غريغوريوس الكبير وهو من الآباء اللاتين وكان بابا روما، وهو بخلاف القديسين غريغوريوس النيزيني أو النيصي، تنيح عام ٦٠٤م.

ساكسونيا وبافاريا.

بخصوص تقويم الشهداء المنسوب لـ *Martyrologium Hieronymianum* فهو يُعد قائمة عالمية هامة للشهداء والقديسين لكل يوم من أيام السنة وهو ليس من كتابة جيروم إلا أنه تجميع لثلاثة تقويمات للشهداء من شمال إيطاليا (هل بجوار أكويليا؟) وتاريخه يرجع لما بين ٤٣١م و٤٥٠م.

تكمن أهمية القديس جيروم في الحقائق الآتية:

- هو صاحب الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس المسماة بالفولجاتا.
- هو الفاعل الرئيس في دخول الحياة الرهبانية إلى أوروبا الغربية.
- كتاباته تعرض لنا صورًا من الحياة العامة والكنسية في عصره أكثر من أي كتابات آباء الكنيسة الأخرى.
- الحقبة التي عاشها كانت ذات أهمية خاصة، وهي الحقبة الأخيرة للحضارة اليونانية - الرومانية وبداية عالم مختلف متغير، فقد عاصر كلاً من يوليانيوس (٣٦١-٣٦٣م)، وفالانس (٣٦٤-٣٧٨م)، وفالنتيان (٣٦٤-٣٧٥م)، وجراتيان (٣٧٥-٣٨٣م)، وثيودوسيوس (٣٧٩-٣٩٥م) وأبناءه. وهو أيضًا عصر التمكين النهائي للمسيحية الأرثوذكسية داخل الإمبراطورية الرومانية، واجتياح روما بواسطة الأريك عام ٤١٠م.
- عصره كان عصر الآباء العظام؛ أمبروسيوس وأغسطينوس في الغرب، وباسيليوس وإغريغوريوس وذهبي الفم في الشرق، وقد كان جيروم على اتصال شخصي بالعديد من هؤلاء. وقد تكلم كثيرًا في كتاباته عن أمبروسيوس. Apol. i. 2, iii. 14, in this series Vol. iii., pp.

484 and 526; also this Vol.. pp. 74 and 496, Pref. to Origen and S. Luke; and the Pref. to Didymus on the Holy Spirit, quoted in Rufinus' Apology, ii. 24, 43, Vol. iii. of this series, pp. 470 and 480; also On Illust. Men, c. 124, .Vol. iii. 383

▪ عمل مخاطبات مهمة مع أغسطينوس (انظر الفهرست)، ودرس عند قدي غريغوريوس الزينزي ( . Vol. iii. 382, 117) وفي أيام مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م. كان على علاقة بغريغوريوس أسقف نيصص ( , 128, c. Illust. Men, Vol. iii. 338)، وترجم حرومات البابا ثيوفيلوس السكندري ليوحنا ذهبي الفم (215, 214).

▪ يعد واحدًا من الأعمدة الأربعة للعقيدة في الكنيسة اللاتينية، وتأثيره هو الأكثر امتدادًا، فبالرغم من أنه ليس مفكرًا مبدعًا كأغسطينوس ولا بطل مثل أمبروسيوس ولا مدبرًا ومبشرًا بالمسيحية مثل غريغوريوس، إلا أن تأثيره فاق تأثيرهم جميعًا؛ وذلك لأن تأثيرهم في العصور الوسطى كان على نطاق ضيق نسبيًا، أما هو فلمؤسسات الرهبانية التي أنشأها، وفكرة تكريم رفات القديسين وزيارة الأماكن المقدسة التي دافع عنها، وإظهاره للتمايز بين الكراسي الأسقفية وسلطاتها صارت من الملامح الرئيسية الكنيسة طيلة ألف عام. هذا بالإضافة إلى أن ترجمة الفولجاتا التي أنتجها كانت بمثابة الكتاب المقدس الرسمي للمسيحية الغربية حتى وقت الانشقاق البروتستانتي.

▪ في نظر اللاهوتيين كانت أهميته في أنه نقل وسجل مستشهدًا بأقوال الآباء أكثر مما كتبه هو بنفسه في اللاهوت. أما بالنسبة لإسهاماته في

القديس جيروم، دراسة عن حياته وأعماله

التاريخ، فصوره الحية عن الأشخاص والأحداث بالرغم من العصر  
المظلم الذي مر به العالم آنذاك، جعل لكتاباته أهمية لا تقدر بثمن.

## الخلفية التاريخية

من المستحسن أن نبدأ المقدمة بسرد بعض المواقف والأحداث التاريخية التي عاصرها القديس جيروم. فيجب ألا نبعد التاريخ الكنسي أو نفضله عن الأحداث العامة.

وُلد جيروم في فترة عصيبة وهي التي جاءت بعد وفاة الإمبراطور قسطنطين (٣٣٧م) وقبل أن يصبح قسطنطيوس إمبراطورًا أوحد للشرق والغرب معًا (٣٥٣م). كان طالبًا في عصر الملك يوليانيوس (٣٦١-٣٦٣م) حتى سماع خبر موته. خلال فترة تعليمه في روما كان جوفنيان وفالنتيان أباطرة، وفي تريف Treves، حيث أقام فيها بعد مغادرته روما، بنى الإمبراطور فالنتيان قصره الإمبراطوري. في خطابه الأول أشار إلى الحدث الذي كان لأمبروسيوس، الذي كان حينها حاكم ليجوريا Liguria، دوراً فيه (٣٧٠م). وأثناء مكوثه في أكويليا Aquileia صدرت قوانين فالنتيان التي تمنع توريث الإكليروس (٣٧٠م). ذهب إلى الشرق في سنة وفاة البابا أثناسيوس (٣٧٣م) وخلال فترة إقامته في الصحراء وأنطاكية (٣٧٤-٣٨٠م) مات فالنتيان، وهُزم أخوه فالنس ومات في معركة أدريانوبل Adrianople، واعتلى ثيودوسيوس العرش، ودعا غريغوريوس النزيني لمجمع القسطنطينية.

رُسم كاهنًا بواسطة باولينوس أحد أساقفة أنطاكية الثلاثة، ودرس علي يد أبوليناريوس، وبذلك تلامس مع السببين الرئيسين لانعقاد مجمع القسطنطينية (٣٨١م). وفي هذا المجمع من المرجح أنه كان حاضرًا لأنه في هذا الوقت كان تلميذًا، كما ذكرنا أعلاه، لرئيس المجمع غريغوريوس النزيني. وكان حاضرًا أيضًا في المجمع الغربي الذي عقد تحت رعاية البابا داماسوس في روما بعده بعام وأصبح مستشاره الأمين.

في أواخر حياته استقر في بيت لحم (٣٨٦-٤٢٠م) وعاصر انقسام الإمبراطورية بين أبناء الإمبراطور ثيودوسيوس، وسقوط زوفينوس الوالي الذي شَهَّر بجيروم، ونصرة ستيليكو ثم موته (الذي فرح به قليلاً)، واجتياح الاريك لروما (٤١٠م) ثم موته، وتمرد هيرقليان، وزواج خليفه الاريك المدعو أدولفوس بأخت الإمبراطور التي تدعى جالابلاسيديا، وموت أركاديوس (٤٠٨م).

من الناحية الكنسية عاصر ذهبي الفم واعتلاء الكرسي (٣٩٨م)، ثم نفيه (٤٠٣م)، وموته (٤٠٧م)، وإدانة التعاليم الأوريجانية (٤٠٠م)، والصراع السيلاجي (٤١٥م)، وسنعطي الآن لمحة بسيطة عن هذه الفترة:

الإمبراطور قسطنطيوس، كما قال عنه المؤرخ جيبون "كان منبوءاً لأنه ورث عن أبيه العيوب دون المميزات". مات في كيليكية Cilicia ٣ نوفمبر عام ٣٦١م، وفي شبابه لطح يده بدم تسعة من أقرب أقربائه، ومن صغره صار تحت سيطرة خصيان القصر. ولم يفعل الكثير للدفاع عن الإمبراطورية. أما من الناحية الكنسية فقد شجع الفكر الأريوسي وعاقب الأساقفة الأرثوذكسين أصحاب الكراسي الرئيسية، ولم يسلم أثناسيوس من الكراهية الشديدة التي كَنَّها له.

بسبب غيرته من ابن عمه يوليانوس الذي ذاع صيت عدالته وقوة حكمه وانتصاراته على قبائل الجرمان، تصرف تصرفات أغضبت أقاليم الغال مما جعلهم ينضمون تحت لواء يوليانوس الذي قدم عروضاً للسلام ولكن رفضها قسطنطيوس، فقام بالزحف سريعاً بجيوشه نحو القسطنطينية مما جعل قسطنطيوس يترك الحرب مع الفرس التي كان منشغلاً فيها متجهاً نحو الغرب لملاقاته. ولكن وافته المنية ونجا العالم من حرب أهلية.

تعاضم يوليانوس وفرح بتنصيبه كل من كانوا يشعرون بأنهم في حاجة إلى

حاكم قوي، وأولى تدابيرها كانت العدانة وتسمح. وأعاد من المنفي كل الأساقفة الذين نفاهم قسطنطينوس. وكانت حياته الخاصة مستقيمة، وحبته للتعلم قربه من بعض أفضل رعاياه.

ولكن ازدياده للمسيحية جعلته أول الأمر ضيق الصدر بالمسيحيين ثم مضطهدًا شرسًا، فمنع المسيحيين، أو الجليليين كما كان يسميهم، أن يعلّموا في المدارس أو أن يتبوأوا وظائف عليا خاصة بالمعلمين. وأعاد الوثنية ولكن لوحظ أنها وثنية عليها بعض التأثيرات المسيحية، ودعّم اليهود وأراد لهم أن يعيدوا بناء الهيكل في أورشليم. ومن الصعب إيجاد أي نتائج لسياسة الارتداد عن المسيحية التي تبناها. ومات في اشتباكات خلال الحرب مع الفرس (٢٦ يونيو عام ٣٦٣ م).

جوفيان الذي خلف يوليانوس كان مسيحيًا، واختياره أظهر أن سياسة يوليانوس التي هي الارتداد عن المسيحية لم يأت بأي نتيجة. وقد أعلن جوفيان مرسوم التسامح الديني ولكنه مات قبل أن يصل إلى القسطنطينية بعد ستة أشهر فقط من تنصيبه.

فالتنتيان - خلفه - كان مسيحيًا أرثوذكسيًا، أمّا أخوه الذي كان مرتبطًا به، فالنس، كان أريوسيًا. بنى فالتنتيان قصره في تريف ونجح في صد هجمات البربر. وذهب جيروم عام ٣٦٦ م إلى تريف لفترة قصيرة وهناك وصف العادات الغريبة التي رآها عند القبائل هناك (Against Jovinian, ii. 7, p. 394). وأعلن الإمبراطوران مرسوم التسامح الديني الذي وصل إلى حد أنهم أقاموا الاحتفالات الإلوزينية الوطنية. ولكن القسوة في التعامل والتحري عن كل ما يظن أنه درب من دروب السحر كان له تأثير في تأخر التعليم.

إن إنشائهم للمدارس بالإضافة إلى إرسالهم الأطباء للمواطنين الفقراء قد

أظهر أن بصيص النور والأمل في تقدم المستوي الاجتماعي لم يخفت. أما حالة المجتمع في روما وباقي المدن الكبرى كما وصفه في ذلك الوقت أمانوس مارسليينوس ( See Gibbon, iv. 77. Ed. ) cxiv. 6, xxviii. 4. (Milman & Smith) تكشف لنا أسباب سقوط روما.

في عصر فالنتينيان وقعت كثير من الأحداث الكنسية ذات أهمية كبرى ومنها: رسامة البابا داماسوس لكرسي روما ٣٦٦م. فعندما امتلأت المدينة بالأحزاب المتنافسة لكل من داماسوس وأورسينوس، اقتحمت الكنائس وتكدست بالقتلى، الأمر الذي يظهر المدى الذي وصلت إليه أهمية كرسي روما. ففي ذات مرة قال بريتكستاتوس الوثني للبابا داماسوس عندما حوّل أن يقوده للإيمان: "لو نصبتني بطيركا ربما أصبح مسيحياً". نرى أيضاً أن قوانين حظر التورث للإكليروس التي أقرها فالنتينيان تظهر مدى نثرء وانحطاط الأخلاق الذي كانوا فيه. إلا أن هذا العصر أثمر بعض من أعضء الأساقفة والقادة الذين عرفتهم الكنيسة، مثل أثناسيوس الذي مات في ٣٧٣م وأمبروسيوس الذي أصبح أسقف ميلان سنة ٣٧٤م وباسيليوس الذي أصبح أسقف قيصرية في كبادوكية من ٣٧٠ - ٣٧٩م.

في غضون ذلك كان حكم فالنس في الشرق فاشلاً، وانتهى بكارثة عظيمة وهي أن قبائل القوطيين الغربيين Visigoths والقوطيين الشرقيين Ostrogoths بسبب الضغط من المغول Huns توسلوا إلى الإمبراطور لكي يأذن لهم بعبور نهر الدانوب من إقامتهم في داسيا، ويسمح لهم بالإقامة والزراعة في أراضي تراسا وآسيا الصغرى غير المأهولة. وعلى الرغم بالسماح لهم بهذا، إلا أنهم عوملوا معاملة سيئة وتم التحايل عليهم ولكن في النهاية أخذوا حقهم بالقوة، وذبحوا الإمبراطور عندما هاجمهم بالقرب من أدريانوبوليس ودمروا جيشه (٣٧٨م). وهكذا أصبح القوطيون قوة عظمى داخل الإمبراطورية.



دُمِّرَتْ ستريدون مسقط رأس جيروم قبل عام من مقتل الإمبراطور فالنس ٣٧٧م. وتوفي فالنتينيان عام ٣٧٥م تاركًا ابنين؛ جراتيان شاب في الثامنة عشرة ولكن مصقول الشخصية والذي أصبح إمبراطور الغال والغرب، وفالنتينيان الثاني كان طفلاً وإمبراطورًا بالاسم فقط لإيطاليا والمقاطعات الوسطى. واستقر هو وأمه يوستينا في ميلان.

اكتسب جراتيان شهرة بسبب حملاته العديدة التي كان يقودها ضد قبائل الجرمان خلف نهر الراين. وبعد موت عمه فالنس، نصَّب ثيودوسيوس إمبراطورًا على الشرق، ولكنه بعد ذلك استسلم للكسل واللهو العبيثي. وفي ٣٨٣م قُتِلَ على يد أتباع ماكسيموس المغتصب العرش.

ثيودوسيوس ابن القائد ثيودوسيوس الكبير الذي استعاد بريطانيا وأفريقيا للإمبراطورية ولكن بسبب تهمة زور من أعدائه، تم إعدامه في قرطاج. ثيودوسيوس الابن هذا دُعي للإمبراطورية بعد أن كان قد تقاعد في أسبانيا. وأظهر نفسه كحاكم قوي وعظيم ظل يلاحق القوطيين حتى طردهم تدريجيًا. وهزم ماكسيموس المغتصب (٣٨٣م). وعند موت فالنتينيان الصغير (٣٩٢م) حارب المغتصب أفجينوس وأصبح إمبراطورًا أوحَدَ سنة ٣٩٤م في السنة التي قبيل وفاته. أصلح القوانين وأصدر المرسوم الثيودوسي، وفي عهده انتهت الوثنية وقُدِّمَ اقتراح لمجلس الشيوخ الروماني للتصويت على إقرار الديانة المسيحية كديانة رسمية ونبذ الوثنية، وهدم المعابد - كان هدم معبد السيرابيوم في الإسكندرية عام ٣٨٩م من أهم نتائج هذا القرار - ودعّم أمبروسيوس في مجهوداته الكبيرة لدحض الوثنية.

برغم كونه صديقًا حميمًا للإمبراطورة يوستينا التي كانت أريوسية هي وابنها فالنتينيان الثاني، إلا أنه لم يوافق على طلبهما بالتساهل مع الأريوسية في ميلان والتي كان يحاربها أمبروسيوس، وقضى على الأريوسية في كافة أرجاء الإمبراطورية.

دعا إلى عقد مجمع في القسطنطينية لكي يقضي على النزاعات العقيدية التي نشأت بسبب تعاليم أبوليناريوس أسقف اللاذقية بسوريا، الذي نادى بأن لاهوت الكلمة حل محل الروح البشرية في المسيح، وأيضًا النزاعات على كرسي أنطاكية، بسبب تنافس فيتالس الأريوسي، والأسقف ميليتوس المؤمن بالثالوث ولكن تم تنصيبه من قبل الأريوسيين، والأسقف باولينوس بطل الأرثوذكسية الصلب في الغرب على كرسي أنطاكية، وقد انعقد هذا المجمع في سنة ٣٨١م. وكان غريغوريوس النزينزي رئيسًا لهذا المجمع الذي وصل إلى القسطنطينية سنة ٣٧٩م. وبفضل حكمته وقدراته الأخرى العظيمة وأيضًا دعم الإمبراطور ثيودوسيوس، نجح في الارتقاء من كاهن في كنيسة واحدة؛ كنيسة القيامة، إلى الكرسي الأسقفي. ولكن وفد الأساقفة المصريين اعترضوا عليه، وعبثًا حاولوا الدفع بمكسيموس السيني ليحل محله. لم ينجح المجمع في حل النزاع القائم في أنطاكية ولكنه أقر قوانين مجمع نيقية وأضاف عليه كل ما جاء بعد "نؤمن بالروح القدس".

المجمع المنعقد في روما العام التالي ٣٨٢م والذي حضره جيروم مع إيفانيوس أسقف قبرص وباولينوس أسقف أنطاكية عارض ما حدث في مجمع القسطنطينية حول ما تم بشأن كرسي أنطاكية، ولكنه وافق على الصيغة الإيمانية التي أقرها.

بعد المجمع مباشرة تحلى القديس غريغوريوس عن أسقفية القسطنطينية،<sup>١٤</sup> وفي ذلك الوقت أيضًا تنيح البابا داماسوس أسقف روما سنة ٣٨٤م.

<sup>١٤</sup> وذلك لأنه كان مرسومًا على كرسي سازيما مما جعل الأساقفة المصريين يعترضون عليه لمخالفة ذلك لقوانين مجمع نيقية (م).

كان ثيودوسيوس مثل الملك هنري ثني منك إنجلترا؛ سريعًا إلى استخدام العنف، فعندما قام أهل أنصاكية بتمرد عام ٣٨٧م وحطموا تماثيل الملك، أعطي أوامره أن تُدمر المدينة وخُفِّضت مكنتها إلى قرية. إن الحكم الذي تمَّ قد مُنِع تنفيذه من قبل توسلات حاكم المدينة وأسقفها يوحنا ذهبي الفم. وعندما قامت ثورة مماثلة في تسالونيكى سنة ٣٩٠م لم يستطيعوا تهدئته، فأمر بأنه عندما يتم تجميع الناس في المدرج الروماني يقوم جنوده بذبحهم. وفي هذه الحادثة مات سبعة آلاف من الرجال والنساء والأطفال، وحينما ذهب ثيودوسيوس لميلان منعه أمبروسيوس من الاشتراك في التناول قبل أن يقضي خمسة أشهر في توبة ويظهر ندمه عن هذه الفعلة الشنعاء.

عند موت فالنتينيان الصغير عام ٣٩١م اغتصب أفجينوس الخطيب Eugenius the rhetorician عرش الإمبراطورية الغربية، وهربت أمه يوستينا إلى قصر ثيودوسيوس الذي بعد تحضير طويل زحف بجيوشه ضد أفجينوس وهزمه في أكوليا عام ٣٩٤م، ولكن لم يعش بعد منافسه فترة طويلة، بل بعد هذا الانتصار الأخير استسلم للهو والملاذات ومات ٣٩٥م.

بعد موته انقسمت الإمبراطورية بين أولاد ثيودوسيوس؛ أركاديوس Arcadius أصبح إمبراطور الشرق وكان في الثامنة عشرة من عمره، وهونوريوس Honorius في الرابعة عشر من عمره، وكانا ضعيفي الشخصية غير مؤهلين لمواجهة الخطر المتنامي ضد الإمبراطورية.

تزوج أركاديوس من أودوكسيا Eudoxia التي كانت مشهودًا لها بالعنف والدموية والاهتمام بالأمر الدنيوية. أما هونوريوس فتزوج من ابنة ستيليكو القائد الروماني العظيم نصف البربري الذي كان نسيبه بزواجه من سيرينا ابنة هونوريوس أخو ثيودوسيوس الكبير. عندما أصبح جشع روفينوس - مستشار أركاديوس - لا يُطاق ارتفعت ضده أصوات المعارضة، وقُتل في عام ٣٩٥م. ونقل هونوريوس مقر حكمه إلى رافينا بين غابات

الصنوبر لتأمينه من الغزوات، وضوا نمة نتي كان فيها تحت إرشاد ستيليكو، تمكن من العيش بأمان.

صار يوحنا ذهبي الفم أسقف القسطنطينية في عام ٣٩٨م وأحدثت عظاته ونسكياته تأثيراً كبيراً. ولكن حاصرته المشاكل وحيكت ضده المؤامرات، فقد حُرم بواسطة ثيوفيلوس السكندري لأنه استقبل الإخوة الأطوال الذين طردهم ثيوفيلوس بسبب هجومه الشرس على الأوريجانية. وأيضاً الإمبراطورة أفدوكسيا التي أثار حنقها كلامه الصريح ونقده اللاذع فاجتهدت بالدسائس والمؤامرات أن تدمره. نُفي مرة لكنه رجع إلى العاصمة بفضل توسلات الجماهير، ولكنه نفي ثانيةً في ٤٠٤م، حيث استمر تأثيره على الكنيسة من منفاه في كومانا في بنطس حتى مات عام ٤٠٧م.

عادت رفاتة إلى القسطنطينية بعد ثلاثين عاماً واستقبلها ثيودوسيوس الثاني وزوجته إفدوكيا بدموع الأسف على ما اقترفه السلف. مات أركاديوس عام ٤٠٨م تاركاً ابنه ثيودوسيوس الصغير وريثاً في عمر سبع سنوات. فحكمت بولكاريا أخته والوالي أنتيميوس الإمبراطورية بنجاح. والمغول الذين دخلوا المقاطعة الرومانية وتحصنوا في ترسا قد أُجبروا على الانسحاب، وتمتعت الإمبراطورية الرومانية الشرقية بسلام خلال فترة حكم ثيودوسيوس الثاني. وبالعودة إلى الشأن الكنسي نجد أن الهدوء قد استمر في الكنيسة بعد مجمع القسطنطينية، وكانت هناك رغبة عامة في عدم الحديث عن الأمور المتنازع عليها مرةً أخرى.

استخدم الناس كلمة هرطوقي لتخويف الخصوم، وتعريف الآراء التي لا توافقهم بالآراء الأريوسية القديمة التي أدانها الجميع. عقدت الكثير من المجامع الصغيرة من الأساقفة ولم ينعقد مجمع مسكوني طيلة خمسين عاماً (حتى مجمع أفسس ٤٣١م)، ولكن هناك مواضيع أخرى اشتدت حدة النزاع فيها، فقد امتلأ الفكر المسيحي بالمجادلات الفلسفية اليونانية وأولها

ما يخص الأوريجانية؛ أي آراء العلامة العظيم أوريجانوس المعلم الكنسي بمدرسة الإسكندرية في القرن الثالث (نحو ٢٥٤م) والتي لم تنل الاهتمام اللائق طيلة مائة عام إلى أن حدث تطور غير مسبوق في التركيز عليها بعد ذلك في الشرق والغرب. إن الاهتمام الشديد بدراسة الكتب الإلهية والذي أثمر الترجمة اللاتينية (الفولجاتا)، أو الترجمة من اللغة الأصلية إلى اللغة العامية للعالم اللاتيني، قد أدّى إلى الرغبة في الرجوع إلى أعظم كاتب ودارس ومفسر للكتاب المقدس حتى ذاك الحين. ومن درسوا وأعجبوا بدراساته في النصوص الكتابية قد أعجبوا أيضًا بتعاليمه العقائدية. وكما يحدث لأغلب المعلمين في العصر الحديث فقد ارتبط اسم أوريجانوس بعقيدة مشهورة أو أكثر. فما حدث مع الكالفينية<sup>١٥</sup> Calvinism والإيراستينية<sup>١٦</sup> Erastianism والهيكلية<sup>١٧</sup> Hegelianism حدث أيضًا مع الأوريجانية. أما العقائد التي ارتبطت باسم أوريجانوس فهي مأخوذة من أهم أعماله؛ كتاب 'المبادئ'، وهي تنقسم لنوعين؛ النوع الأول: تعبيراته التي تدل على التراتبية داخل الثالوث أي أفضلية الآب عن الابن. والنوع الثاني هو تعاليمه حول علم الإسخاتولوجي.

بالنسبة للنوع الأول أخذوا عليه بعض التعبيرات المقتطفة مثل "الابن لا يرى الآب" أو "مقارنة بنور الآب، يكون الابن ظلام" ولذلك قالوا عنه إنه أبو الأريوسية. أما النوع الثاني من عقائده التي تحفظوا عليها فهي أفكاره التأميلية التي تنادي بأن نزول الأرواح في الأجساد في هذا العالم كان سقوطًا من حالة سابقة للوجود، وأن الناس سوف يقومون في حالة ملائكية،

<sup>١٥</sup> Calvinism: نسبة إلى كلفز التي تعتمد عليه الكنيسة البروتستانتية في عقائدها (م).

<sup>١٦</sup> Erastianism: نسبة إلى إيراستوس الذي نادى بأن للدولة السيادة على الأمور الكنسية (م).

<sup>١٧</sup> Hegelianism: نسبة إلى هيجل فيلسوف ألماني من القرن التاسع عشر، ويعتبر أهم مؤسسي مبدأ المثالية في الفلسفة (م).

والجسد مصيره الفناء. وعند اكتمال كل شيء ستخضع كل الكائنات الروحية، ومن ضمنها الملائكة الساقطين، حتى يعود الكون كله إلى التناسق والانسجام.

لم يستوعب الناس فكر أوريجانوس العام، ولم تكن مكانته التاريخية معلومة بالشكل اللائق، فالبابا أنسطاسيوس - مثلاً - الذي أدان تعاليمه عام ٤٠٤م قد قال صراحةً إنه لا يعلم من هو أوريجانوس أو متى عاش. وتبعاً لذلك فسّرت مبادئه بالمعنى الحرفي وفُهمت على أنه ناكراً لألوهية المسيح وعقاب الأشرار وقيامه الجسد. انتشرت آراءه في مصر انتشاراً واسعاً حيث كان ينتشر الفكر المعاكس أيضاً، الذي هو الأنتروبومورفية؛ أي إعطاء صفات وملامح بشرية لله، انتشاراً واسعاً. كان ثيوفيلوس بابا الإسكندرية مؤيداً لأوريجانوس عموماً في البداية كما كان جيروم، ولكن لأسباب عديدة متنوعة، تحول ضد أوريجانوس في تعصب واضطهاد، فأصدر حكم إدانة ضد الأوريجانية بواسطة أساقفة مصر وسوريا وقبرص وروما وإيطاليا، وطارد الذين فروا من اضطهاده إلى القسطنطينية، ووصم ذهبي الفم الذي استقبلهم بالهرطوقي، وفي هذا كله كان جيروم الذي ترجم رسائله من اليونانية إلى اللاتينية يساعده (انظر الخطابات ٨٦: ١٠٠، ١١٣، ١١٤)، ولكن المسألة برمتها تم التعامل معها بدون عقد أي مجمع، فكان الأساقفة يصرّحون بالآراء العامة وكانت قراراتهم تأخذ فاعليتها بمراسيم من الأباطرة (٤٠٠م).

إن النزاع الثاني الذي أدين أيضاً بدون الحاجة إلى انعقاد أي مجمع مسكوني هو النزاع البيلاجي. كان بيلاجيوس وكالستتيوس راهبين من بريطانيا حضرا إلى روما عام ٤٠٩م، وناديا بالإرادة الحرة وإمكانية حياة الإنسان بدون خطية، وهذا ضد التعاليم الأغسطينية عن النعمة والتي تؤكد على عجز البشرية وسبق تعيين المصير. وقد اتجهوا نحو أفريقيا مع

الحشود الهاربة من وجه غزو الاريك وهناك قاوموا تعاليم أغسطينوس. ولما ادينوا في مجمع قرطاج عام ٤١٣م، ذهبوا إلى فلسطين وهناك حصلوا على الاعتراف بتعاليمهم من خلال مجامع انعقدت في اورشليم وديوسبوليس عام ٤١٥م، بالرغم من وجود أورو سيوس صديق أغسطينوس في فلسطين وإدانة أساقفة بلاد الغال هيروس ولازاروس للبيلاجية. دُعي جيروم كي يكتب ضدهم، لكن أتباعهم ثاروا عليه وأحرقوا أديرتة ( Augustin De Gest. Pel. c. 66) بعدها زاروا روما وأفسس حيث استقبلهم البابا زوسيمًا وأساقفة عديدين على رأسهم يوليان أسقف إكلانوم من الذين تبنوا الفكر البيلاجي. غير أن تأثير أغسطينوس في الغرب كانت له اليد العليا، أمّا الشرق فلم يهتم بهذا النزاع من الأصل لأنه نظر إليها كمسألة تختص بالإنسان وليست مسألة لاهوتية. وبدأت الناس تتساءل عن طبيعة المسيح مما أدي إلى ظهور بدعة نسطور ومجمع أفسس عام ٤٣١م.<sup>١٨</sup>

إن الجيوش البربرية التي كانت تهدد القسطنطينية في عهد الإمبراطور فالنس قد غيّرت وجهتها إلى الغرب في عهد ابني ثيودوسيوس. والذين بقوا داخل حدود الإمبراطورية، تشربوا بعضًا من مظاهر الحضارة الرومانية وفي مناسبات عديدة أصبحوا في خدمة روما، في الوقت الذي فيه انغمس أهلها في الرفاهية والمتع تاركين الواجب الدفاعي، وأخذت قوة البرابرة المنضمين كمرتزقة في التزايد، وإن الاريك، الذي أصبح قويًا وذا مكانة مربية، قد زحف بجيوشه القوطية إلى اليونان عام ٣٩٦م، وكمسيحي فقد اعتقد أنه فعل حسنًا عندما نهب هياكل العبادات القديمة، وقد هاجمه ستيليكو بالقرب من ايستمس Isthmus التي في كورنثوس وهزمه، ولكنه خطط لينقل

<sup>١٨</sup> في مجمع أفسس ٣٤١م في القانون الأول والرابع تمت ادانة أحد زعماء البيلاجية وهو كالستيس Caelestius وإن كان بيلاجيوس نفسه لم يذكر نهائيًا في قوانين المجمع (ن).

جيشه عبر الخليج وأخذ إيروس Epiris عام ٣٩٧م. ورأى مشيرو أركادايوس أنه من الحكمة عمل اتفاق سلام معه.

في عام ٣٩٨م أصبح الاريك القائد الأعلى على الليريكوم وملك القوطيين. ولأن حقوقه لم تُحترم من قبل إمبراطور الغرب، لذا قام بغزو شمال إيطاليا، إلا أنه قد هُزم على يد ستيليكو في معركة بولنتيا Pollentia وفيرونا Verona عام ٤٠٣م. ولكن المنتصر الذي علم جيداً ضعف روما عقد سلاماً مع الاريك معترفاً بمكانته الرسمية. وانسحب الاريك لفترة ولكن غازياً آخرًا ببربريا اسمه رادجاست Radagaisus or Radaghast بجيش خليط من قبائل الفاندال والسييفين والبرجنديين، شق طريقه نحو فلورانس، وهناك قابله ستيليكو وانتصر عليه انتصاراً عظيماً (آخر انتصاراته) على مرتفعات الفيوسول عام ٤٠٦م. إن سياسة السلام التي اتبعتها ستيليكو حوّلت الاريك والقوطيين من خطرٍ على الإمبراطورية إلى حُرَّاسٍ لها. ولكن سياسته هذه قوبلت بالاستنكار من قبل روما، وعمِل كخائن وتم إعدامه عام ٤٠٨م. وعندها وجد الاريك الفرصة ليهاجم روما واقتنع بعد أن أخذ وعوداً صادقة بفك الحصار عن روما، وإذ لم يجد بلاط رافينا محل ثقة، أعاد الحصار وأخذ المدينة في ٢٦ أغسطس عام ٤١٠م. إن الميزة الوحيدة التي نتجت من هذا الدمار الرهيب هي أن القوطيين تعاملوا مع الديانة المسيحية باحترام وتم استبقاء الكهنة والكنائس وكل من لجأ إليها، حتى الأواني الفخمة والزخارف الثمينة المستخدمة في العبادة كانت منأى عن شرهم وجشعهم. لكن تم الإعلان عن وفاة عظمة روما، وباتت نهاية الإمبراطورية الرومانية وشيكة. الاريك دمر إيطاليا عند خروجه من روما متجهاً إلى ريجيوم، وقد رأى روفينوس ألسنة نيرانها على الشاطئ المقابل بينما كان يكتب تفسيراً لسفر العدد. حاول الاريك العبور إلى صقلية ولكن العاصفة أحبطت المحاولة، ومات قبل أن يمر عام على غزو



روما. عقد خليفته أدولفوس سلامًا مع روما وتجراً على طلب يد جالابلاسيديا أخت الملك هونوريوس. وتم قبول ملك القوطيين ليكون نسيب الإمبراطور الروماني.

إن إمبراطورية الغرب تشبه الآن سفينة في بحر مضطرب تعلو وتهبط، محاطة بالأعداء، بلا ربان ولا دفة، فقد ثارت بريطانيا عليها في ٤٠٩م، وبلاد الغال وقعت ضحية للثورات من ٤٠٩م إلى ٤١٣م، وهُزم المغتصب قسطنطين بصعوبة بواسطة الحاكم الروماني قسطنطيوس، ولكن خلفه مغتصبين جداً أمثال جوفينوس وساباستيان وأتالوس، وتجراً الكونت هيراقليان على غزو روما نفسها في ٤١٣م ولكنه هُزم ومات عقاباً له على جرأته. وقعت المقاطعات الرومانية في يد البرابرة واحدة تلو الأخرى، واستقر القوطيون في أكويتان وأسبانيا، ونزل الفاندال إلى أفريقيا، والبرجانديون سكنوا شرق وشمال فرنسا وبقية الفرنك في المنتصف. تحقق خراب الإمبراطورية الرومانية الغربية بشكل فعلي وقت وفاة جيروم في ٤١٩م، ثم تلاها ستون سنة من الكوارث والمحن قبل نهايتها بشكل كامل.

في أثناء هذه المصائب نزحت أعداد هائلة من الناس وبخاصة الإكليروس وعلية القوم للشرق للاحتماء، وكأنها - بحسب وصف المؤرخ الفرنسي تيريه - هجرة جماعية إلى الأراضي المقدسة. استقبل جيروم وأصحابه كل حشود النازحين في بيت لحم وتراسلوا مع من بقوا هناك. وكل هذه الشرور في هذا الوقت قد جعلت من الشرق وحده، الذي كان في مأمن من كل هذه البلايا، المعلم اللاهوتي للغرب.

## حياة جيروم

كي يعطى المترجم صورة عامة عن حياة جيروم، يجب أن يحيل القارئ إلى ما قيل تحت كلمة Hieronymus في 'قاموس السير المسيحية' Dictionary of Christian Biography. من تأليف Smith and Wace، أما هنا فالوصف مختصر ولكنه كافٍ، خاصةً أن المصادر الرئيسة للمعلومات مشار إليها في مواضعها وموجودة في هذا الجزء.

## الطفولة والشباب

وُلد جيروم عام ٣٤٥م في بلدة تسمى ستريدون Stridom بالقرب من أكويليا Aquileia في مقاطعة بانونيا Pannonia، البلدة التي دُمّرت بصورة جزئية، وذلك خلال غزو القبائل القوطية عام ٣٧٧م. ظلت ممتلكات جيروم باقية ولكن في حالة سيئة حتى عام ٣٩٧م. وعلى الرغم من أن أباه يوسابيوس وأمه كانا مسيحيين كاثوليكين إلا أنه لم ينل المعمودية وهو صغير. كان حال هذه الأسرة ميسورًا نوعًا ما، وكانوا يمتلكون بيوتًا وخدمًا، وكانوا على صلة بأسرة أغنى، جاء منها بونوسيس Bonosus أخوه في النشأة وصديقه الحميم. كان والدا جيروم على قيد الحياة عام ٣٧٣م عندما غادر هو للشرق، ولكن على الأرجح أنهما ماتا أثناء خراب ستريدون. جيروم له أخ يُدعى بولينيان Paulinian، يصغره بعشرين عامًا، ونقرأ أيضًا أن له أختًا وله عمّة تُدعى كاستورينا.

تلقى قسطًا وافراً من التعليم، ولكنه كان يقول عن نفسه إنه وُلد كسولاً، والتحق بمدرسة للصرف والنحو وقت وفاة الإمبراطور يوليانوس، وبعدها ذهب مباشرةً إلى روما برفقة بونوسيس صديقه، حيث درس البلاغة سنة ٣٦٣م مثل كل الدارسين على يد أليوس دوناتوس Aeluis Donatus، وتردد

على قاعات المحاكم عام ٣٦٣م.

٣٦٦-٣٦٦م. هناك وقع في أشراك الخضية إلا أنه انجذب بعد ذلك إلى مجموعة من الشباب المسيحيين الذين كانوا يذهبون كل يوم أحد إلى مقابر الشهداء في السراذيب. وهناك أيضًا قيل إنه اعتمد على يد البابا ليريوس Liberius عام ٣٦٦م، وكان تلميذًا نجيبًا رغم أنه لم يكن يعرف الكثير عن اليونانية حتى ذلك الحين، ومن هنا بدأ يقتني الكتب وتكوين مكتبته الخاصة.

٣٦٦ - ٣٧٠م، رحل جيروم وبونوسيس من روما إلى بلاد الغال مرورًا بشمال إيطاليا وهناك تعرفا على روفينوس Rufinus في كونكورديا Concordia وهي غالبًا مسقط رأسه. استقر جيروم في تريف Treves وتجول في الجوار، وبدأ ينسخ الرقوق وكتب تفسيرًا رمزيًا لسفر عوبديا.

### في أكويليا

عاش جيروم ثلاثة أعوام في أكويليا بإيطاليا التي رجع إليها مرارًا بفرسيللا Vercellae، وهناك من المؤكد أنه خطى أولى خطواته في طريقه الذي كان له فيه هدفان أساسيان لحياته؛ وهما دراسة الأسفار المقدسة والحث على النسك.

٣٧٠ - ٣٧٣م. تجمع حوله عدد من الناس لهم نفس الميل؛ روفينوس، وبونوسيس، وهيليدورس Heliodorus (صار أسقفًا على ألتينوم Altinum)، وكروماتيوس Chromatius (صار أسقف أكويليا)، وأخوه يوسابيوس، والأرشدياكون جوفينوس Jovinus، والراهب كريسوجونس Chrysogonus، والإبيدياكون نيقياس Niceas، وإنوسنت Innocentius، وهيلاس Hylas، العبد الذي أعتقه ميلانيا Melania السيدة الرومانية التي

تخلت عن ثروتها وتنسكت، كل هؤلاء بالإضافة إلى إيفاجريوس Evagrius (صار أسقف أنطاكية) والذي جاء إلى يثريا برفقة يوسابيوس أسقف فرسيللا إبان عودته من المنفى. ويجب الرجوع إلى الفهرس حيث جاء ذكر هؤلاء في مواضع كثيرة في أعمال جيروم.

هؤلاء المتنسكون لم يؤسسوا ديرًا لهم، فلم يكن بعد هناك درجات وقوانين بل كان النسك هدفًا، وكان كل شخص يسعى لتحقيقه بصورة منفردة وبالوسيلة التي يراها. كلمة راهب أي 'موناخوس' Monachus باليونانية كانت مستخدمة، إلا أنها في ذلك الوقت كانت تشير إلى حياة الوحدة أو العزلة.

البعض كان متوحدًا في الصحراء، والبعض الآخر عاش داخل المدن، جوفنيان كان راهبًا لكنه هاجم النسك، وكذلك هيليوذورس ويوحنا الأورشليمي كانا راهبين وأسقفين أيضًا. بعض أعضاء جماعة النساك في أكويليا ربما عاشوا في بيت واحد دون أن تجمعهم حياة شركة (كينونيا).

زار جيروم بلدته ستريدون وإيمونا Aemona القريبة منها، ومن المحتمل أنه قد يكون أمضى فترة في مسقط رأسه، وانتقد تعلق أهل بلده بالأرضيات، ومقاومة أسقفها لبيسينوس Lupicinus له. وقد أضحت الجماعة التي في أكويليا مرتبطة بعضها البعض ارتباطًا وثيقًا.

٣٧٣م. ما ورد إلينا عن أحداث هذه الفترة هي؛ معمودية روفينوس، وكتابة جيروم لخطابه الأول عن 'المرأة التي ضرب عنقها بالسيف سبع مرات'. وكل ما نعلمه هو أن هذه المجموعة قد تفككت بسبب حدثٍ ما قد وصفه جيروم بـ 'عاصفة مفاجئة' وتمزق مريع.

قرر جيروم الاتجاه إلى الشرق مع إيفاجريوس وهيليوذورس، وانضم

إنوسنت ونيقياس وهيلاس إليهم. وبتحّي كروماتئوس ويوسابيوس وجوفينوس في إيطاليا، وانعزل بونوسيس على جزيرة في البحر الأدرياتيكي حيث عاش متوحّدًا، أمّا روفينوس فقد ذهب إلى مصر ثم فلسطين بصحبة ميلانيا.

مر جيروم وأصحابه أثناء رحلته إلى الشرق بتراسا، وبنطس، وبيثينية، وغلاطية، و(أنقرة) العاصمة التي يبدو أنه مكث بها برهة من الزمن، وكبادوكيه، وكيليكيه، إلى أنطاكية التي كانت لهم بمثابة ميناء الراحة، إلا أنهم لم يبقوا سوى كثيرًا، فهليليودورس زار أورشليم حيث حلّ ضيفًا على فلورنتيوس Florentius.

٣٧٤م. كان جيروم معتل الصحة وأصابته حمى في منتصف الصوم الكبير جعلته على حافة الموت، هذا المرض الذي رأى فيه حلمه أنه من أتباع شيشرون، وبسبب هذا الحلم عقد العزم على ترك قراءة الكتب الفلسفية، وتكريس كل الوقت لدراسة الأسفار الإلهية. بعد وفاة إنوسنت والذي عقبه وفاة هيلاس، أمسى جيروم وحيدًا برفقة إيفاجريوس، وفي بيته استقبل جيروم الراهب القديم ملخس الذي شجعه على حياة النسك. لقد تمنى جيروم أن يرى روفينوس، في خطاب أرسله بيد فلورنتيوس ولكنه لم يأت، بعدها سلك في طريق حياة العزلة، وهليليودورس كان ينوى مرافقة جيروم ولكن نداء الخدمة الرعوية كان أقوى فرجع إلى إيطاليا، ذاك الفراق الذي سبب لجيروم أعظم حزن.

### في الصحراء (عام ٣٧٤-٣٧٩م)

بعد ذلك قضى جيروم خمس سنوات في صحراء خالكيز Chalcis شرق أنطاكية التي كانت مأهولة بالرهبان الذين بالرغم من أنهم يعيشون

منفردين عن بعضهم البعض، إلا أنهم كانوا تحت قيادة واحدة.

كتب جيروم إلى ثيودوسيوس أبيهم الروحي راجيًا إياه أن يقبله في جماعته، وكانت حياته هناك مزيحًا من توبة ونسك ودموع، ونشوة روحية، وصراع مع ذكريات حياة روما الآثمة، يقطن قلاية أو كهفًا، ويعمل ليكسب قوت يومه، ويلتحف بالمسوح. لكنه لم ينقطع تمامًا عن الناس، وكان يرى إيفاجريوس على فترات، يكتب ويستقبل الرسائل والكتب. وتعلم العبرية من يهودي متنصر (خطاب ١٨. ١٠)، ونسخ وترجم 'إنجيل العبرانيين' وكان اتصاله بالمتوحدين هناك يسيرًا للغاية (خطاب ١٧. ٣). في نهاية فترة إقامته، وجد نفسه متورطًا في النزاعات المؤلمة لكنيسة أنطاكية، حيث يتنازع كل من فيتالس Vitalis الأريوسي، وميليتيوس Meletius الأرثوذكسي المنصب من الأريوسيين، وبولينوس Paulinus الآتي من الغرب، على كرسي أنطاكية.

فقد وجد جيروم نفسه مضطرًا لأن يعلن إيمانه ولكن باستخدام مصطلحات غريبة عن الغرب الذي تلقى فيه الإيمان، فالتمس من البابا داماسوس النصيحة، ولكنه هو ورفاقه رأوا أن الموقف غير محتمل، فقال إنه يفضل السكنى مع الوحوش المفترسة، على الإقامة مع مسيحيين بهذا الشكل. في خريف عام ٣٧٨م، كتب إلى الأب ماركوس أب هؤلاء النساك يطلب منه السماح باستضافته في الصحراء فقط لبضعة أشهر وذلك حتى يأتي الربيع وحينها سيذهب.

٣٧٩م. وتبعًا لذلك في ربيع عام ٣٧٩م جاء إلى أنطاكية وانضم إلى مؤيدي بولينوس الأسقف الغربي الأرثوذكسي والذي سامه قسًا - إلا أنه بعد ذلك توقف عن ممارسة الخدمة الرعوية - وانكب على الدراسة تحت قلمي المعلم

الشهير أبوليناريوس Apollinarius من لاوذكية ولكنه لم يقبل آراءه، وكتب أيضاً مقالة 'حوار ضد اللوسيفريين' <sup>١٩</sup>.luciferians

### في القسطنطينية

٣٨٠م. في العام التالي ذهب جيروم مع أسقفه بولينوس إلى القسطنطينية، وكان ذلك أثناء المجمع المسكوني الثاني الذي فيه أدينَت تعاليم أبوليناريوس معلمه وحُكِم على أسقفه. وهناك تتلمذ عند قدي غريغوريوس النزينزي، وتعرف أيضاً على غريغوريوس النيصي، وترجم تاريخ الكنيسة ليوسابيوس مهدياً إياه إلى فنسنتيوس Vincentius الذي صار رفيقاً له منذ ذلك الحين، وغالينوس Gallienus. وبدأ يعجب بأوريجانوس، وترجم عظاته على سفري إرميا وحزقيال، وكتب إلى البابا داماسوس عن المعنى الذي قاله أوريجانوس عن كلمة سيرافيم الواردة في إش ٦.<sup>٢٠</sup>

٣٨١م. إنتاجه الأدبي هذا تم تحت ظروف ضعف بصره، الأمر الذي ظل يعاني منه طيلة حياته. لكن لا توجد أي إشارة في كتاباته في هذه الفترة عن مجمع القسطنطينية، فقط إشارات عابرة عن المجمع الذي عقد في روما بعده بعام والذي حتماً تمت دعوته للمشاركة فيه.

---

<sup>١٩</sup> اللوسيفريين: أتباع لوسيفر أسقف كاليارى بجزيرة ساردينا الأرثوذكسي العقيدة، وهو الذي رسم بولينوس بأنطاكية مما زاد من حدة النزاع هناك. وهو وأتباعه نادوا بعدم جواز قبول الأريوسيين الثائبين (م).  
<sup>٢٠</sup> يقصد تعاليم أوريجانوس عن السارفييم والشاروبييم المذكورة في كتاب المبادئ، كما سوف يأتي الحديث عنها في الخطاب رقم (١٨).

## في روما (٣٨٢-٣٨٥م)

ذهب برفقة أسقفه بولينوس وإييفانيوس أسقف سلاميس بقبرص. في مجمع روما الذي انعقد عام ٣٨٢م، وهناك ظهر كرجل ذي علم مستشاراً للبابا، ولكن ليس هناك أي دليل على أنه أصبح السكرتير الرسمي للبابا. وقد أعطت الفترة التي قضاها جيروم في روما فرصة عظيمة لخدمة أهم هدفين في حياته.

قدّر البابا داماسوس نبوغ جيروم وتفوقه في دراسة النصوص الكتابية، فكان يرسل له بالأسئلة على الدوام، والخطابات التي تتضمن الإجابات كانت تمثل مقالات تفسيرية، مثل الخطاب الذي يحوي تفسير كلمة 'أوصنا'. والخطاب عن 'الابن الضال'. أيضاً بتكليف من البابا داماسوس راجع جيروم نسخة المزامير التي استخدمتها الكنيسة الرومانية لما يزيد عن أحد عشر قرناً من الزمان. وأيضاً نَقَح الترجمة اللاتينية للعهد الجديد التي تُشكل مقدمتها أهمية كبيرة (مثلاً قيل إنه في ١كو٧:٣٥ حذفت عبارة كاملة من الترجمة اللاتينية القديمة لصعوبة ترجمتها).

أيضاً بدأ يقارن الترجمات اليونانية للعهد القديم مع الترجمة السبعينية، وقاده هذا إلى قناعات جعلته يترجم مباشرةً من العبرية. ودراساته هذه في النصوص الكتابية جعلته مطلعاً على أعمال أوريجانوس، حتى أنه كان يكن إعجاباً كبيراً وحباً شديداً لمن أسماه 'الرجل ذا القلب النحاسي' (Chalchenterus)، 'والعامل والمعلم في الكنيسة'، وسمح لنفسه باستخدام عبارات مبالغ فيها جداً لمدحه، وشن هجوماً ضروساً على أصداده، الأمر الذي في النهاية ارتد على جيروم نفسه.

وجدت الدعوة للنسك في روما تربة خصبة: إييفانيوس تلميذ الناسكين هيزيكياس Hesychias، وهيلاريون Hilarion كان ضيفاً على باولا، وهي



سيدة ثرية ونبيلة وسليمة عائلة إيميليان،<sup>١١</sup> وكانت قد نذرت حياة النسك، وسرعان ما انضم جيروم لهذه المجموعة من الأهل والأصدقاء، حتى أصبحت باولا التلميذة الوفية والصديقة لجيروم طوال سني عمرها (خطاب ١٠٨).

ابنها توكسوتوس وابنتها بلاسيللا الأرملة الشابة وباولينا زوجة صديق جيروم بماكوس عضو مجلس الشيوخ الروماني الناسك وجوليا استوكيوم كان لكل منهم تأثير على حياة جيروم بطرق شتى.

باولا وصديقاتها مارسيللا، وبرنسيبيا، وأسيللا، وليا، وفيوريا، وتيتانيا، ومارسيللينا، وفيليسيتياس وفابيولا كلهن ينتمين إلى أنبل العائلات الرومانية الراقية، وقد كوّن جماعة زاهدة وجدت في حياة النسك الملاذ الآمن للهرب من عيشة الإسراف والفجور التي تسري في مجتمعاتهن. وكنّ يجتمعن في بيت مارسيللا الذي على الأفتنين<sup>١٢</sup> Aventine، وهناك يصلين ويرتلن المزامير بالعبرية التي تعلمناها لهذا الغرض، ويقرأن الكتب المقدسة تحت إرشاد معلمهن، الذي كتب لهن العديد من الخطابات التفسيرية. وكن يحفظن خطاباته النسكية عن ظهر قلب. وتظهر خطاباته الخاصة لهن جوانب وصورًا متعددة عن الحياة المسيحية الرومانية في ذلك العصر (خطاب ٢٣-٤٦)، وتلك الخطابات كانت تركز على حفظ البتولية كالذي أرسله إلى إستوكيوم (خطاب ٢٢). وفي هذه الفترة أيضًا صدرت أولى دفاعيات جيروم 'ضد هلفيديوس' عن دوام بتولية العذراء.

٣٨٤-٣٨٥ م. لكن سرعان ما تغيّر هذا الجو المفعم بالنشاط والصدقات

<sup>١١</sup> إيميليان: عضو بمجلس الشيوخ الروماني وقائدًا وإمبراطور لمدة ثلاث أشهر (م).

<sup>١٢</sup> الأفتنين: أحد الجبال السبعة التي تقع عليها مدينة روما (م).

بوفاة البابا داماسوس. لم يكن البابا الجديد سيريكوس Siricius متعاطفًا معه وذلك لاعتقاد الكثيرين أن جيروم كان منافسًا له، فلم يحدث انسجام بينهما. واكتسب جيروم عداوة أغلب الشرائح في روما بسبب هجاءه القاسي لهم (مثل خطاب ٤٠، ٤١، ٥٤... الخ)، وأثار حوله الشكوك بسبب مديحه المغالي فيه لأوريجانوس، وفي جنازة بلاسيللا التي اعتقدوا أنها ماتت بسبب ما فرضه عليها من نساك شديد، هاج الجمع على جيروم وهتفوا قائلين: "ألقوا بالرهبان في نهر التيبر." حينها شعر جيروم أنه يحاول عبثًا أن يُسبِّح تسبيحة الرب في أرض غريبة، فقرر أن يترك روما إلى الأبد ويعتزل في فلسطين. إن رحيله الذي كان في أغسطس والمشاعر المصاحبة له قد وصفا في دفاعه ضد روفينوس وفي خطابه إلى أسيللا (٤٥) الذي كُتب ساعة مغادرة سفينته من أوتسيا Ostia.

٣٨٥-٣٨٦م. أبحر جيروم مع فنسنتيوس ومع أخيه بولينيان مباشرة إلى أنطاكية، أما باولا واستوكيوم فتركنا باقي الجماعة وذهبتا أولاً إلى قبرص لرؤية إبيفانيوس ثم تلاقت المجموعتان في أنطاكية، ومن أنطاكية سافروا عبر أورشليم وفلسطين إلى مصر، وزاروا هناك التجمعات الرهبانية في نتريا<sup>٢٣</sup> Nitria، وتعرفوا على ديديموس<sup>٢٤</sup> 'الضربير البصير' من الإسكندرية، وعادوا إلى فلسطين خريف سنة ٣٨٦م واستقروا في بيت لحم بقية حياتهم.

<sup>٢٣</sup> نتريا: منطقة كانت عامرة بالرهبان تقع بجوار دمنهور وتسمى الآن برونوج ومؤسس الرهبنة فيها الأب آمون. (م)

<sup>٢٤</sup> القديس ديديموس: مدير مدرسة الإسكندرية اللاهوتية في عصر البابا أثناسيوس والبابا تيموثاؤس. (م)

## في بيت لحم

بيت لحم - الفترة الأولى ٣٨٦-٣٩١م:

عاش جيروم في بيت لحم لمدة ٣٤ سنة وبنى ديرًا للرهبان كان هو رئيسه، وديرًا آخر للنساء أشرفت عليه باولا واستوكيوم بنجاح، وشيّد كنيسة يجتمع الكل فيها، وبيت ضيافة لحجاج الأراضي المقدسة القادمين من كافة بقاع المسكونة، وهذه الأماكن كان يتم الصرف عليها من ثروة باولا حتى أنه من كثرة تصدقها وعطاياها افتقرت لدرجة أنها أصبحت تعتمد على دعم جيروم وأخيه ومساندتهما، لذا باعا ما تبقى لهما من أملاك الأسرة لاستمرار تعضيد هذه الأماكن.

عاش جيروم في قلاية، محاطًا بمكتبته التي كان يضم إليها الكتب باستمرار، يعيش على الخبز والخضروات. التوبة والصلاة هما السمتان الظاهرتان في حياته، إلا أنه لم يذكر أية قوانين محددة لحياة الرهبنة في كتاباته، وآمن بأنه لن ينمو الإنسان روحياً إلا بمحاسبة النفس.

لم يمارس الخدمات الكهنوتية لكنه كان غارقاً في العمل الرعوي والتلمذة (خطاب ١٤٧) داخل إطار الدير وأيضًا جموع الرهبان الذين يتوافدون عليه من كل حدب وصوب. ويخبرنا سلبكيوس ساويرس Sulpicius Severs أنه عندما اقتربت منه في نهاية حياته وجد أن أعباء إيباشية بيت لحم كلها كانت ملقاة على كاهله، فهو والكهنة المشتركين معه كانوا منشغلين بإعداد طالبي العماد للمعمودية. غير أنه كان يقول دائماً إن دعوته ليست الخدمة الكهنوتية بل الدراسة (خطاب ١١٢). وكان عنده مجموعة من الشباب كان يعلمهم الأدب اللاتيني، ويومياً يفسر الكتاب المقدس للرهبان في دير، لم يره سلبكيوس إلا وهو إما يكتب أو يقرأ بدون توقف نهاراً أو ليلاً؛ ترجمات، وشروحات، ومقالات دفاعية،

وخطابات تشتمل على موضوعات هامة تنسكب دائماً من قلمه، والرسائل بينه وبين باولا واستوكيوم بلا حصر، وكل ما يكتبه يتلقفه الأصدقاء والأعداء لنشره.

أصدر مقالاته وسط مشاغل جمّة؛ لم تقتصر على رعاية الدير وبيت الضيافة وحسب، بل كذلك ضيافة الشخصيات الهامة من شتى بقاع المسكونة مثل فاييولا، وكذلك الحاجة للرد على الخطابات الواردة له من كافة البلاد البعيدة؛ يطلبون فيها الإرشاد من معلم ذائع الصيت (خطاب ١١٦ - ١٣٠)، وكذلك أيضاً وسط الأمراض المزمنة وأوقات العوز والفرع من هجمات البرابرة، ومن هجوم أعداءه الذين أحرقوا أديرتة عام ٤١٧م.

لم يأل جهداً أو كلفةً في سبيل الكتابة، وأتقن العبرية بمساعدة يهودي جاء إليه ليلاً مثل نيقوديموس، تعلم أيضاً الآرامية وفي بعض أجزاء دراساته الكتابية كان يطلب مساعدة خاصة من بعيد، وعندما كانت تقل موارده كان يحصل على مساعدات من أصدقاءه القدامى كروماتايوس وهيليو دوروس.

إن قائمة أعماله خلال أول ست سنوات (٣٨٦م - ٣٩٢م) في بيت لحم تشمل الآتي: الانتهاء من تفسير سفر الجامعة، وترجمة كتاب عن الروح القدس لديديموس، تفسير رسالة أفسس وغلاطية وتيطس وفليمون، مراجعة الترجمة اللاتينية للعهد الجديد والتي بدأها في روما، مقالات على المزامير (١٠ - ١٦)، ترجمة عظات أوريجانوس على إنجيل لوقا والمزامير، كتاب 'أسماء وأماكن العبرانيين'، المترجم أساساً من كتاب يوسابيوس. 'الأسماء العبرية' و'أسئلة عبرية في سفر التكوين'، مراجعة لترجمته من السبعينية وتشتمل على مقابلتها بالهكسابلا لأوريجانوس، جزء كبير من الفولجاتا، قصة حياة الراهب ملخس وهيلاريون، قائمة بأباء

الكنيسة المشاهير، والخطاب الوحيد الذي وصل لنا من هذه الفترة هو الخطاب المرسل إلى مارسيللا نيابة عن باولا واستوكيوم يدعوها للمجيء إلى فلسطين.

بيت لحم - الفترة الثانية (٣٩٢م - ٤٠٥م):

تُعتبر فترة إقامة جيروم الثانية في بيت لحم الفترة الأكثر إنتاجاً لأهم أعماله الجاذبة للانتباه وقد قضى جزءاً منها في إنهاءه للفولجاتا التي نالت استحساناً، أيضاً في كتابة مجموعة من خطابه التي تُصنف على أنها الأكثر روعة، أما الجزء الأكبر من هذه الفترة فقد قضاه في نزاعاته الدفاعية والتي ظهرت فيها أصعب جوانب شخصيته وتأثيره الملحوظ.

٣٩٥م، ٣٨٩م و٤٠٤م-٤٠٥م، ٣٩٤م-٣٩٧م. كانت هناك أيضاً العديد من المعوقات الخارجية الكثيرة لأعماله ومنها: الهلع الذي أصاب الناس من أخبار غزو المغول، الأمر الذي جعل قاطني الأديرة يتركون أماكنهم ويتجهون للسفر عبر البحر من ميناء جوبا<sup>٥٥</sup> Joppa، وفترات طويلة من المرض واعتلال الصحة، وكان هناك نزاع مع أسقف أورشليم نتج عنه حرم الأسقف لرهبان بيت لحم.

خطابات هذه الفترة، من خطاب رقم ٤٧ إلى ١١٦، تتضمن الآتي: إلى نبوتيان ابن أخت هليودوروس عن واجبات الإكليروس، وإلى هليودوروس عن وفاة ابن أخته، وإلى باولينوس السيناتور الروماني الذي صار فيما بعد أسقف نولا<sup>٥٦</sup> معلقاً على مدحه للإمبراطور ثيودوسيوس، وعن دراسة الكتب المقدسة، وإلى فيوريا حول حفظ الترمل، وإلى ليسينيوس النبيل

<sup>٥٥</sup>جوبا: ميناء على البحر المتوسط ثم تسمى يافا هو الآن ميناء تل أبيب.

<sup>٥٦</sup>نولا: مقاطعة نابولي جنوب إيطاليا.

الأسباني الذي أرسل نُسَاحًا لنقل كتب جيروم وإلى أرملة ثيودورا، وإلى أبيجاوس الكاهن الأسباني الضريح، وإلى سلفيد أرملة نيريديوس المقرب من الإمبراطور ثيودوسيوس، وإلى أماندس الكاهن الروماني عن حالة صعبة للضمير، وإلى أوقيانوس دفاعًا عن الأسقف الأسباني الذي تزوج مرتين، وإلى لايتا زوجة توكسوتيوس ابن باولا عن تربية طفلتها، ودرة كتاباته مقتطفات من حياة فابيولا وباولا (في رثائهما).

### الفولجاتا (٣٩١-٤٠٣م)

إن أهم أعمال جيروم هي الفولجاتا التي قد أكملت في تلك الفترة. والنسخة التي كانت تحمل اسم فولجاتا أي النسخة العامية المشهورة في أيامه كانت ترجمة غير دقيقة من السبعينية، وكانت كل نسخة تختلف عن باقي النسخ الأخرى. ولهذا كان همه الأول هو تنقيح الترجمات الموجودة بالفعل من نسخة سبعينية صحيحة أو ترجمتها من جديد، وكان يستخدم هذه النسخة المنقحة في تفاسيره المألوفة للكتاب المقدس داخل الدير (Apol. ii. 24, Vol. iii. 515)، إلا أن جزء كبير منها قد فقد حتى في حياته، وما بقي الآن هما سفر أيوب والمزامير والمدخل لأسفار سليمان. لكن حتى هذه النسخة من السبعينية كانت دقتها بالنسبة له غير كافية.

في الهكسابلا لأوريجانوس توجد ترجمة ثيودوتيون وترجمة أكويليا وسيماخوس، إضافة إلى ترجمة خامسة وسادسة على شكل أعمدة متوازية مع الترجمة السبعينية. وهذه تختلف فيما بينها، والفيصل الوحيد بينها هو الاحتكام إلى النسخة العبرية والتي دائما ما كان يسميها 'الأصل العبري'.

٣٩٢م. تبعًا لذلك عزم فورًا على القيام بهذه المهمة وهو في بيت لحم

مكرسًا مجهوداته لها، وقد قال في مقدمة قائمة أعماله (Vol. iii. 384; On III. Men, 135): "العهد الجديد استعدته من الأصل اليوناني، وقمت بترجمة العهد القديم من الأصل العبري."

٣٩٣م. لكن حتى هذا الوقت لم ينشر منها أي جزء، وفي العام التالي نشر أسفار الأنبياء وأرسل أجزاء أخرى من العهد القديم إلى مارسيللا في روما والباقي أغلق عليه في خزانته، منتظرًا رأي أصدقائه في الأجزاء التي وصلت إليهم، فلقد خطط منذ البداية أن ينشرها كاملة كما نفهم مما قال فيما أسماها (المقدمة ذات الخوذة Helmeted preface) لسفري صموئيل والملوك، ولكنها نشرت على أجزاء بحسب ما تسنى له الوقت للمراجعة النهائية، وأيضًا بحسب ما إن كانت الظروف مهيأة للنشر أم لا.

تظهر سلسلة المداخل للأسفار أن بعض الأجزاء تمت كتابتها أو مراجعتها على عجل، والبعض الآخر انتزع منه بناءً على إلحاح من أصدقائه (see Apol. ii. 25, in Vol. iii. 515) إضافة إلى أنها تظهر ما تعرض له من نقد لاذع وسوء فهم والذي كان شديد الحساسية لهم، لدرجة أنه في بعض الأحيان كان يتجنب نشرها على العامة راعبًا في أن يقرأها أصدقائه فقط على نحو خاص، كذلك أيضًا تظهر اعتماده على أصدقائه في إحضار النسخ خصوصًا الأجزاء الأخيرة.

ويمكن تتبع ترتيب نشر هذه الأجزاء؛ أولاً أسفار صموئيل والملوك، ثم أيوب والأنبياء، وعزرا ونحميا، وسفر التكوين. هذا ما أنجز حتى عام ٣٩٣م، تلاها توقف عن الإصدار لمدة ثلاث سنوات نتيجة معوقات خارجية من أهمها الذعر مما ورد من أنباء عن اجتياح المغول.

٣٩٥م. بناء على توسل من كروماتيوس وهليودوروس أتم أسفار سليمان، عازمًا أن يتابع عمله بالترتيب حتى النهاية.

٣٩٨م. لكن المرض حال دون ذلك بعد أن قال إن أول ثماني كتب مازالت ناقصة في النسخ المرسلّة إلى ليسينيوس الأسباني.

٤٠٣م. توقف النشر لمدة خمس سنوات أخرى، بعدها ترجمت باقي الأسفار من الخروج إلى راعوث وسفر أستير.

٤٠٤م. تم تجميع هذه الأجزاء بواسطة آخرين وليس جيروم، وتدرّجياً احتلت هذه الترجمة الصدارة بين الترجمات اللاتينية وضمّت إلى العهد الجديد الذي ترجمه قبلاً وهكذا اكتملت نسخة فولجاتا الكتاب المقدس.

٣٩٣م-٤٠٤م. الفترة الثانية لإقامة جيروم في بيت لحم هي فترة أعظم جدالاته، وهي لا تقل عن الستة وهي؛ (١) مع جوفينيان حول الممارسات النسكية، (٢) مع الأوريجانيين التي اتحد فيها مع البابا ثيوفيلس السكندري وأساقفة الغرب، (٣) مع يوحنا أسقف أورشليم، (٤) مع روفينوس، (٥) مع فيجيلانتيوس، (٦) مع أغسطينوس. وستتناولها بصورة مختصرة إلى حد ما. ونحيل القارئ إلى المقالات والخطابات نفسها إضافة إلى الملاحظات الملحقة بها وذلك للمزيد من التفاصيل.

(١) النزاع مع جوفينيان:

راهب روماني أو متوحد (لأن الكثيرين كانوا يندرون الرهبنة دون أن يلتحقوا بأي نظام أو دير)، اعتقد أن الممارسات النسكية تنتقص من قدر الحياة المسيحية العادية، وما اقتبسه جيروم من أقواله يدل على إنه ليس رجلاً ذا مقدرة كبيرة، ولكن أيضاً لا توجد أية إشارات واضحة تدل على الصفات السيئة التي وصمه بها جيروم.

خلع جوفينيان ثوب الرهبنة، وعاش حياة عادية، وبالرغم من أنه لم يتزوج إلا أنه دافع عن حقه كمسيحي في الزواج، منادياً بأن حياة البتولية



والزواج والترمل متساويان أمام الله، شريطة أن تكون حياة إيمان وورع، وأن الصوم والأكل سيان طالما أن الإنسان يعطي الشكر لله. من المحتمل أن آراءه كانت ذات تأثير، ويذكر أن البعض ممن نذروا البتولية عادوا وتزوجوا جراء تعاليمه. طبعًا أدينت تعاليمه بواسطة البابا سيريكوس وأمبروسوس وأغسطينوس.

٣٩٣م. نشر جوفنيان كتابًا في روما يتضمن هذه الآراء بالإضافة إلى آراء أخرى يغلب عليها الطابع التخميني. أرسل هذا الكتاب إلى جيروم وفورًا رد عليه بمقال 'ضد جوفنيان' وفيه رد على الأمور التخمينية بهدوء، أما بخصوص هجومه على النسك فالرد كان بقسوة وازدراء: "هذه هي همسات الحية القديمة والتي بسببها طرد التنين الإنسان من الفردوس"، ومن فرط هجومه ازدري بالزواج مما لاقى استهجانًا شديدًا من أصدقائه في روما، حتى أنهم حاولوا منع نشر هذا المقال ( see also Ruf. Apol. ii. 44, Vol. iii. )  
480)، فقابل جيروم هذا بمزيد من الامتناع، وبعد عدة سنوات حينما وافته الفرصة للإشارة عن جوفنيان قال: "بعد أن أدانت الكنيسة الرومانية هذا الرجل، وهو وسط ولائمه من لحوم الطيور والخنازير، لن أقول إنه رجع عن ضلاله بل تجشأ حياته!"

(٢) النزاع مع الأوريجانيين (٣٩٣-٤٠٣م):

الجدال الثاني الكبير في هذه الفترة والذي كان جيروم متورطًا فيه كان مع الأوريجانيين، فقد تصاعد جدلًا شديدًا في الإسكندرية أدى إلى حرم التعاليم الأوريجانية من أساقفة فلسطين وقبرص في الشرق، وبابا روما وأسقف ميلانو وآخرين في الغرب.

في القرن الثالث كان معلم الإسكندرية الشهير غير معروف في الغرب، حتى أن بابا روما أنسطاسيوس عام ٣٩٩م أكد أنه لا يعرفه ولا يعرف ما

كتبه (Vol. iii). كُنَّ له جيروم إعجابًا شديدًا عندما تعرف على كتاباته خلال رحلته الأولى للشرق. وبالطبع هو لم يقبل كل معتقداته فيمكن أن نرى هذا في أول خطاب أشار فيه إليه، ولكن عند مجيئه إلى روما فعل كل ما بوسعه حتى يجعله معروفًا هناك، وقد كُفَّ جيروم من البابا داماسوس بترجمة بعض أعماله، وعندما رأى أنه قد تمت إدانته عن جهل، مدح أوريجانوس بحماسة الشديد بلا تروٍّ كالمعتاد، فمدح كتابه 'المبادئ' Περὶ Ἀρχῶν الذي كان سببًا رئيسًا في النزاع التالي ( Ruf. Ap. ii. 13, Vol. iii). واقتبس أيضًا عبارات منه بلا تمييز في شرح الرسالة إلى أفسس ترتبط بسابق وجود الروح البشرية قبل ولادتها، وإمكانية رجوع الشيطان إلى منزلته (Ruf. Apol. i.)، ولكنه كان مجرد إعجاب بأسلوبه الأدبي وعبقريته المبدعة وليس قبولاً لفكر أوريجانوس، فكان حكمه الرزين عليه بعد سنوات لاحقة هو أن ما أضافه من إنتاج أدبي للكنيسة لا يُقدر بثمن، أما آراؤه العقيدية فتُقرأ بحرص شديد، وما أُدينت منها كانت هرطقات. كذلك يجب الاعتراف بأن جيروم في المراحل الأولى كان مادحًا شديدًا لأوريجانوس، ولكن فيما بعد أصبح مهاجمًا له بذات الشدة، ويبدو أيضًا أن هذا التحول كان بسبب الخوف من تهمة الهرطقة أكثر منه قناعة ( Apol. iii. 33, Vol. iii. 535).

انقسم الرهبان الذين كانوا في صحراء قرب الإسكندرية؛ فتبنى البعض تعاليم أوريجانوس، أمَّا البعض الآخر فقد مال إلى الأنثروبومورفية<sup>٢٧</sup> Anthropomorphism المضادة. في البداية ناصر البابا ثيوفيلس السكندري

<sup>٢٧</sup> الأنثروبومورفية هي الاعتقاد بأن جوهر الله ذو هيئة بشرية، وقد هاجم هذا التعليم كل من القديس البابا ثيوفيلس وخلفه القديس كيرلس السكندري 'ضد الذين يتصورون أن الله هيئة بشرية' ترجمة دز جورج عوض - القاهرة ٢٠١٣ (ن).

الأوريجانيين، لكنه انقلب عليهم بعد ذلك وصار مقاومهم الذي لا يلين. ففي أول الأمر استنجد به يوحنا أسقف أورشليم في نزاعه مع إيفانيوس وچيروم، ووقف معه بكل قوة حتى أنه أرسل تلميذه إيسيدور ظاهرياً لكي يستفسر عن الأحداث، لكن في الحقيقة أرسله كي يسحق معارضيه كما أوضح هذا في خطابٍ أرسله البابا إلى الأسقف يوحنا، هذه الرسالة وقعت في يد چيروم وأصدقائه فأحبطت مساعي البابا.

بعد ذلك انقضت فترة من الهدوء الحذر، وعندما غير ثيوفيلس موقفه وجد في چيروم، الذي ألقى بنفسه في خضم هذا النزاع، مُعيّناً حاضراً، وترجم رسالة البابا ثيوفيلس التي أدت إلى حرم أوريجانوس في الشرق، وترجم أيضاً حرم القديس يوحنا ذهبي الفم لأنه قبل إيسيدور وإخوته، الذين يعتبرهم البابا ثيوفيلس الآن أعداءه. وقد نشر چيروم بواسطة أصدقائه بماكوس ومارسيللا ويوسابيوس قرار إدانة أوريجانوس في الغرب.

(٣) النزاع مع يوحنا أسقف أورشليم:

النزاع مع أسقف أورشليم يمثل فصلاً صغيراً من نزاع عام، فيوحنا ناى في الرهينة مع رهبان أوريجانيين، أما إيفانيوس فترهب وسط جماعة رهبان ضد الأوريجانية، ولم يظهر على چيروم أي تغيير في آرائه عن أوريجانوس خلال الفترة الأولى من إقامته في بيت لحم (راجع مقدمته حول كتاب: *The Book of Hebrew Questions*، والذي كتبه في عام ٣٨٨م، وكان على علاقة طيبة بأسقف أورشليم وروفينوس الذي كان يعيش آنذاك على جبل الزيتون.

٣٩٣م. لكن في مستهل الفترة الثانية، جاء أتيربيوس Aterbius منذراً ومحدراً من هرطقة، واقتنع چيروم اقتناعاً ضعيفاً بكلامه (Apol. iii. 33, Vol. iii. 535) بينما نظر إليه يوحنا وروفينوس على أنه متطفل، مما أحدث

الفرقة الأولى بينهم والتي اتسعت بعد زيارة إبيفانيوس في السنة التي تلتها. تفاصيل الأحداث بعد ذلك نجدها في كتاب 'ضد يوحنا الأورشليمي'، وخطاب ترجمه جيروم لإبيفانيوس (٣٨٣-٣٨٥م).

كان إبيفانيوس ذا مكانة كبيرة في أورشليم، وحدثت واقعة حيث كان كل من إبيفانيوس ويوحنا في الكنيسة، فوعظ إبيفانيوس ضد الأوريجانية بينما علم يوحنا ضد الأنثروبومورفية، الأمر الذي أدى إلى حدوث شرخ في العلاقة بينهما. جاء إبيفانيوس ليمكث بيت لحم واصفًا يوحنا تقريبًا بالهرطوقي، أما يوحنا فشبهه إبيفانيوس بالعجوز المُخرف، وقد انحاز رهبان بيت لحم إلى إبيفانيوس الذي رسم لهم بولينيان أخو جيروم قسًا، حتى لا يجرموا من خدمات الكهنوت التي من عند الأسقف يوحنا. وتمت السيامة في دير الكائن قرب إيباشية إليثروبوليس Eleutheropolis. وكان يبلغ من العمر ثلاثين عامًا فقط ورُسم قسرًا وبعد أن كبّلوه بالقوة. عاد إبيفانيوس إلى قبرص وكتب خطابًا إلى يوحنا مبررًا فيه تصرفه هذا وقد ترجمه جيروم لكنه لم ينجح في رأب الصدع، ووضع يوحنا حرومًا على أديرة بيت لحم أو على الأقل بعضها، ورفع قضيته إلى روما والإسكندرية ثم إلى روفينوس المشير بالقصر الإمبراطوري في القسطنطينية. انحاز البابا ثيوفيلس بشدة لجانب يوحنا الأسقف في البداية، ولكن مساعده إيسدور أخفق في مهمته. وبعد فترة تغيرت نظرتة للأمر وعقد صلحًا مع جيروم ورفقائه.

٣٩٧م أو ٣٩٨م. هدا يوحنا و جيروم الذي كتب مقالة طويلة تحتوي على عبارات لاذعة في مقالته 'ضد يوحنا الأورشليمي' والتي أرسلها إلى بماكوس، يبدو وكأنه فجأة ترك الأمر برمته، فالمقالة لم تكتمل ولم تنشر ولم نسمع عن النزاع مرة أخرى.

(٤) النزاع مع روفينوس (٣٩٨م - ٤٠٤م):

النزاع مع روفينوس صديق جيروم السابق لم ينته مثلما انتهى النزاع مع يوحنا؛ فجيروم كان يحب روفينوس حباً حمماً وكان يحترم ميلانيا بشدة في البداية، وأطلق على روفينوس في تسجيله لأحداث سنة ٣٧٨م 'فخر الرهبان' (Ruf. Ap. ii. 25, 26, Vol. iii. 471).

لم نقرأ عن أي تعكير لصفو العلاقة بينهما إلا بعد سنوات من رجوعه إلى فلسطين.

٣٩٢م. لم نَرِ المشاعر الحارة التي كنا نتوقعها من صديقَيْن حميمَيْن تلاقيا بعد فراقٍ دامَ طويلاً. وقد يكون إغفال جيروم لاسم روفينوس في كتابه قائمة بأسماء مشاهير آباء الكنيسة سببه فتور في العلاقة من جانب أدى إلى استياء من الجانب الآخر، إلا أنهم أقروا باستمرار العلاقة (Ruf. Ap. ii. 465, vol. iii. (2), 8)، وكان هناك اتصال دائم بين رهبان بيت لحم ورهبان جبل الزيتون.

٣٩٣م - ٣٩٤م. زيارة أتيربيوس ثم زيارة إبيفانيوس التالية لها هما علامتا وقت التوتر في العلاقة، فروفينوس كان مع الأسقف يوحنا في الموقف الذي حدث بكنيسة القيامة، ودُكر في خطاب إبيفانيوس على أنه كاهن آراؤه أزعجته كأب.

في النزاع الذي حدث بين جيروم ويوحنا وقف روفينوس إلى جانب الأسقف بلا تردد، وبدأ الشك يملأ عقل جيروم لدرجة أنه اتهم روفينوس بأنه قام برشوة شخص ما في دير ببيت لحم كي يسرق من قلاية فايولا ترجمة جيروم لخطاب إبيفانيوس الذي أرسله إلى يوحنا (Ap.iii. 4, Vol. iii. (521).

٣٩٧م. عند مغادرة روفينوس لفلسطين عادت الصداقة بينهما واشتركا

سويًا في الإفخارستيا وقبلاً بعضهما البعض (Ap. iii. 33, Vol. iii. 535)، ورافق جيروم صديقه في رحلته لبعض الوقت، إلا أن الصلح كان قصير الأمد.

عندما كان روفينوس في روما كتب مقدمة للترجمة التي قام بها جيروم لكتاب 'المبادئ' لأوريجانوس، مشيرًا فيها بعبارات مديح لجيروم على أنه الرائد والسابق له في هذا الكتاب، الأمر الذي يعرض جيروم للشك والإدانة لأنه يسير على درب أوريجانوس. وما كتبه روفينوس أرسله بماكوس وأوقيانوس إلى جيروم، مُرفقًا معه مقدمة روفينوس لترجمة كتاب 'دفاع عن أوريجانوس' والذي كتبه بمفيلوس Pamphilus الشهيد، وأخبراه عن الشك والريبة اللتين ملأتا روما من ترجمة جيروم لكتاب المبادئ وشكوكهم في أن تلك الترجمة كان هدفها إخفاء ما يحويه النص الأصلي من هرطقات، لذا التمسنا من جيروم ترجمة حرفية للأصل مشيرين إلى أن سمعته كأورثوذكسي باتت على المحك.

على الفور استجاب جيروم وأرسل لهم ترجمة حرفية لكتاب أوريجانوس بالإضافة إلى خطاب يوضح فيه موقفه من أوريجانوس بأنه أيد ولا يزال يؤيد أوريجانوس كدارس للنصوص الكتابية، ولكنه لم يكن يقبل قط تعاليمه العقيدية. وفي ذات الوقت كتب جيروم خطابًا لروفينوس محدثًا إياه بشكل ودي لكن مستنكرًا إقحام اسمه في هذا، بيد أن هذا الخطاب الذي أرسل إلى أصدقاء جيروم في روما قد أبقوه بجوزتهم، ولم يسلموه ليد روفينوس (Ap. i. 12, Vol. iii. 489)، وهكذا احتدم الخلاف الذي كان ممكنًا احتواؤه ووصل إلى مرحلة لا يمكن فيها علاجه.

٤٠١ - ٤٠٤م. ما حدث بعد ذلك من تصاعد لحدة النزاع مشار إليه في المدخل إلى دفاعيات جيروم وروفينوس (Vol. iii). ويكفي الآن القول بأن هذا النزاع المشين وغير اللائق بين اثنين من كبار معلمي الكنيسة

المعروفين والذي كان على مرأى ومسمع من الكنيسة كافة قد أثمر عداوة استمر جيروم في إظهارها حتى بعد وفاة روفينوس. بيد أنه كانت له حسنة واحدة فقط للمؤرخين على وجه الخصوص، وهي أنه أخرج للنور الكثير من الوقائع والأحداث لولاه لكانت تبقى طي الكتمان.

#### (٥) النزاع مع فيجيلانتيوس:

٣٩٦م. هذا النزاع ينحصر فقط في رسالة من جيروم إلى فيجيلانتيوس ومقالة بعنوان 'ضد فيجيلانتيوس'. فقد تعرف عليه بواسطة بولينوس أسقف نولا الذي وصفه بصفات حميدة، ولم تحدث بينهما أية مشكلات طوال إقامته في بيت لحم، بل قال عن جيروم كلامًا حسنًا جدًا. ولكن يبدو أن فيجيلانتيوس كان على اتصال بروفينوس بطريقة ما (Ap. iii. 19, Vol. iii. 529). فبعد هذا اتهمه جيروم بأنه قد أدخل بعض الرقوق إلى دير بيت لحم غاليًا من دير جبل الزيتون (Apol. iii. 5, 19, Vol. iii.)، ولاحقًا جاءت لجيروم أنباء تفيد بأن فيجيلانتيوس كتب وتكلم ضده في مواقف شتى، متهمًا إياه بالأوريجانية. كتابات فيجيلانتيوس ضد النسك ومقالة جيروم ضده لم يصل إلينا. وقد قال عنه جناديوس Gennadius إنه رجل جاهل لكن كلامه براق (de Script. Eccl. 35). وفي هذه القضية كان جيروم أعنف ما يكون في مواجهتها. ولإكمال الموضوع نحيل القارئ إلى ملاحظات مقدمة الرسالة وأيضًا المقالة.

#### (٦) مع أغسطينوس:

٣٩٤-٤٠٤م. النزاع المتبقي في هذه الفترة كان مع القديس أغسطينوس، فقد كان بينهما قبلًا نوع من الألفة والود. فصديق أغسطينوس المدعو

الليبيوس Alypius كان مقيمًا مع جيروم في بيت حَم. أغسطينوس الذي أصبح فيما بعد خوري إبيسكوبوس<sup>٨</sup> على إيباشية هيبو Hippo قد ذكر في خطاب موجه إلى جيروم خطأ في تفسيره بعض نصوص رسالة غلاطية، وبلا شك فهذه الملاحظة قد قالها أيضًا أليوس. يقول جيروم إن ما جاء ذكره في رسالة غلاطية بخصوص توجيه اللوم من القديس بولس للقديس بطرس وذلك على خلفية خوفه وانحيازه لليهود كان شكليًا ومُفتعلًا ومُرتبًا مسبقًا بين التلميذَيْن كي تتضح الحقيقة لكل أعضاء الكنيسة. إلا أن أغسطينوس قد اعترض على هذا لأنه يحمل اتهامًا للرسولَيْن بالتظاهر والتزييف. وقد تطرق أغسطينوس لبعض النقاط الأخرى، منها ترجمة النصوص وشريعة الزواج، بأسلوب ينم عن التشقي، مع الوضع في الاعتبار مكانة جيروم الرفيعة إضافةً إلى أنه كان يكبره بثماني سنوات.

بسبب سلسلة من المعوقات الغربية تتضح منها صعوبة الإتصال في هذا العصر لم يصل الخطاب ليد جيروم إلا بعد تسع سنوات من كتابته. ولقد تم نسخه وتداوله في الغرب، وبالمصادفة سمع جيروم عن وجوده بين مجموعة من كتبه في جزيرة في البحر الأدرياتيكي، وبدا كأن أغسطينوس يحاول أن يكتسب شهرة بمهاجمة رجل مشهور من وراء ظهره. وهذا الظن لم يَمنح بسهولة سواء بواسطة خطاب أغسطينوس الثاني الذي شرح فيه ما حدث أو بالخطاب الثالث الذي كان ردًا على خطاب جيروم، يطلب فيه إرسال بعض من أعماله، وفيه أيضًا يحذر جيروم من يرأسه بأنه إذا تعارك فستكون النتيجة كما ذكرها فيرجيل وهي، إنتيللوس Entellus العجوز يقهر دارس Dares الفتى. جدير بالذكر أن أغسطينوس انتقد بشدة وبجهد أهم أعمال جيروم وهو الترجمة من الأصل العبري.

<sup>٨</sup> أي أسقف مدينة صغيرة.



بدأ صبر جيروم ينفذ، فقد طلب من أغسطينوس مرارًا وتكرارًا قائلاً: "أرسل لي النسخة الأصلية من خطابك لي، موقعة بخط يدك أو كف عن انتقادي". وقام جيروم بدوره بانتقاد بعض من تأملات أغسطينوس على سفر المزامير بحدة. ولكن بعد ذلك استقبل جيروم من أغسطينوس ردًا في خطاب مليء بعبارات الود والاحترام العميق مستنكرًا وجود أي مشاعر سيئة بين صديقين مسيحيين، مثل التي كانت موجودة بينه وبين روفينوس، لذا فقد رد جيروم أخيرًا على الخطاب الأصلي، المكتوب منذ حوالي عشر سنوات، واستقبل خطابًا به عادت العلاقة الحميمة بعدها بشكل كامل. ومنذ ذلك الوقت أصبحت واحدًا يتبادلان الرسائل بينهما باستمرار. سأل أغسطينوس جيروم بعض الأسئلة الصعبة عن أصل الروح وتغاضى عن تعبير Traducianism (ورثة الروح من الأبوين مثلها مثل الجسد)، الذي كان يميل إليه، بعكس جيروم الذي اعترض عليها، وطلب إرشاده في المشكلة البيلاجية، وأرسل أوريوس Orosius ليتعلم عن قدميه.

يؤمن جيروم بأن لكل امرئ هبة خاصة، وأظهر انخيازًا لكل ما يعلم به أغسطينوس. والخطاب الأخير بينهما بعثه جيروم إلى أغسطينوس وأليبيوس الصديق المشترك، وباولا حفيدة الصديق المقرب لجيروم، الذي دعاها أيضًا حفيدة أغسطينوس، ومن خلال تلك الرابطة التي بين عائلتي باولا وميلانيا اللتين كانتا منفصلتين لانخياز واحدة إلى جيروم والأخرى إلى روفينوس، قد اتحدتا مرةً أخرى بعد مجيء بنيانوس Pinianus وزوجته ميلانيا الصغيرة من كنيسة هيبو ليستقرا في بيت لحم. إن رسائل هذه الحقة موجودة في الجزء الذي يحوي أعمال أغسطينوس وليس هنا، ولكن لم يكن يمكن الكلام عن حياة جيروم حتى باختصار دون ذكر العلاقة التي كانت بين اثنين من كبار معلمي الكنيسة اللاتينية.

بيت لحم - الفترة الثالث (٤٠٥-٤٢٠م):

إن آخر فترة في حياة جيروم مبيئة بخمران وفقدان الأصدقاء والأمراض المتعاقبة. ماتت باولا. وجيروم فقير ومريض وفاقد البصر، محاطًا بالأعداء حوله وفي المناصب الرفيعة في الإمبراطورية. والبرابرة يجتاحون الإمبراطورية. بعض قبائل من آسيا الصغرى Isaurians تهدد شمال فلسطين وأحيانًا يتوغلون مرة في جنوب سوريا ومصر. بينما الجيش الرئيس، بعد تدميره دلماطيا مسقط رأس جيروم بقيادة الاريك، قد اتجه لمحاصرة روما.

٤١٠م. لجأت حشود كثيرة من روما وإيطاليا لبيت لحم واطاعة على عاتق جيروم عبئًا ثقيلًا، فقد بدا أن نهاية العالم على الأبواب. وفي حصار روما مات بماكوس ومارسيلا ثم تبعتهما استوكيوم بعد ثماني سنوات. وقد أدى الصراع مع البيلاجية إلى حرق أديرتة في بيت لحم وقد يكون ذلك أيضًا بسبب تجدد النزاع مع يوحنا أسقف أورشليم ومن خلفه برايلوس Praylus.

٤١٧م. بالرغم من كل هذا استمر في عمله بكل همة ونشاط كما نرى في مقدمات آخر شروحاته للأسفار. فما زال يلتفت حوله بعض الأصدقاء مثل بنيانوس، وألبينا، وميلانيا وباولا الصغيرة (خطاب ١٤٣)، وقلة ممن بقوا على قيد الحياة في روما؛ أوقيانوس، وفابيولا الصغيرة، وبعض الأشخاص في أماكن متفرقة ظلوا يقدرونه ويطلبون منه المشورة كما نرى من خطابه وعلى رأسهم أغسطينوس. وقد اتسع نطاق خطابه في هذه الفترة عما كان من ذي قبل. فقد أصبحت شهرته عالمية، يرسل من دلماطيا والغال وروما وأفريقيا. ومن خلال ما تحويه هذه الخطابات نستطيع تقييمه وذلك من خلال الملاحظات الموجودة في مقدماتها، ولكن يجب أن نشير إلى الخطاب النسكي الهام الذي أرسله إلى روستيكوس Rusticus عن 'حياة النسك'. وإلى أجروشيا Ageruchia، والرسائل عن 'حفظ الترميل'. وإلى

ديميتريا Demetrias عن 'حفظ البتولية' والذي يحوى صورًا حية عن أسلوب الحياة وعن أحداث هذا العصر وحصار روما. وإلى برنسيبيا Principia ويتضمن سيرة مارسيليا التي ماتت بسبب المعاملة السيئة في ذلك اليوم الرهيب، والرسالة إلى إيفانجيلوس الذي يعرض رأى جيروم عن مصدر الدرجات الكهنوتية الثلاث وترابطها. وإلى سابنيانوس Sabinianus الشماس المرتد الذي أحدث اضطرابًا داخل أديرة بيت لحم.

### الصراع ضد البيلاجية

الصراع الكبير والوحيد في هذه الفترة هو مع البيلاجية والذي اشترك فيه جيروم بناءً على إلحاح الآخرين أكثر منه دوافع ذاتية، لذا أظهر بعض اللين في تعامله مع البيلاجية وكانت رغبته في الانتصار أقوى من رغبته في إدانتهم. وهذا الأسلوب المعتدل لم يجعله ينجرف - مثل أغسطينوس - إلى العدا العنيف لمبادئ البيلاجية.

٤١٤م - ٤١٨م. ولكن عند مجيء أوروسيوس Orosius من شمال أفريقيا حيث عُقد مؤخرًا مجمع قرطاج، ثم في السنة التالية جاء بيلاجيوس وكالستوس Caelestius إلى فلسطين وعقدت مجامع، واحد في أورشليم تحت رعاية يوحنا الأسقف والذي كان مؤيدًا لتعاليم بيلاجيوس، ثم مجمع آخر في ديوسبوليس Diospolis، وبذا أصبحت فلسطين بؤرة الصراع.

٤١٦م. أغسطينوس من أفريقيا وإكتيسيفون Ctesiphin من روما التمساً من جيروم بأن يرد، لأن كلاً من أوروسيوس وبيلاجيوس يقتبساً من كلمات جيروم ما يؤيد كلاهما. فوجد جيروم نفسه مضطراً لأن يمسك قلمه ويرد. واستخدم في دفاعه الأخير الأسلوب الذي كان يستخدمه في دفاعه الأول 'ضد اللوسيفريين' وهو أسلوب الحوار (الديالوج)، وهذا العمل

يستحق الإعجاب لاعتداله، لكن لابد من الاعتراف بأن هذا الاعتدال جاء على حساب حيويته وحماسه.

إن جيروم كمؤمن يتعاون النعمة الإلهية مع الإرادة البشرية (Synergism) مستحيل أن يلقي بنفسه في خضم هذا الصراع مع من هو مقتنع تمامًا بسبق تعيين المصير (إشارة إلى أغسطينوس)، ولكنه لم يتورع عن أن يصم بيلاجيوس بالمهروط، ولا رحمة في التعامل مع المهراطقة.

بالرغم من الأسلوب الهادئ الذي اتبعه في مجادلاته إلا أنها جعلت منه فوراً قائداً للجماعة الأرثوذكسية في الشرق، وهدفاً معادياً بالنسبة لخصومهم.

٤١٦-٤١٧م. هاجمت حشود من رهبان بيلاجيين أديرتة وذبحوا بعض قاطنيها وحرقوا وهدموا مبانيها. ولم ينج إلا البرج الوحيد الذي احتوى فيه جيروم. وقد أدين هذا العنف الحادث في خطاب شديد اللهجة من البابا إنوسنتيوس Innocentius إلى الأسقف يوحنا والذي لم يلبث أن مات. وأرسل البابا أيضاً خطاباً إلى جيروم يتحدث فيه عن أغسطينوس كمنتصر وعن بيلاجيوس بأنه كاتيلين<sup>١٩</sup> آخر تاركا البلاد، على الرغم من بقاء أورشليم تحت سيطرة أعدائه الذين لقبهم بـ (نبوخذ نصر).

بالرغم من هذا لا نستطيع القول بأن كتاباته قد أحدثت تأثيراً كبيراً في الشرق، فقد هاجمه ثيودور الموبسيوستي (see Migne's Jerome, ii. 807-14) لأنه قال: "إن الإنسان يخطئ بسبب طبيعته وليس بسبب إرادته"<sup>٢٠</sup>

<sup>١٩</sup> كاتيلين: Lucius Sergius Catiline (١٠٨ق.م-٦٢ق.م) رجل روماني أرسوقراطي صار مهيجاً للجموع وقام بمحاولة انقلاب فاشلة.

<sup>٢٠</sup> كتب ثيودوسيوس الموبسيوستي كتاب بعنوان: "إن الخطية تنبع من الإرادة الحرة وليس الطبيعة" وهو كتاب مفقود وصل لنا ملخصاً له عن طريق فوتيوس Photius البطريرك البيزنطي في موسوعته *Bibliotheca*.

ومن الغرب جاءته أيضًا مقالة معارضة لأفكاره من أنيانوس Annianus شماس كيليدا Celeda والتي لم تتسن له الفرصة للرد عليها.

لقد تركزت دراساته الكتابية بالكامل خلال آخر خمسة عشر سنة في تفاسير أسفار الأنبياء، فقد اكتملت مجموعة تفاسير الأنبياء الصغار في عام ٤٠٦م، وسفر دانيال في ٤٠٧م، وإشعياء في ٤٠٨م - ٤١٠م، وحزقيال في ٤١٠م - ٤١٤م، وشغل سفر إرميا إلى الإصحاح رقم ٣٢ آخر سني حياته المتبقية. ومقدمات هذه التفاسير مليئة بتسجيل الأحداث الشيقة، منها حصار روما، وموت روفينوس، وانتشار البيلاجية، بينما سجّل في داخل تفسير حزقيال احتلال هيراقلين لروما.

إن اعتلال صحة جيروم وفقده لبصره والنزاع البيلاجي والمحن السابق ذكرها واهتمامه بالأديرة والحجاج إضافة إلى موت استوكيوم (٤١٨م)، كل هذا قد قلل من وقته للكتابة حتى أن تفسيره لسفر إرميا توقف عند إصحاح ٣٢ لمرضه الأخير. بيد أن آخر عمل له مفعم بالحيوية والحماسة القديمة. ولقد احتل المرض الجزء الأكبر من آخر سنة في حياة جيروم، حيث كان تحت رعاية باولا الصغيرة وميلانيا.

في كتاب تاريخ ازدهار أكويتان Aquitaine ذُكر أن وفاة جيروم كان يوم ٢٠ سبتمبر ٤٢٠م وأذيعت روايات كثيرة عن سيرته. ويقال أن رفاته قد نُقلت من مكان دفنه بجوار باولا واستوكيوم بالقرب من مغارة الميلاد (في بيت لحم) إلى كنيسة سانت ماريا ماجيوري Maggiore في روما. وسجلت آيات وعجائب كثيرة من قبره.

إن وصف جيروم عن حياة النسك في البرية - بلا شك - قد أعطى الاعتقاد بأن أسدًا كان دائمًا بجواره، كما هو موجود في أغلب الرسومات والتماثيل، خصوصًا الرسم المشهور لألبرت ديرر Albert Durer، إلا أن

القدیس جیروم، دراسة عن حیاته وأعماله

العمل التاریخی لا یجب أن یتقل بمثل هذه المعتقدات.

## أعمال جيروم

هذه قائمة بأعمال جيروم مقسمة تحت عناوين عديدة وموضح تاريخ كتابة كل مؤلف ومكانه، كما جاء في طبعة فالارسى Vallarsi، والأحد عشر جزءًا الموجودة بموسوعة ميني Migne لأقوال الآباء.

### (١) ترجمات الكتاب المقدس:

- من العبرية: - الفولجاتا للعهد القديم، ترجمت في بيت لحم (من ٣٩١ م - ٤٠٤ م)، ج ٩.
- من السبعينية: - المزامير المستعملة بكنيسة روما ترجمت في روما ٣٨٣ م والمزامير المستعملة في بلاد الغال ترجمت في بيت لحم ٣٨٨ م.
- هاتان الترجمتان في عمودين متوازيين في الجزء ١٠. المزامير باللغة الغالية موجودة بالتوازي مع الأصل العبري مع إيضاح الأجزاء الموجودة في السبعينية وغير موجودة في الأصل العبري وأيضًا الأجزاء الموجودة في العبرية ولا وجود لها في السبعينية.
- سفر أيوب جزء مترجم من السبعينية تمت ترجمته من سنة ٣٨٦ م - ٣٩٢ م في بيت لحم أما الأجزاء الأخرى فقدت (خطاب ١٣٤)، ج ١٠.
- من الآرامية: - سفري طوبيا ويهوديت، في بيت لحم ٣٩٨ م، ج ١٠.
- من اليونانية: - فولجاتا العهد الجديد، في روما (٣٨٢ م - ٣٨٥ م)، والمقدمة هي للأناجيل فقط، ج ١٠.

### (٢) تفاسير الأسفار التي له:

- سفر الجامعة، ج ٣، بيت لحم، ٣٨٨ م.
- سفر إشعياء، ج ٤، بيت لحم، ٤١٠ م.

- سفر إرميا، ج ٤، بيت لحم، ١٩: ٤ (في صحاح ٣٢).
  - سفر حزقيال، ج ٥، بيت لحم، ١٠: ٤ - ١٤: ٤.
  - سفر دانيال، ج ٥، بيت لحم، ٧: ٤٠ م.
  - الأنبياء الصغار، ج ٦، بيت لحم، ما بين (٣٩١ م - ٤٠٦ م).
  - إنجيل متى، ج ٧، بيت لحم، ٣٩٨ م.
  - غلاطية، أفسس، تيطس، فليمون، ج ٧، بيت لحم، ٣٨٨ م.
- التي ترجمها من أوريجانوس:

- عظات على سفرى إرميا وحزقيال، ج ٥، بيت لحم، ٣٨١ م.
  - عظات على إنجيل لوقا، ج ٧، بيت لحم، ٣٨٩ م.
  - عظات على نشيد الأنشاد، ج ٣، روما وبيت لحم، ٣٨٥ م - ٣٨٧ م.
  - تفسير سفر أيوب وجزء من مزموه منسوب إلى جيروم، ج ٧.
  - عظات على سفر إشعياء أيضا تنسب ترجمتها لجيروم، ج ٤.
- (٣) دراسات كتابية:

- كتاب 'عن الأسماء العبرية في العهد القديم'، بيت لحم، ٣٨٨ م، ج ٣.
- كتاب 'أسئلة في سفر التكوين'، بيت لحم، ٣٨٨ م، ج ٣.
- ترجمة كتاب يوسابيوس 'أسماء ومواقع أماكن العبرانيين'، بيت لحم، ٣٨٨ م، ج ٣.
- ترجمة كتاب 'الروح القدس' لديديموس، روما وبيت لحم، ٣٨٥ م - ٣٨٧ م، ج ٢.



(٤) تاريخ الكنيسة والدفاعات:

- 'مشاهير الرجال'، بيت لحم، ٣٩٢م.
- 'الحوار مع اللوسيفريين'، أنطاكية، ٣٧٤م.
- 'حياة بولا الناسك'، الصحراء، ٣٧٤م.
- 'حياة ملخس وهيلاريون'، بيت لحم، ٣٩٠م.
- ترجمة قوانين الرهينة لباخوميوس، بيت لحم، ٤٠٤م.

(٥) كتب حول النسك:

- ضد هلفيديوس، روما، ٣٨٣م.
- ضد جوفنيان، بيت لحم، ٣٩٣م.
- ضد فيجيلانتيوس، بيت لحم، ٤٠٦م.

(٦) مقالات عن صراعاته الشخصية:

- ضد يوحنا أسقف أورشليم، بيت لحم، ٣٩٧م.
- ضد روفينوس ج ١، ج ٢ سنة ٤٠٢م، ج ٣ سنة ٤٠٤م.
- ضد البيلاجيين، بيت لحم، ٤١٦م.

(٧) التاريخ العام:

- ترجمة تاريخ يوسابيوس، مع إضافات جيروم، ج ٨، القسطنطينية، ٣٨٢م.

(٨) كتابات شخصية:

وتشمل الخطابات التي أرسلها:

- خطاب (١)، أكويليا، ٣٧٠م.
  - خطابات (٢ - ٤)، أنطاكية، ٣٧٤م.
  - خطابات (٥ - ١٧)، الصحراء، ٣٧٤م - ٣٧٩م.
  - خطاب (١٨)، القسطنطينية، ٣٨١م.
  - خطابات (١٩ - ٤٥)، روما، ٣٨٢م - ٣٨٥م.
  - خطابات (٤٦ - ١٤٨)، بيت لحم، ٣٨٦م - ٤١٨م.
  - (٩) كتابات منسوبة لجيروم وليست أصلية:
- توجد هذه الكتابات في طبعة فالارسي وهي في الجزء السابع:
- ملخص وشرح ومقدمة لسفر المزامير.
  - بعض المقالات باليونانية وقائمة بالأسماء العبرية.
  - الأسماء والأماكن في سفر أعمال الرسل.
  - أسماء الله العشرة.
  - رسامة الآباء البطارقة.
  - التجارب العشرة في الصحراء.
  - شرح لتسبيحة دבורة.
  - تساؤلات بالعبرية في أسفار الملوك وأخبار الأيام.
  - تفسير سفر أيوب. ج ٣.
  - ثلاثة رسائل في ج ١، وواحد وخمسون رسالة في ج ١١.
  - العديد من الكتابات المزيفة في ج ١١ أغلبها كتبه بيلاجيوس.

## تاريخ المخطوطات

حُفِظَت كتابات جيروم عمومًا بشكل جيد، وهذا بفضل التبجيل الشديد لهذا القديس في العصور الوسطى. بالنسبة إلى عدد الرقوق والنسخ، فالاختلافات ليست عديدة، وقد ظهرت النسخة الأصلية للخطابات وبعض الكتب في روما عام ١٤٧٠م، ونسخة أخرى معاصرة لها ظهرت في مانتر *Maintz*، بعد ذلك أعيدت طباعتها في فينيسيا ١٤٧٦م، ثم روما ١٤٧٩م، وبارما ١٤٨٠م، ونورمبرج ١٤٨٥م، وفي أماكن أخرى عديدة.

ظهرت النسخة الأصلية للتفاسير في نورنمبرج *Nuremberg* عام ١٤٧٧م، وأعيدت طباعتها مرات عديدة في أماكن مختلفة، مثل ترجمة عظات أوريجانوس على إنجيل لوقا... إلخ طبعت في بازل عام ١٤٧٥م، وحياة النساك في نورنبرج ١٤٧٦م، وتاريخ الكنيسة في ميلان ١٤٧٥م.

أما النسخة الحقيقية الأولى للمجموعة الكاملة من مؤلفاته، فقد كانت عند إيراسموس<sup>٣١</sup> *Erasmus* (في بازل ١٥١٦م - ١٥٢٠م) والتي أضفى عليها قدرته العظيمة في التحليل عليها وذلك لإعجابه الشديد بـ *جيروم*. وقد قام بمساعدته في هذا أو كولامباديوس<sup>٣٢</sup> *Oecolampadius* وبعض الدارسين الآخرين.

احتلت هذه النسخة المكانة الأولى حتى عام ١٥٦٠م، إلى أن ظهرت نسخة ماريانوس فيكتوريوس *Marianos Victorius*، فيما بعد أسقف ريتي *Rieti* (Rome, Paulus Manutius) والتي تتميز بملاحظات أكثر، وبها تصحيح أكثر من نسخة إيراسموس. ولكنها مثل سابقتها تحتوي على كتابات منسوبة

<sup>٣١</sup> إيراسموس: لاهوتي وفيلسوف هولندي.

<sup>٣٢</sup> أو كولامباديوس: واعظ وأستاذ آباءيات ألماني كان مقرَّبًا من زوينجلي زعيم البروتستانتية في سويسرا.

زيقًا لجيروم. وهذه النسخة كانت مهداة للبابا بيوس الخامس، والبابا جريجورى الثالث عشر، وكانت هي النسخة المفضلة لدى الكنيسة الرومانية.

في عام ١٦٨٤م ظهرت نسخة تريبيكوفوس Tribbechovius من غوثال Gothall (فرانكفورت)، وتشمل تنقيحًا لكل الهوامش الملحقة بها حتى ذلك العصر، وقد تم إصدار هذه النسخة على نفقة فريديك البروتستانتي دوق مقاطعة ساكسونيا Saxony.

في عام ١٦٩٣م تأتي النسخة البندكتية لمارتياني Martianay وبوجيه Pouget من باريس والتي تتضمن نسخة أصلية من الفولجاتا وأخرى جديدة، ولكن لاتزال بها عيوب في ترتيب الرسائل والمقالات.

كل هذه النسخ القديمة أُلقيت في الظل بعد ظهور نسخة دومنيك فالارسي Domminic Vallarsi كاهن فيرونا المتعلم (فينيسيا ١٧٦٦م - ١٧٧٢م). وفي هذه النسخة الرسائل منفصلة عن المقالات، وكل منها مرتب ترتيبًا زمنيًا، وموضح بها زمان وصول كل رسالة أو مقالة وكيفية ذلك.

وأنا لم أجد - والكلام للمترجم من اللاتينية - سببًا لتغيير التواريخ التي وضعها فالارسي إلا في موضع أو اثنين لا أكثر. لكن الملاحظات التفسيرية ليست وافية كما كنا نتمنى. والمراجع التي يستشهد بها غالبًا ما تكون غير صحيحة أو ناقصة.

هذه النسخة قد أعاد طبعها ميني Migne الذي طبع النص بخط أكبر، وأغلب كتاب العصر يرجعون إليها فقط، كما هو متبع في هذا الجزء.

## كتابات عن جيروم

في العصور الوسطى تم تدوين ثلاثة مؤلفات قصيرة عن حياة جيروم من كتاب غير معروفين (أحدها منسوب خطأ لجناديوس<sup>٣٣</sup> Gennadius) وهذه المؤلفات موجودة في مقدمة فالارسي (vol. i. 175-214)، ويعتقد زوكر Zockler أن أحدها من تأليف سباستيان Sebastian من مونت كاسينو Monte cassino، والأخرى كتبها يوحنا أندرياس John Andreas من بولونا Bologna في القرن الرابع عشر، وطبعت في بازل عام ١٥١٤م، والثالثة كتبها لاسير Lasserre طبعت في باريس عام ١٥٣٠م بعنوان جدّاب:

“La Vie de Monseigneur Saint Hierome,” with “La Vie de Madame Sainte Paule”.

أما الأعمال المتأخرة غير التحليلية، فقد طُبعت في مدريد بواسطة Bonadies عام ١٥٩٥م وكيرميلوس Cermellus في فيرارا Ferrara عام ١٦٤٨م، وهذا الأخير عبارة عن مقاطع من نصوص جيروم.

في غضون هذه الآونة كانت المدارس النقدية آخذة في الظهور، إيراسموس وماريانوس فيكتوريوس Marianus Victorius أرفقوا فصل عن حياة جيروم كمقدمة نسختهم لكتابات ١٥١٦م، ١٥٦٥م. وبارونيوس Baronius في تاريخه Annals، ودو بن Du Pin في *Bibliothèque des Auteurs Ecclésiastiques* (1686) أماطا اللثام عن أحداث جديدة في حياة جيروم. وأضاف مارتيني في ختام نسخته لأعمال جيروم، فصل بعنوان 'حياته' مسجلاً أقوال الآباء عن جيروم، ولكن به أخطاء كثيرة في تسلسل

<sup>٣٣</sup> جناديوس: كاهن ولاهوتي فرنسي في أواخر القرن الخامس.

الأحداث التاريخية ، صرح بعضها كل من تليمونت<sup>٣٤</sup> Tillemont في كتابه المبدول فيه جهد شاق 'Mémoires' (Paris, 1707)، وسيلير Ceillier في كتابه *Histoire des Auteurs Ecclésiastiques* (Paris, 1742). أما كتاب سباستيانو دولسي Sebastiano Dolci (Ancona, 1750) فمأخوذ بالكامل من كتابات جيروم نفسه.

دخلت حياة جيروم حقبة جديدة عندما أرفق فالارسي جزء عن حياته في مقدمة نسخته عن جيروم بمقدمة نسخته تمامًا كما هو الحال مع كتاباته، فعلى الرغم من أن أسلوبها جاف بعض الشيء إلا أنها موثوق بها كليا، وأصبحت نسخة ميني في متناول من يقرأ اللاتينية أكثر من غيرها.

لم ينشغل البولندي ستيلنج Stilling (Acta Sanctorum, vol. viii., ) (Antwerp, 1762) بإضافة أي شيء يذكر لسيرته أو أعماله سوى تكريمه كقديس.

يتضمن كتاب العلامة دان Dane، (1797) Engelstoft منظورًا شاملاً عن مكانة جيروم التاريخية، أكثر من كل الكتابات السابقة. نجد سيرة جيروم بشكل ممتاز في كل من:

- Schrökh's Ecclesiastical History (1786)
- The articles of Cölln in Ersch and Grüber's Encyclopädie and of Hagenbach in Herzog's Real-Encyclopädie.

وفي الأدب الفرنسي نجد قصة تأثير جيروم النسكي في:

- Montalembert's *Monks of the West* (Paris, 1861)

---

<sup>٣٤</sup> تليمونت: مؤرخ كنسي فرنسي.

- *The Histoire de St. Jérôme* by Collombet (Paris, 1844)

وهي مفيدة في إدراك منزلة جيروم من الناحية الشخصية ومن ناحية علم الآثار، بالرغم من أنها تتغاضى بتحيز عن أسلوب جيروم العنيف.

أيضًا نجيل القارئ الإنجليزي إلى البحث تحت اسم Hieronymus في:

*Dictionaries of Greek and Roman Biography and of Christian Biography.*

أنتج عصرنا الحالي عملين ممتازين وهما:

- Dr. Otto Zöckler, *Hieronymus, Sein Leben und Werke* (Gotha, Perthes, 1865).

- Amédée Thierry, *Saint Jérôme, la Société chrétienne à Rome et l'émigration romaine en terre sainte* (Paris, 1867, originally published in the *Revue des Deux Mondes*).

الأول يقدم حياة جيروم وأعماله بصورة واضحة متجردة شاملة، والثاني يقدم سلسلة من الصور الحية والشيقة لجيروم نفسه، وأصدقائه، وزمنه، ورغم أنه دقيق عمومًا، إلا أنه أحيانًا ينحرف من الحقيقة إلى الخيال. ويخطئ في الحكم على بعض الأمور بسبب انتمائه وتحيزه للكنيسة الرومانية الكاثوليكية. وقد سلط كل من هذين الكتائين الضوء على أعمال جيروم في صورتها الأصلية. ولكن مما يقلل من قيمة كتاب تيري هو أن مرجعه كتاب مارتيازي الضعيف في ترتيبه التاريخي عوضًا عن نسخة فالارسي.

والآن أصبح جليًا سبب استحالة جمع كل أعمال جيروم في كتابنا هذا، ولكن قد نحتاج أيضًا إلى عدد من الإيضاحات:

بالنسبة إلى الفولجاتا، فإن ترجمتها بالإنجليزية لن يجدي نفعًا وإن تمت فمن الطبيعي أن تكون ضمن مجموعة النقد الكتابي. أما التفسير والأعمال المتعلقة بالدراسات النصية، فسوف تكون وحدهما مجلدين كاملين مثل هذا المجلد. وبالرغم مما يحتويه من أمور شائعة - مثل أقوال العديد من آباء الكنيسة والمفكرين مثل أوريجانوس وأبولليناريوس<sup>٣٥</sup> وغريغوريوس التزينزي وديديموس، وبعض النصوص المشهورة مثل التي أحدثت نزاعًا بين أغسطسينوس وجيروم، بالإضافة إلى بعض التلميحات اللافتة للنظر إلى الأحداث التاريخية، مثل اجتياح هيراقليان لروما- إلا أنها في محتواها العام ليست بذات أهمية توازي الجهد المبذول في الترجمة أو نفقات الطبع أو زيادة الحجم. ولكن يستثنى من هذه كتاب 'أسماء وأماكن العبرانيين' فنجد أنه ضمن أعمال يوسابيوس ( see pp. 485, 486 and Prolegomena to Eusebius, Vol. i. of this series). وقد كان من الضروري وضع ترجمة أعمال جيروم في جزء خاص، مع استثناء كتاب 'مشاهير الرجال' و'ضد روفينوس' الموجودين في الجزء الثالث من هذه السلسلة.

'تاريخ الكنيسة' ليوسابيوس إذا ترجم فسيكون ضمن أعمال يوسابيوس. أما الكتب عن تاريخ الكنيسة والمقالات الجدلية فموجودة كاملة.

تُعد الخطابات أهم ما ورثه جيروم لمن خلفوه بعد الفولجاتا. فكل ما يشمل منها مواد شخصية وتاريخية هامة وشائعة، تم ترجمته. والتي أغفلنا ترجمتها هي:

(١) الخطابات التفسيرية، يسري عليها ما قلناه عن كتب التفسير.<sup>٣٦</sup>

<sup>٣٥</sup> لا يُعتبر أبوليناريوس من آباء الكنيسة لإدانتته بالهرطقة.

<sup>٣٦</sup> في هذا الجزء تم ترجمة ثلاثة خطابات تفسيرية هي الخطابات رقم ١٨، ١٩، ٢١ من:



- (٢) الخطابات إلى أغسطينوس، لأنها موجودة في الجزء الأول من المجموعة الأولى من هذه المكتبة، ومرفق بها ردود أغسطينوس عليها.
- (٣) رسائل البابا ثيوفيلس العادية والفصحية، وقد تم عمل ملخص لكل منها.
- (٤) وللمزيد من التفاصيل على القارئ الرجوع إلى الفهرست، ومن أجل الحصول على معلومات أكثر، انظر المقدمات.

## تقییم لأعمال جیروم ومدى تأثيرها

### کتاباته عموماً

لا تُقیَّم أعمال جیروم من خلال مميزاتھا الداخلية فقط، ولكن أيضاً من خلال موقعه التاريخي ومدى تأثيره. ولقد سبق أن أوضحنا أن جیروم عاصر الحقبة الأخيرة من الحضارة (الجرىجو - رومانية) القديمة. فقد توفى قبله آخر مشاهير الشعراء الرومان كلوديان Claudian، وكذلك آخر المؤرخين الرومان أميانوس ماركيللینوس Ammianus Marcellinus، وأغسطينوس قد عاصره، أما باقي الآباء العظام سواء في الشرق أو الغرب فرحلوا قبله. وشهد في حياته حصار الاريك لروما (٤١٠م) واجتياحها بواسطة هيرقلیان (٤١٣م)، وسقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية في الثلاثين سنة التي تلتها.

التواصل بين الغرب والشرق أصبح نادراً، وشحَّ تبادل المعرفة، فيوسابيوس لم يكن يعرف اللاتينية، وأمبروسيوس كان جاهلاً باليونانية، وروفينوس الذي كان من الآباء الكنسيين الأقل مرتبة من آباء الكنيسة العظام، استقبلته إيطاليا عقب عودته من الشرق عام ٣٩٧م كشخص قادر على نقل كنوز آباء الكنيسة اليونانية إلى اللاتينية. ووهن العقل البشري، الذي ظل أحد مشكلات التاريخ، قد ساد هذه الفترة. والعصر المسيحي الجديد الذي كان يكافح كي تولد، تأثر جیروم أكثر من أي أب آخر من آباء الكنيسة.

### الثقافة العامة

فيما يتعلق بالثقافة العامة كان مستحيلاً فعلاً أن يصل إلينا منه أي ميراث، لأنه دائماً ما ازدراه، على الرغم من أنه كان يستشهد به ويعرضه. ولقد دافع عن نفسه بحجج ذكية من تهمة تعلقه بالأدب الدنيوية، وذلك

بعد نضوج قناعاته. ولذا فقد كان تأثيره م هو إلا زيادة تجاهل ورفض الآداب العامة الذي كان سمة العصر واستمر حتى عصر الإصلاح.

في الواقع أسلوبه كان ممتازًا ومضبوحًا ومتناسقًا مليئًا بالحيوية والأمثلة الملائمة. وينتقل من موضوع إلى آخر بطلاقة كبيرة. حتى أن إيراسموس قد عمل مقارنة بينه وبين فلاسفة عصره، فلقبه بـسيرو المسيحي، ولكن كان له أيضًا أخطاء سيرو خصوصًا في الإطناب.

إن لغته اللاتينية واضحة بشكل لافت. وباستثناء الاستخدام المفرط للفعل في صيغة المصدر للتعبير عن قصده وبعض الكلمات من اللاتينية المتأخرة مثل 'المعزي' *confortare*، يصعب على القارئ أن يتصور أنه عاش بعد العصر الأغسطسي<sup>٣٧</sup> Augustan Age بأربعمائة سنة، وإتقانه لهذا الأسلوب سببه واضح، وهو أنه لم يكتب سوى رسائل قليلة وشروحات بسيطة قبل أن يبلغ عامه الخامس والثلاثين.

### الخطابات

استمدت خطابه جاذبيتها من كونها خطابات شخصية بالدرجة الأولى. إن المشهد الذي تحرك فيه هو ومراسليه جعل الصورة حية أمام أعيننا. انظر وصفه للحياة في روما في رسالته إلى استوكيوم (٢٢)، وإلى باولا عن موت بلاسيللا (٣٩)، وإلى لايتا (١٠٧) حول تربية طفلتها، وإلى أجيروشيا (١٢٣)، وسيرة حياة فاييولا (٧٧)، وإلى باولا (١٠٨)، وإلى مارسيللا (١٢٧)، وإلى نبوتيان (٥٢) عن وصفه لحياة الإكليروس، وإلى روستيكوس (١٢٥) عن حياة النسك، وإلى سابنيان (١٤٧)، وخطاباته عن الإرشاد الروحي لأم وابنتها

<sup>٣٧</sup> العصر الأغسطسي: نسبة إلى الإمبراطور أغسطس، من عام ٤٣ ق.م إلى عام ١٨ م وبلى العصر السيسروفي ويسمى العصر الذهبي للأدب اللاتيني.

(١١٧)، وإلى يوليانوس (١١٨)، وإلى روستيكوس (١٢٢)، وإلى استوكيوم (٢٢) عن حياة البتولية، وعن وصفه الساخر لأوناسيس (٤٠)، وروفينوس، وفيجيلانتيوس، وعن ابتهاجه وتحمسه للأراضي المقدسة في الخطاب الذي كتبه عن باولا واستوكيوم إلى مارسيللا يدعوها كي تنضم لهم (٤٦). أيضًا توجد خطابات متميزة ومشهورة مثل؛ إلى أسيللا (٤٥) عن رحيله من روما، وإلى بماكوس (٥٧) عن أحسن طرق الترجمة والتي تظهر مدى التحرر الذي كان عند مترجمي ذلك العصر، وإلى أوقيانوس (٦٩) دفاعًا عن الزواج الثاني الذي عقده الأسقف الأسباني وقد كان الزواج الأول قبل نوال سر المعمودية، وإلى ماجنوس (٧٠) يبرر فيها استخدامه للأدب الوثني كاشفًا عن إلمامه الكامل بالمعارف والآداب، وإلى ليسينيوس (٧١) حول نسخ أعماله، وإلى أفيتوس (١٢٤) عن كتاب لأوريجانوس 'المبادئ'، وإلى ديميتريا (١٣٠) عن حفظ البتولية، وإلى إكتيسيفون (١٣٣) حول الصراع مع البيلاجيين.

#### انتشار أعماله

هناك عاملان قد أديا إلى زيادة أهمية هذه المجموعة من الرسائل وقوتها، أحدهما هو حقيقة أنه لا يوجد خط واضح يفصل بين ما هو للنشر العام وما هو شخصي، وفي كتالوج أعماله قال بنفسه: "الخطابات المرسله إلى باولا واستوكيوم لا حصر لها فقد كنت أكتب لهما يوميًا". وعندما صار مشهورًا قال إن كل ما يكتبه يُنشر فورًا سواء بواسطة الأعداء أو الأصدقاء. لذا فنحن لدينا أغلب تعبيراته الخاصة. ومن الناحية الأخرى فهذه الخطابات سرعان ما تتحول إلى مقالات، يتلقفها آخرون أكثر من الذين كُتبت إليهم. لكن عملية النشر هذه لم تكن مستقرة، حتى أنه هناك فترة لا توجد بها أي خطابات تصل إلى سبعة أعوام، بين الخطاب (٤٦) والخطاب (٤٧) وهي الفترة من ٣٨٦م إلى ٣٩٣م. والعامل الثاني هو المصاعب التي تواجهها الاتصالات والتي تجعل من الخطابات شيئًا نادرًا وقيمًا. من أجل ذلك كانت

تكتب بدقة شديدة واهتمام بالغ. وقد ظهر بوضوح كلا العاملين أثناء تبادل جيروم وأغسطينوس أولى الخطابات بينهما. فأغسطينوس كتب من هيبو في أفريقيا خطابًا هامًا وطويلاً إلى جيروم (٥٦) في عام ٣٩٤م والذي لم يصل إلى جيروم في بيت لحم إلا بعد عشرة أعوام تقريبًا، كان قد عَهَدَ إلى الكاهن بروفيتيرس بتوصيله إلى جيروم، إلا أنه اختير أسقفًا قبل أن يبدأ رحلته، فرجع إلى بلده ثم تتيح بعدها. ولم يصل الخطاب إلى جيروم ولا رجع إلى أغسطينوس، ولكن آخرين نسخوه وأصبح منتشرًا في الغرب، وكان يحتوي على نقد لاذع لجيروم دون أن يدري به جيروم. بعد فترة علم أغسطينوس عندما اطلع على خطاب أرسله جيروم لأحد أصدقائه أن الخطاب لم يصل إليه، فما كان منه إلا أن كتب خطابًا ثانيًا بذات السياق، وأودعه باولوس كي يوصله، إلا أنه رفض الذهاب إلى بيت لحم متذرعًا بخوفه من السفر عبر البحار. وبعد عام أو اثنين وجد أحد أصدقاء جيروم نسخة من الخطاب مرفقة بمجموعة من مقالات أغسطينوس بجزيرة في البحر الأدرياتيكي. فلما سمع جيروم بهذا بالطبع استشاط غضبًا عليه. ولم يصل لجيروم أي نسخة أصيلة من خطابي أغسطينوس إلى عام ٤٠٤م حتى يستطيع الرد عليه. وعلى الرغم من هذا فردوده ومعرفتنا برأيه مكتملان أكثر مما لو كان الاتصال المباشر بينهما أكثر سهولة.

#### ثقافته

جيروم رجل واسع المعرفة وذو ثقافة متعددة الجوانب (انظر قائمة آباء الكنيسة الذين استخدموا الفلسفة الوثنية)، مثل سرده للحكايات الغريبة عن الزواج التي جمعها من مختلف العصور، ووصفه للعديد من أنواع الأطعمة والأدوية ومعرفته بفيثاغورس وتعاليمه، لكن كل هذا كان بدافع حب الاستطلاع كراهب من رهبان هذا العصر المتأخر أكثر منه نزعة فيلسوف أو مؤرخ.

كان على دراية كبيرة بالتاريخ والآداب الرومانية واليونانية؛ وترجم تاريخ الكنيسة ليوسابيوس، وذكر عدة طرق تؤدي إلى الهند وإلى البراهما وعن العادات السوتية<sup>٣٨</sup> والبوذية، إلا أنه لم يكن محققًا، فلم يقدّم بتصحيح الأخطاء التاريخية، وما أضافه إليها يدل على بساطته.

تأثر بشدة بسبب حصار روما مشيرًا إليها مرارًا وتكرارًا، بيد أن سرده لهذه الأحداث وأخرى مماثلة لم يتجاوز ما قاله مؤرخو العصور الوسطى. وكان منعزلاً، فلم يكن على دراية باهتمامات الناس.

### تاريخ الكنيسة

إن عدم التدقيق والابتعاد عن الاهتمامات العامة إضافة إلى ضيق الوقت، قد أدى إلى منع جيروم من الإسهام بشكل جدير بالاعتبار في تدوين التاريخ الكنسي، وظهر أن له بعض القدرات لمثل هذه الأمور في مواضع كثيرة في مقاله ضد اللوسيفريين، وكتابته لقائمة آباء الكنيسة (On Illustrious Men, Vol. iii. 361-384)، ومفهومه عن تاريخ الكنيسة يتضح من تصريحه بأنه نوى أن تكون سيرة الراهب ملخوس والراهب هيلاريون جزءًا من سلسلة، حينما تكتمل ستشكل تاريخًا للكنيسة، إلا أن هذا التاريخ لا يعد أكثر من نسخة مطولة من كتاب روفينوس لسير الرهبان.

كان أهمية دور جيروم في التاريخ الكنسي جليًا من ناحية أخرى، فكانت يكمن في وصفه الحياة في عصره والتي أمدتنا بها لنا سيرته الذاتية ورسائله والنزاعات التي دخل فيها.

<sup>٣٨</sup> السوتية Suttee: عادة هندوسية وهي إحراق المرأة نفسها في محرقة جثة زوجها.

## فكره اللاهوتي

مواقفه في حواراته وجدالاته تدفعنا إلى اعتبار جيروم معلمًا لاهوتيًا، ولكن في هذا الموضوع أجمع الكل على ضعفه، فلم تكن الموضوعات اللاهوتية تثير اهتمامه.

إن أولى خطاباته ذات الطابع اللاهوتي قد كُتبت من الصحراء إلى البابا داماسوس، وتُظهر بوضوح المشكلات التي أثّرت نتيجة لاختلاف المصطلحات ومجال استخدامها بين الشرق والغرب. الشرق ينادى بجوهر واحد (Essence - ουσια) وثلاثة أقانيم (Substances - υποστασαι)، بينما الغرب يعترف بجوهر واحد (Substance) وثلاثة أقانيم (Persons - προσοπον)، لكن جيروم لم يَقم بمحاولة كشف ما وراء هذه الكلمات من معاني، بل طلب فقط ألا يجبر على قبول المصطلحات الشرقية، وأعلن بوضوح تام أنه خاضع كليًا لقرار بابا روما.

عدم الاهتمام بالمسائل اللاهوتية من الأساس يفسر تصرفاته إزاء أوريجانوس، فيمدحه بإفراط حينًا ويدينه بشدة حينًا آخر. ولقد كان مبهورًا بعبقرية أعماله وغزارتها في دراسة النصوص الكتابية والشروحات التي كان جيروم نفسه مولعًا بها. برغم أن تناول جيروم السابق لرؤيا إشعيا النبي، والتي تمس عقيدة التثليث، قد نحي جانبًا رأي أوريجانوس،<sup>٣٩</sup> الذي يرى أن

---

<sup>٣٩</sup> يذكر العلامة أوريجانوس في كتابه 'المبادئ' وكذلك تفسيره لرؤيا إشعيا أن أحد المعلمين العبرانيين يرى أن الساروفيم والشاروبيم هما أقتوي الابن والروح القدس، وهو هنا أن كان ينسب هذا التعليم لأحد المعلمين من أصل يهودي إلا أنه - أي أوريجانوس لا يعترض عليه، الأمر الذي أثار حفيظة جيروم بكل تأكيد. "لقد اعتاد معلمي اليهودي أن يقول بأن الساروفيم الاثنتين ذو الستة أجنحة في إشعيا وينادي أحدهما الآخر قدوس، قدوس، قدوس رب الصباؤوت يفهم أنهما الابن والوحيد والروح القدس."

Origen, *De Principiis* (1.3.4), ANF Vol. 4, p. 253.

نفس الشيء يؤكد أوريجانوس في عظاته عن إشعيا حيث يجب عن التساؤل من هما الساروفيم الاثنتين ويقول: "هما ربي يسوع المسيح والروح القدس."

السيرافيم هما الابن والروح القدس، مُظهرًا خطأ تفسيره لطبيعة علاقتهما بالآب، إلا أنه في أحيان أخرى ويسبب عدم اهتمامه بالمسائل اللاهوتية، كرر عبارات وراء أوريجانوس بدون نقد، مثل التي تشير إلى سبق وجود الروح وإمكانية رجوع الشيطان إلى مرتبته مرة أخرى (Ruf. Apol. ii. 13, Vol. iii. 467). وفي وقت لاحق عندما أثير موضوع أرثوذكسية أوريجانوس، أيد إجماع الكنيسة كلها على إدانة تعاليمه دون أن يكون على علم بأي خطأ له. وبالنسبة ليوسابيوس القيصري فقد قال في مقدمة ترجمته لكتاب 'أسماء وأماكن العبرانيين' إنه من أشد المعجبين به. بينما في جداله مع روفينوس ذكر أن يوسابيوس ليس إلا هرطوقياً<sup>٤١</sup>؛

في جداله مع أغسطينوس حول ما جاء عن المشاجرة بين القديس بطرس والقديس بولس (غل ٢)، الذي فسرها جيروم بأنها ليست مشادة حقيقية، بل حوارًا تمثيليًا مُعدًا مسبقًا، لتوصيل وجهة نظر بولس وحله لهذه المعضلة في دخول الأمم للإيمان. ولما كان من الواضح أن جيروم على خطأ، قابل هذا كشخص أسكت وليس كمن اقتنع. وفي وقت لاحق قال لأوغسطينوس (خطاب ١٣٤) "إذا رأى الهرطقة أننا مختلفان في آرائنا فسوف يعززون هذا إلى الكراهية زورًا وبهتانًا، لذا فقراري النهائي هو أن أحبك، وأرفع من شأنك، وأشير إليك بتبجيل، وأدافع عن آرائك كأنها آرائي."<sup>٤٢</sup>

إن خشيته من السقوط في هرطقة تتضح في دفاعه ضد البيلاجيين والتي فيها قال صراحةً إنه بينما الخطية يمكن أن تغتفر، إلا أن الهرطقة كونها

Origen, *Homilie in visions Isaiae* 1,2 PG 13, 221 - 222.

<sup>٤١</sup> كان يوسابيوس من أنصار الأريوسيين الذين لا يعتقدون بالمساواة تمامًا بين الآب والابن في الجوهر، غير أن هذا لا يعني أنه يعتبر أهم مؤرخ كنسي ويلقب بأبو التاريخ الكنسي (ن).



عديمة التقوى لها وعيد "تَارِكُوا الرَّبَّ يَفْتَنُونَ"<sup>٤١</sup>. في الحقيقة أظهر تساهلاً كبيراً في كتابه 'مشاهير الرجال'، ودافع عن نفسه في خطاب لأغسطينوس لأنه شمل في هذا الكتاب شخصيات مثل فيلو اليهودي وسينيكا الوثني. وعلى الرغم من أن هذا يبدو أنه يقوده إلى الاعتراف بالعالم الوثني مثلما فعل أوريجانوس وكليمنس الاسكندري، إلا أن هذا في الحقيقة لم يمنعه من الحكم على هؤلاء بالعذاب الأبدي حتى أكثر الوثنيين فضيلة، لأنه أخبر السيدة الرومانية مارسيللا أنه يكتب إليها لهدف واحد، وهو إخبارها أن الحاكم الوثني فيتوس أجوريوس براكستاتوس، والذي كان يعد مثلاً للنبل والرفعة، ومات مؤخراً، هو الآن موجود في الجحيم، أما صديقتهم ليثة والتي ماتت في اليوم ذاته فهي في الملكوت.

إن عدم رغبته في التعمق في المشكلات اللاهوتية قد باتت واضحة في جداله ضد البيلاجية، فمن الجلي أنه كان بعيداً كل البعد عن فكرة فساد الطبيعة البشرية فساداً تاماً والتي كان أغسطينوس مقتنعاً بها، وفي الحقيقة قد ظهر في بعض الأحيان وكأنه يهاجم نفسه، حين قال: "حتى نهاية حياتنا نحن معرّضون للسقوط في الخطية، لا بسبب خطأ في الطبيعة البشرية أو في تكوينها (كما زعم معارضيه كذباً). بل بسبب ضعف الإرادة البشرية وعدم ثباتها، فهي متغيرة من لحظة إلى أخرى" الجملة التي يمكن أن تؤخذ على أنها تعبر عن مفهوم بيلاجيوس نفسه! وهذا دليل على أنه لم يقحم نفسه في هذا بدافع إظهار الحقيقة، بل بتأثير من بعض الأساقفة الأقوياء ورغبة في الحفاظ على سمعته الأرثوذكسية.

إن جدالاته الأخرى مع هلفيديوس، وجوفينيان، ويوحنا أسقف

<sup>٤١</sup> إيش ٢٨:١.

أورشليم، وفيجيلانتيوس وروفينوس، كان أسلوبه فيها هو الانحياز إلى الرأي السائد بين مسيحي ذلك العصر، مؤيدًا إياه بشواهد عديدة من الكتاب المقدس وفي بعض الأحيان زيادة عن اللزوم. وبعض الدفاعات جيد ومتقن جدًا مثل الدفاع ضد هلفيديوس، والبعض الآخر ذو طابع عبثي مثل الجدل مع فيجيلانتيوس. ومع الثلاثة الأخر كان يمطر الخصم بوابل من المشاعر العدائية الشخصية حتى أنه كان يجد صعوبة في كبح جماحه وإخفاء مدى الكراهية والازدراء التي يكنها للخصم.

في دراساته للنصوص الكتابية كانت له أحكام متحررة؛ فقد قال حينًا: "سواء كنت تعتقد أن موسى كاتب التوراة أو أن عزرا أعاد كتابتها، في كلا الحالتين أنا لا أعتز"، أو أن سفر التثنية فقط هو ما وجد في الهيكل في عصر الملك يوشيا (٢مل٢٢)، أو أن يقارن بين النور الخافت الذي للرسل ونور مصباح المسيح الباهر.

لكن هناك ثلاثة مبادئ هامة آمن بها بشكل مستقل، وتمسك بها بشجاعة:

(١) ميز بوضوح بين الأسفار القانونية وغير القانونية، وهذا برغم ذكره بأن مجمع نيقية قد أقر بقانونية سفر يهوديت. ولهذا فهو بحق مكرم في وثائق كنيسة إنجلترا القانونية (Art. 6).

(٢) حافظ على الهوية الأساسية للأسقف والكاهن، ونشوء درجة الأسقفية من درجة القسيسية، في وجه النزعة السائدة والمتسرعة نحو تبجيل درجة الأسقفية.

(٣) الفولجاتا، أعظم أعماله والتي أظهر فيها إيمانًا راسخًا واصرارًا نبيلًا لا يتأثر بضجيج العامة أو بالسلطة مثل أغسطينوس.

لنتكلم هنا قليلًا بالنسبة للنسك، والذي كان جيروم يدعو إليه بغيرة

شديدة، فنتساءل: كيف تبنى جيروم هذا المسلك بجملة حتى أنه يراه في كل سطر من سطور الكتاب المقدس؟ لا توجد إجابة سوى أن هذه هي روح ذلك العصر، فجيروم لم يكن له من رجاحة العقل التي تمكنه من الحكم على التيار الذي جرفه بعيداً، أو لم تكن له القدرة على التمييز بين ما يوجد في النصوص وما حمله هو للنصوص.<sup>٤٢</sup> إن طريقة حكمه على الأمور كانت هي تكوين مبادئه الأساسية من خلال السلطان الكنسي، وبالطبع الأساقفة جزء منه، إضافة إلى نزعة المسيحيين العامة والسائدة في عصره، وكان يقبله، ومتى قبلها يدافع أيضاً بضراوة وعدم تمييز.

يمكن أن يُظهر جيروم بعضاً من الوسطية والاعتدال حتى في موضوع النسك، لكن موقفة الأساسي كان هو احتقار كل ملذات العالم، التي من ضمنها المأكل والمشرب والملبس والمسكن وفوق هذا كله الزواج، الذي يعتبره شهوة جسدية يجب قمعها قدر المستطاع، بدلاً من أن يكون وسيلة لحياة شركة في علاقة نبيلة. وفزع من الدنس استحوذ عليه لدرجة أنه شوّه تماماً نظرتة للمجتمع، الأمر الذي جعله يحتقر دون أن يحرم العلاقات الزوجية.

إن آراءه في الرهبنة وقوانينها الداخلية تُرى بوضوح في مقالاته ضد هيلفديوس وجوفنيان وفيجيلانتيوس. ويمكن للقارئ الرجوع إلى المقالة الأخيرة. وإن تساءلنا: ما الدافع القوي وراء هذه النزعة الرهبانية الجارفة التي لجيروم؟ لا نستطيع أن نعزو هذا إلا إلى حالة المجتمع الروماني في القرنين الرابع والخامس، والتي جعلت الجادين في الطريق الروحي

<sup>٤٢</sup> (م) نوه أن المترجم من اللاتينية بروستانتني أي يعتبر أن الرهبنة والنسك ليست من أساسيات الحياة المسيحية بل ممارسات أفرزها وضع اجتماعي وخلفية ثقافية معينة في عصر ما، وهذا لا نوافق عليه. ولكن لا يجب أن نغفل أن جيروم أخذ عليه تطرفه نوعاً ما في النسك (انظر الفقرة التالية) (ن).

يستجيبون لتأثيرات من أماكن أخرى في العالم، هذا بالإضافة إلى معرفة جيروم بالبراهما والفلاسفة العراة (Gymnosophists) في الهند، وفي مواضع عديدة جاء على ذكر بوذا كمثال للنسك. ولكن تلاميذ البوذية قد فشلوا في إيجاد أي رابط بين النسك الغربي والشرقي.

إن وجود جماعات الأسينيين في فلسطين والثيرايوتوا في مصر، والحقيقة التي لا تقبل الشك في أن مصر هي مهد الرهبنة، كل هذا جعل من احتمالية وجود تأثير من الشرق أمرًا واردًا، والرهبنة في بدعة ماني على الرغم من إدانتها سريعًا إلا أنها قد تكون أثرت بعض الشيء. حدث اجتياح للعقل البشري من قبل هذه الأفكار مثل الوباء الذي يظهر مرة واحدة في أماكن شتى، ومن الممكن أن مبادئ النسك قد انتشرت عن طريق المحادثات العابرة أو التعاملات التجارية حينما كانت التربة مهيةة تمامًا لقبولها.<sup>٤٣</sup>

ولكن من الأفضل أن تُرجع انتشار الميل إلى الرهبانية إلى الحالة الاجتماعية والسياسية للعالم. حتى في الشرق هناك من يقول إن الأوضاع البائسة والشقاء الموجود في الحياة العامة هو العامل الرئيس لنزعة اليأس هذه، وتهاوي الإمبراطورية الرومانية في القرنين الرابع والخامس قدم ذرائع عدة.

الفضيلة التي كانت غائبة تمامًا عن الكُتّاب المسيحيين العظماء في هذه الحقبة هي فضيلة الرجاء، حتى الرجاء الموجود في كتاب أغسطينوس 'مدينة الله' هو رجاء في العالم الآتي فقط، أما العالم الحاضر أمامهم فهو فاسد كليّةً والرجاء فيه معدوم.

<sup>٤٣</sup> يحاول البروتستانت دائمًا أن ينسبوا للرهبنة جذورًا وثنية ويهودية واجتماعية بخلاف الحقيقة. لأن الرهبنة في جوهرها ليست هروبًا أو يأسًا بل محبة وسكينة (٥).

لقد ذكر أميانوس مارسيلينوس ما قاله جيروم واصفًا الروح المعنوية حين قال إنه يوجد إحباط عام وقنوط عسكري جلي، ولم يظهر جراتيان وستيليكو على الساحة إلا لكي يُقتلًا، وعندما سبب حصار الأريك لروما صدمة لكل العالم المعاصر، لم يخطر بذهن أحد أن عصرًا مسيحيًا جديدًا على الأعتاب. وهجرة الآلاف من الناس والتي كان جيروم شاهد عيان لها من روما المنكوبة إلى جبال فلسطين، لم تكن إلا أحد علامات اليأس والتي كما قال جيروم "جعلت الناس تهجر أكثر المدن ازدحامًا إلى البراري والأماكن المنعزلة حتى يتمكنوا من البكاء على خطاياهم وأن يستمطروا مراحم المسيح".

جيروم كدارس للنصوص المقدسة أضاف الكثير، وفي بعض الأحيان كانت أعماله ممتازة. كان كتاب 'أسماء العبرانيين' بلا شك مستخدمًا بكثرة في عصر كان فيه جهل باللغة العبرية. بالرغم من رداءة ترتيب المصطلحات لكل سفر على حدة به أخطاء عديدة وغير مدققة؛ فمثلًا لا يوجد شرح للكلمة 'لَحْي' في سفر القضاة؛<sup>٤٤</sup> أو كلمة 'عين جَدْي'؛<sup>٤٥</sup> و'إيخابود'؛<sup>٤٦</sup> في سفري صموئيل، أو كلمة 'بيت عبرة'؛<sup>٤٧</sup> و'بيت عنيا'؛<sup>٤٨</sup> في إنجيل يوحنا. وهناك بعض الأسماء فُسرت بمعنى خطأ وأحيانًا يكون الخطأ فادحًا؛ فمثلًا 'الشاروييم' قيل إنها تعني 'الممثلون معرفة'؛ و'إيزابيل' تعني 'تفويض بالدم' أو 'زبالة' أو 'كومة من الفضلات'؛ و'لاودكية' تعني 'القبيلة المحبوبة من الرب' أو 'يتقيأون'. الكتاب لا قيمة له

<sup>٤٤</sup> قض ٩:١٥.

<sup>٤٥</sup> اصم ٢٩:٢٣.

<sup>٤٦</sup> اصم ٤:٢١.

<sup>٤٧</sup> يوا: ٢٨.

<sup>٤٨</sup> يوا: ١١.

الآن غير أنه يعكس مدى معرفة عالم القرن الرابع ودرجة علم كاتب الفولجاتا.

كتاب 'أسماء وأماكن العبرانيين' الذي هو في الأصل ليوسابيوس ترجمه جيروم مع بعض الإضافات، الحديث عنه موجود في الجزء الخاص بأعمال يوسابيوس، وترتيب هذا الكتاب مثل سابقه صعب جداً، فالأسماء التي تقع تحت كل حرف وضعت في مجموعات منفصلة بحسب موقعها من الأسفار، فمثلاً حرف (A) نجد أولاً الأسماء الموجودة في سفر التكوين ثم الموجودة في سفر الخروج... إلخ. ويضيق المجال هنا عن الحديث عما هو خيالي، ولكن شهادات أناس القرن الرابع والخامس الذين من فلسطين ذات قيمة عظيمة لدارسي جغرافية الكتاب المقدس، ولكن عندما تكون الأماكن خارج نطاق معرفة الكاتب نجد أن بعض المعلومات غير المعقولة تتسلل إليه، كقول الكاتب أن هناك أجزاء من فلك نوح مازالت موجودة على جبل أراراط.

إن كتاب 'أسئلة عبرية عن سفر التكوين' هو ببساطة عبارة عن مجموعة ملاحظات على بعض الآيات في الأصل العبري التي تعطي قراءات مغايرة عن السبعينية؛ النسخة المعتمدة للكنيسة الرومانية حتى زمن جيروم، فعلى سبيل المثال ما جاء في السبعينية (تك ٤٦:٢٦) أن نسل يوسف الذين ولدوا في مصر تسعة، بينما ذكرت النسخة العبرية أنهم اثنان. جيروم فسر ذلك الاختلاف بافتراض أن السبعينية حسبت أولاد منسى وأفرايم من ضمن الذين ولدوا في مصر ليوسف بعد ذلك، بينما عددهم السبعينية قبل ذلك.

أوضح جيروم في مقدمته للكتاب أنه ينوي عمل مجموعة ملاحظات مثل هذه لكل سفر من أسفار العهد القديم، إلا أنه لم يكتب أكثر من سفر التكوين، وما قدمه لنا ذو أهمية وقيمة، لذلك مع الأسف إن هذه السلسلة

لم تكتمل.

كمفسر للكتاب المقدس كان خطأ جيروم هو عدم الاعتماد على النفس، فكان يعرض فقط أقوال الآخرين الذين لو لم يذكرهم لما عرفناهم. معتقداً أن هذا هو عمل المفسر الأساسي كما قال في جداله مع روفينوس (Apol. i. 16, Vol. iii. 491)، فعندما يتناول نصاً معيناً، يدون حتى التفسيرات الأكثر غرابة دون انتقادها، ولا يمكن أن نلقى باللوم على روفينوس حينما قال إن جيروم أحياناً يعبر عن رأيه كأنها لآخرين.

في النصوص العادية يكون التفسير جيداً ولكن قد يتخلله بعض الأفكار الغربية، فعلى سبيل المثال عند تفسيره للمدينة التي نجت بواسطة الرجل الفقير والحكيم<sup>٤٩</sup>، قال إن الشخص ينجو من الشيطان بواسطة الشخص الجيد الذي يوجد داخله، أو تشير إلى أن الكنيسة خلصت من قوات الظلمة بفضل المسيح.

وحينما تسنح الفرصة للكلام عن النسك فجيروم لا يألو جهداً مهما كان المعنى بعيداً كل البعد، أن يسحب النص كي يتوافق مع آرائه الخاصة (Against Jovin. i. 30, p. 368)، كنا نتمنى الإسهاب في هذه النقطة ونعطي أمثلة عن دفاعياته الأفضل ولكن لم نستطع للضرورة.

إن أفضل ما عُرف به جيروم هو أنه مترجم للكتاب المقدس، والفولجاتا ظهرت في الوقت المناسب ومن الشخص المناسب. اللغة اللاتينية كانت ماتزال حية بالرغم من أن الحضارة اللاتينية كانت تندثر، وجيروم كان أستاذاً فيها، ومن المؤسف أنه لم يظهر فيها كل قدراته اللغوية.

<sup>٤٩</sup> جا ٩: ١٥.

في خطابه إلى بماكوس حول أحسن الطرق للترجمة، دافع عن حرية المترجم الكبيرة في ترجمته للنص حتى إلى درجة إعادة الصياغة ووضع جمل جديدة تنسجم مع المعنى الذي يقصده الكاتب. وقد اعتمد على حقيقة أن كتبة أسفار العهد الجديد حينما استشهدوا بآيات من العهد القديم، أظهروا الكثير من الاختلافات في التعبيرات وفي المعنى المقصود، الأمر الذي يبرر وجود بعض من التغيير في الكلمات في الترجمات، على الرغم من هذا لا يبدو أنه استخدم رخصة الحرية في الترجمة إلى حد بعيد، حتى في ترجمته للكتب العادية. فترجماته مضبوطة إضافة إلى الأسلوب الأدبي المصقول.

كانت القواعد التي سار على دربها تستثنى ترجمة النصوص المقدسة، فقد قال: "في الكتب الأخرى أجتهد أن أترجم بالمعنى لا الكلمة بالكلمة أما في النصوص الإلهية حتى ترتيب الكلمات له معاني خفية"، وقال أيضاً: "النسخة المستخدمة في الكنائس بالرغم من أسلوبها الجذاب يجب أن نتحاشاها ونرفضها بقدر المستطاع". ولكن اعتقاد جيروم بالمعاني الخفية في الكلمات وترتيبها كجزء من المعنى أضر كثيراً بالفولجاتا.

أما القواعد التي اتبعها جيروم في ترجمة الفولجاتا فكانت ممتازة وهي:

(١) عدم الانحراف عن النص الأصلي بدون داع.

(٢) تجنب التغييرات النحوية.

(٣) حتى لو وقع في أخطاء نحوية فيجب أن تفيد المعنى.

و بسبب الاعتقاد في أن هناك معاني خفية وراء ترتيب الكلمات لم يلتزم كثيراً بهذه القواعد وكانت النتيجة هي حرمان النص من بساطته، وفقدان متعة القراءة، وكثير من الأخطاء النحوية قد وقعت في تركيب الجمل، وتنازل عن محاولته التقيد بمعنى النص، بالإضافة إلى إعطاء جو من قدسية غير حقيقية لبعض النصوص بخلاف الواقع مما يوقع القارئ في ارتباك.



اختلفت البراعة في الترجمة من سفر إلى آخر، وكذلك الوقت أيضًا؛ فمثلاً ترجمة أسفار سليمان تمت بسرعة، وسفر طوبيا قد تمَّ في يوم واحد، وبعض الأجزاء اعتمد فيها على نفسه، أما البعض الآخر فكان يطلب المعونة مما كلفه الكثير من النفقات والعناء (انظر المقدمة لسفري طوبيا وأيوب). ولكن بينما نحن نبحث بين السطور يجب ألا نغفل النظرة الشاملة على العمل ككل، فلقد كتب بجهد دؤوب وبعزيمة ثابتة في خضم الكثير من المعوقات.

لقد كانت الفولجاتا ثمينة جدًا حتى في حياة جيروم، لذا سجل لنا أن جزءًا كبيرًا من العهد القديم قد ترجم إلى اليونانية من نسخته بواسطة صديقه صفرونيوس وكانت تقرأ في الكنائس الشرقية، وبعد رحيله أصبحت الفولجاتا النسخة الرسمية لكل مسيحيي الغرب، وأضحت الكتاب المقدس للعصور الوسطى، وفي عام ١٥٤٦م (بعد مرور أحد عشر قرنًا من وفاة صاحبها) أُعلن في مجمع ترنت أنها النسخة الوحيدة المعتمدة والمصرح بطباعتها.

هناك بعض التفاصيل الخاصة بشخصيته التي يجب ذكرها لتوضيح طرق التأليف وما يحيط بها من ظروف. لا يوجد أي وصف لهيئته أو شكله، معتل الصحة، وعانى كثيرًا من رقاد المرض لمدد طويلة خاصةً ما بين ٣٩٨م و٤٠٤م وفي السنة الأخيرة من حياته. وبدأ بصره يضعف خلال إقامته في القسطنطينية ٣٨٠م - ٣٨٢م وكان عادةً ما يستعين بكاتب إلا أنه كان يكتب في بعض الأحيان. وما كتبه كان أروع مما أملاه، كما قال: "في الحالة الأولى أهتم بالأسلوب، أما في الحالة الثانية فكل ما يأتي على لساني أمليه". وكان إنتاجه من التأليف غزيرًا، ففي مرة أملى حوالي ألف سطر في يوم واحد (تفسير أفسس، الكتاب الثاني، المقدمة). وكان ينام على أريكة خصوصًا أيام المرض (خطاب ٧٤) مدونًا كتابًا تلو الآخر كي تكتمل التفاسير. ودائمًا

ما كان يسهر طوال الليل (كتابه ضد فيجيلانتيوس كان نتاج سهر ليلة واحدة).

كان النهار مجالاً لأعمال شتى كما ذكرنا قبلاً؛ إدارة الأديرة، وإضافة الغرباء، وتعليم الفتيان، تفسير الكتاب المقدس للإخوة في الدير. وكما شهد سلبكيوس ساويرس، وضع على عاتقه كل إيبارشية بيت لحم. إضافة إلى اعاقته مراتٍ ومراتٍ بسبب المرض، التهديدات بغزو المغول وقبائل جنوب آسيا، وفي آخر أيامه، العنف الذي لاقاه من أتباع البيلاجية، عانى أيضاً من الفقر وفقدان أصدقائه واحداً تلو الآخر. غير أنه صمد أمام كل المصاعب. وآخر أعماله ضد البيلاجيين وتفسير إرميا يشهدان على رباطة جأشه وثبات عزيمته.

### شخصية جيروم ومدى تأثيره

يجب أن ننهي هذه المقدمة بالحديث قليلاً عن صفات جيروم الشخصية ومدى تأثيره والمرجع الأساسي لنا هنا هو ما كُتِب عنه في 'قاموس آباء الكنيسة'.

كان جيروم واثقاً بنفسه، ولا يقبل المنافسة، وشديد الحساسية بأراء الآخرين فيه خصوصاً الأساقفة، انفعالياً وسريع الامتعاظ. أحياناً يكون متسامحاً، وفي جدالاته يكون ساخرًا وعنيفًا. عطوفًا على الفقراء والمساكين، ويعامل النساء باحترام. المال عنده ليس له أي اعتبار، في العمل مجهوده غير عادي، أمين جدًا على تحقيق أهدافه التي كرس لها حياته، لم يكن جسورًا في نسكه، ولم يكن له تأثير على الأقوياء.

تنامى تأثير جيروم أثناء حياته وزاد بالأكثر بعد وفاته. ويمكن أن تنطبق على تأثيره الآية التي تقول "فَعَاشُوا وَمَلَكَوا مَعَ الْمَسِيحِ أَلْفَ سَنَةٍ."<sup>٥</sup> كتاباته تحوي روح كنيسة العصور الوسطى بالكامل ونسكياتها، وما هو مقدس وما هو دنس، وأساطيرها والأشياء غير المعقولة، وتكريم رفات القديسين، والخضوع للسلطان الكنسي ودرجات الكهنوت، وكرامية الهرطقة، والاشتياق لزيارة الأماكن المقدسة.

الفولجاتا أعظم هبة لمجتمع ساهم جيروم بشكل كبير في تكوين فكره، إلا أنه لم يؤسس مدرسة ولم يترك روح إلهام، لم يكن في منهجه الروحي أي رؤية شاملة أو جسارة تعطي قدرة على تحطيم قيود السلطة المسيطرة بإحكام على البشرية.

<sup>٥</sup>(رؤ:٤:٢٠)

كما قال تيري في نهاية مقالته عن القديس جيروم "لم يكن هناك من يُكَمِّل عمله، فقط بعض الخطابات القليلة من أغسطينوس وباولينوس، ثم عمَّ الظلام على الغرب."

### جدول تاريخي لحياة جيروم

الأحداث	الأحداث العامة	إنتاجه الأدبي	أحداث في حياة جيروم	السنة
الكنيسة				
	وفاة الملك قسطنطين			٣٤٠م
أثناسيوس في روما				٣٤١م
			ميلاد جيروم في ستريدون	٣٤٥م
كيرلس أسقفًا لأورشليم				٣٥٢م
	قسطنطيوس إمبراطور للشرق والغرب			٣٥٣م
نفي يوسابيوس أسقف فيرسيللا بأمر الإمبراطور قسطنطيوس. وفاة أنطونيوس				٣٥٦م

الأحداث الكنسية	الأحداث العامة	إنتاجه الأدبي	أحداث في حياة جيروم	السنة
الكنيسة الكبيرة				
مجمع أريمنم وسلوكية				٣٥٩ م
	يوليانوس الجاحد إمبراطور		جيروم يلتحق بالمدرسة	٣٦٠ م
	وفاة قسطنطيوس			٣٦١
عودة يوسابيوس وباقي الأساقفة الارثوذكس من المنفى				٣٦٢ م
	وفاة يوليانوس. تنصيب جوفيان إمبراطور		جيروم يدرس في روما وينال سر المعمودية	٣٦٣ م
	وفاة جوفيان. تنصيب فالنتينيان وفالنس إمبراطورين			٣٦٤ م
أبوللنياريوس أسقف اللاودكية				٣٦٥ م

القديس جيروم، دراسة عن حياته وأعماله

الأحداث الكنسية	الأحداث العامة	إنتاجه الأدبي	أحداث في حياة جيروم	السنة
داماسوس أسقف روما	صد فالنتيان لهجمات القبائل الألمانية	جيروم ينسخ أعمال هيلاري	جيروم في تيريف	٣٦٦م
				٣٦٧م
	الحرب مع القوطيين، استرجاع بريطانيا بواسطة	جيروم يكتب تأملات لسفر عوبديا		٣٦٨م
	ثيودوسيوس الكبير			٣٦٩م
فالنتيان يصدر قوانين بخصوص توريث الاكليروس		جيروم يكتب خطابه الأول	الذهاب إلى أكوليا	٣٧٠م
وفاة يوسابيوس أسقف فرسيللا ولوسيفر				٣٧١م
وفاة أثناسيوس. تنافس بطرس ولوكيوس على الأسقفية في روما			مغادرة أكوليا والاتجاه إلى الشرق	٣٧٣م
أمبروسيوس		جيروم يكتب	مرض جيروم	٣٧٤م

خطابات القديس جيروم - جزء الأول (١-٢٢)

الأحداث الكنسية	الأحداث العامة	إنتاجه الأدبي	أحداث في حياة جيروم	السنة
أسقفًا على ميلان. روفينوس وميلانيا يغادرن روما متجهان نحو الشرق		حياة الأنبا باولا أول السواح	في أنطاكية ورؤيته حلمًا	
	وفاة فالنتينان. فالنس وجراتيان إمبراطورين	جيروم ينسخ إنجيل العبرانيين وكتب أخرى	في صحراء خالكيز	٣٧٥ م
	نفي القائد ثيودسيوس إلى قرطاج بعد أن استرد إفريقيا			٣٧٦ م
				٣٧٧ م
غريغوريوس الزبيني في القسطنطينية	موقعة ادريانوبل ومقتل الإمبراطور فالنس			٣٧٨ م
	الحرب الفارسية	جيروم يكتب رسالة ضد اللوسيفريين	رسامة جيروم كاهنًا بواسطة الأسقف	٣٧٩ م

الأحداث الكنسية	الأحداث العامة	إنتاجه الأدبي	أحداث في حياة جيروم بولينوس	السنة
معمودية الإمبراطور ثيودسيوس				٣٨٠م
مجمع القسطنطينية بحضور ١٥٠ أسقفًا. البابا تيموثاؤس يصير أسقفًا على الإسكندرية خلفًا لأخيه البابا بطرس		ترجمة كتاب تاريخ الكنيسة ليوسابيوس، وعظات على سفري إرميا وحزقيال لأوريجانوس		٣٨١م
مجمع في روما إزالة المذبح من مجلس الشيوخ الروماني				٣٨٢م
	وفاة الإمبراطور جريتيان. مكسيموس إمبراطورًا.	ترجمة سفر المزامير من		٣٨٣م



الأحداث الكنسية	الأحداث العامة	إنتاجه الأدبي	أحداث في حياة جيروم	السنة
		السبعينية والعهد الجديد إلى اللاتينية. جيروم يكتب كتاباً ضد هلفيديوس.		
وفاة البابا داماسوس	عقد معاهدة مع الفرس			٣٨٤م
البابا ثيوفيلوس أسقفاً على الإسكندرية خلفاً للبابا تيموثاؤس سيريكوس أسقفاً على روما		جيروم يترجم عظات	جيروم يترك ٣٨٥م روما متجهًا إلى أنطاكية	
يوحنا أسقفاً على أورشليم خلفاً للأنبا كيرلس الاورشليمي. معاينة بريسكليان على		الأنشاد سفر نشيد	سفر نشيد الأنشاد	
		جيروم يترجم النسخة السبعينية إلى اللاتينية	جيروم يزور فلسطين ومصر ويستقر ببيت لحم	٣٨٦م



الأحداث الكنسية	الأحداث العامة	إنتاجه الأدبي	أحداث في حياة جيروم	السنة
		لديديموس.		
هدم معبد سيرابيس		ترجمة تفسير انجيل لوقا لأوريجانوس		٣٨٩م
وفاة غريغوريوس النزينزي	مذبحة في تسالونيكي وتوبة ثيودسيوس	حياة مالكوس وهيلاريون الناسكين		٣٩٠م
	وفاة الإمبراطور فالنتينيان الثاني. اغتصاب افجينوس العرش	جيروم يبدأ في عمل الفولجاتا		٣٩١م
الإمبراطور ثيودسيوس يسن قوانين ضد الوثنيين		جيروم يكتب كتاب عن مشاهير الرجال. تفسير سفر ناحوم وميخا وصفنيا وحجّي وحبقوق	اتيريبيوس يصل أورشليم. إبيفانيوس يزور أورشليم. بداية النزاع بين جيروم ويوحنا أسقف أورشليم.	٣٩٢م

القديس جيروم، دراسة عن حياته وأعماله

الأحداث الكنسية	الأحداث العامة	إنتاجه الأدبي	أحداث في حياة جيروم	السنة
		جيروم يكتب كتب ضد جوفنيان		٣٩٣ م
	ثيودسيوس يقتل افجينوس ويصبح إمبراطورا أوحّد		بداية الجدل مع أغسطينوس	٣٩٤ م
			جيروم يحتج لدى الإمبراطور. المغول يجتاحون شمال سوريا. اوكيانوس وفابيو لا في بيت لحم	٣٩٥ م
	الاريك يغزو اليونان			٣٩٦ م
نياحة القديس أمبروسيوس، وخلفه سمبليكيانوس أسقفًا على ميلان	هزيمة الاريك على يد ستيليكو في موقعة اركاديا	جيروم يكتب تفسير سفر يونان. جيروم يكتب كتاب ضد يوحنا الأورشليمي	بداية هجوم ثيوفيلوس الاسكندري على الأوريجانية. روفينوس	٣٩٧ م

الأحداث الكنسية	لأحداث نعمة	إنتاجه الأدبي	أحداث في حياة جيروم	السنة
يوحنا ذهبي الفم أسقفًا على القسطنطينية.	وفاة جلدو في أفريقيا.		يتصلح مع جيروم ويعود لإيطاليا.	
نياحة البابا سيريكوس بابا روما وخلفه البابا أنسطاسيوس	الاريك يصبح قائدًا عامًا في الليريكوم وملغًا على القوطيين	تفسير انجيل متى	جيروم يصاب بمرض عضال.	٣٩٨ م
حرم التعاليم الأوريجانية بواسطة أساقفة كل من الأسكندرية وروما وميلان. نياحة سيمبليكيانوس	سقوط الحاكم اتروبيوس			٣٩٩ م
	هزيمة جابنوس المتآمر على العرش واعدامه.			٤٠٠ م

القديس جيروم، دراسة عن حياته وأعماله

الأحداث الكنسية	الأحداث العامة	إنتاجه الأدبي	أحداث في حياة جيروم	السنة
أسقف ميلان وخلفه الأسقف فينيريوس.				٤٠١م
نياحة البابا انسطاسيوس وخلفه البابا انوسنت على كرسي روما. وفاة القديس إبيفانيوس أسقف قبرص.		ضد روفينوس الكتاب الأول والثاني	النزاع بين جيروم وروفينوس	٤٠٢م
	ستيليكو يهزم الاريك في بوليتيا وفيرونا	تفسير سفر عويديا		٤٠٣م
نفى يوحنا ذهبي الفم إلى كوكوسس. الراهب	انتصار هونوريوس. منع عروض المصارعات في	ترجمة قوانين القديس بجوميوس للرهبة. ضد	نياحة القديسة باولا. نهاية نزاع جيروم مع القديس	٤٠٤م

خطابات القديس جيروم - الجزء الأول (١-٢٢)

الأحداث الكنسية	الأحداث العامة	إنتاجه الأدبي	أحداث في حياة جيروم السنة
تليماخوس	المسارح	روفينوس	أغسطينوس.
يضحى بنفسه	الرومانية. نقل	الكتاب	
حتى تتوقف	العرش	الثالث.	
عروض المصارعة	الإمبراطوري		
في روما.	لبلدة رافينا.		
	وفاة		
	الإمبراطورة		
	افدوكسية		
			جيروم طريح الفراش لعدة أشهر.
			٤٠٥ م الأشوريون يجتاحون شمال فلسطين.
		تفسير زكريا وملاخي وهوشع ويوثيل وعاموس.	
	ستيليكويهزم راداجياسوس	جيروم يكتب كتاب ضد فيجيلانتوس	٤٠٦ م

القديس جيروم، دراسة عن حياته وأعماله

الأحداث الكنسية	الأحداث العامة	إنتاجه الأدبي	أحداث في حياة جيروم	السنة
نياحة القديس يوحنا ذهبي الفم في كوماننا.	البرابرة يحتلون بلاد الغال. قسطنطين يغتصب العرش في بريطانيا وبلاد الغال.	تفسير سفر دانيال.		٤٠٧م
	الاريك يحاصر روما. عزل ستليكو ووفاته. وفاة اركاديوس وخلفه الإمبراطور ثيودسيوس الثاني.			٤٠٨م
	قيام ثورة في بريطانيا		بيلاجيوس يذهب إلى روما	٤٠٩م
وفاة روفينوس	الاريك يقتحم روما ويموت في نفس العام. تهديد البرابرة لمصر وفينيقية	تفسير سفر إشعياء.		٤١٠م
النزاع بين الأساقفة	وفاة قسطنطين وباقي المغتصبين.			٤١١م
مستقيمي الرأي والدوناتيين	انتصار القائد الروماني قسطنطينوس.			
وفاة القديس ثيوفيلوس بابا الأسكندرية.			حرم كولستوس في قرطاج	٤١٢م



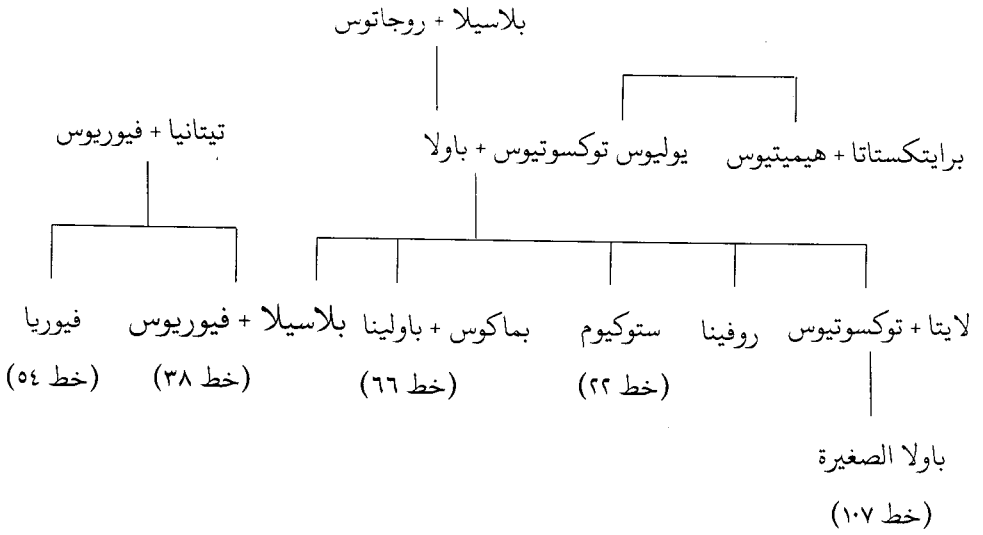
خطابات القديس جيروم - الجزء الأول (١-٢٢)

الأحداث الكنسية	الأحداث العامة	إنتاجه الأدبي	أحداث في حياة جيروم	السنة
	وفاة هيرقليان أثناء قيامه بحملة.			٤١٣م
			القديس أغسطينوس يرسل	
	ادولفوس خليفة الاريك يتزوج جالا بلاسيديا	تفسير سفر حزقيال	اوروسيوس إلى جيروم. بينانوس وميلانيا في أورشليم	٤١٤م
ألكسندر أسقف أنطاكية. مجمع لدة يقر التعاليم البيلاجية	القوطيون يستقرون في اكويتان واسبانيا		مجمع في أورشليم يقر التعاليم البيلاجية	٤١٥م
		جيروم يكتب ضد البيلاجية		٤١٦م
نياحة انوسنت أسقف روما وخلفه زوسيماء. وفاة يوحنا			أديرة جيروم في بيت لحم تقتحم وتحرق بواسطة	٤١٧م

القديس جيروم، دراسة عن حياته وأعماله

الأحداث الكنسية	الأحداث العامة	إنتاجه الأدبي	أحداث في حياة جيروم السنة
الاورشليمي وخلفه برايلوس			البلاجيين
		تفسير إرميا	نياحة القديسة استوكيوم ٤١٨م
			نياحة القديس جيروم ٤٢٠م

مخطط يوضح صلة القرابة بين بعض من يرأسهم جيروم في روما  
والأشخاص المذكورين في رسائل جيروم. ٥١.



<sup>51</sup>F. A. Wright, trans., *Jerome: Select Letters*, Reprint edition (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1933), p. 482.

## الخطابات



## الخطب الأون

إلى انوسنت (عن المرأة التي ضربت بنسيف سبع مرات)

هذا الخطاب ليس فقط أول خطبته بل يحتمل أيضاً أن يكون من أحدث كتابات جيروم الطويلة (٣٧٠م). كان انوسنت المرسل إليه الخطاب من المجموعة القليلة المتحمسة والتي جمعها جيروم حوله في أكوليا وقد سار وراء صديقه إلى سوريا حيث مات هناك عام ٣٧٤م (انظر خطاب ٣).

(١)

عزيزي إنوسنت، لقد طلبت مني مراراً وتكراراً ألا أسكت عن هذا الحدث الإعجازي الذي تحقق في يومنا هذا. ولقد ظللت أرفض هذه المهمة لأنني شعرت، ومازلت حقاً، بأني غير كفاء لها وذلك لسببين؛ أولاً لأن الكلام المكتوب بكل لغات العالم لا يوفي السماء حقها من التسبيح، وثانياً لحمولي الذي علا كالصداً على عقلي وجفف أي قدرة للتعبير كانت لدي. ولكنك في المقابل أجبتني قائلاً: إنه في ميدان العمل الإلهي، يجب ألا تنظر إلى العمل أو إلى قدرتنا على المضي قدماً فيه، بل إلى الروح الذي سيتولى هذا العمل. ومن يؤمن بالكلمة لا تعوزه أي كلمة.

(٢)

إذن، ماذا أفعل؟ العمل فوق استطاعتي لكنني لا أجرؤ على الرفض، أنا مجرد مسافر غير مؤهل وأجد نفسي موكلاً بقيادة سفينة ضخمة! لم أقدم من قبل مركباً صغيراً في بحيرة هادئة، والآن أجد نفسي مسئولاً عن عبور البحر الأسود EUXINE<sup>٥٤</sup> الهائج! الشواطئ تختفي خلف الأفق، "سماء وبحر

<sup>٥٤</sup> البحر الأسود يقع شمال تركيا (م).

من كل جانب“<sup>٥٣</sup> على وجه البحر ظلمة، والسحب سوداء كالليل، والأبيض فقط هو زبد أمواج البحر. وأنت تلح عليّ بأن أفرد الشراع وأفك الحبال وأمسك بالدفة! لكنني في النهاية سوف أطيع أوامرك، لأن المحبة تستطيع كل شيء. وسأضع كامل ثقتي في الروح القدس لكي يهدي سبيلي، وسوف أكون مرتاحًا للنتيجة مهما كانت. فإن حملتني الأمواج إلى الميناء المرجو فسأرضى وسوف يقال إنني ملاح، ولكن إن جنحت السفينة وسط صخور اسلوبي الفظ ولغتي غير المصقولة، فبمقدورك أن تأتي باللوم على مهارتي ولكنك في النهاية ستدرك على الأقل حسن نواياي.

(٣)

إذن لنبدأ، فرسيللا Vercellæ مدينة ليجوريه قريه من سفوح جبال الألب،<sup>٥٤</sup> وكانت فيما مضي مدينة ذات أهمية. ولكنها الآن مهجورة غير أن عددًا قليلًا بها من السكان. عندما زارها الحاكم في جولته المعتادة، أُحضرت أمامه امرأة مسكينة وعشيقها وقد اتهمها زوجها بالزنى معه وتم سجنها هي وعشيقها في حجرة التعذيب البشع في السجن العام.

بعد فترة قصيرة من التعذيب استسلم الشاب التعس بعدما مرّق الخطاب لحم جانبيه، وقرر أن يفلت من هذا الموت البطيء مفضلًا الموت السريع، واعترف كذبًا على نفسه مثبتًا التهمة على المرأة. لذا كأحقر الرجال استحق هذا عقوبة الإعدام لأنه لم يدع أي فرصة تثبت بها هذه المرأة البريئة عدم خيانتها لزوجها. أما المرأة ضعيفة الجنس قوية الفضيلة فعلي الرغم من جسمها الممتد على الوتد ويداها المليئة بقذارة السجن المكبلة

<sup>53</sup> Virg. A. iii. 193.

<sup>٥٤</sup> الالب ALPS: سلسلة جبال تقع في الجزء الجنوبي من أوروبا وتمتد على شكل قوس والجبل الأبيض هو أعلى جبل فيها (MONT BLANK).

## الخطابات

خلفها، نظرت إلى السماء بعينيها اللتين وحدهما لم يستطع التعذيب تقييدهما، وبينما تنهمر الدموع على وجهها قالت: "يا ربي يسوع الذي لا يخفى عليك أمر، أنت هو شاهدي يا فاحص القلوب والكلي،<sup>٥٥</sup> أنت الشاهد على أنني لا أنكر هذه التهمة كي أنقذ حياتي فأنا أرفض أن أكذب لأن الكذب خطيئة. وأقول لك أيها الشاب التعس؛ إن كنت تتعجل موتك فلماذا تدمر حياة ليس شخص بريئا وحده بل شخصين؟! أنا أيضًا أريد ان أموت أريد أن أخلع هذا الجسد البغيض. ولكن ليس كزانية. أنا أسلم رقبتي، وأرحب بالسيف اللامع دون خوف. ولكني سأخذ براءتي معي، فمن يأتي إلى الذبح بهدف الحياة لن يموت."

(٤)

أما الحاكم الذي كان يتمتع بعينه بهذا المشهد الدامي، كالوحش المفترس الذي بعدما ذاق الدم مرة يظل دائمًا عطشًا إليه، أمر بمضاعفة العذاب وصرَّ على أسنانه بقسوة مهددًا الجلادين بعقابهم بنفس العذاب، إذا فشلوا في الحصول على اعتراف من الجنس الأضعف الذي لم تستطع قوة رجل كتمانته أمام هول العذاب.

(٥)

أعنا يا ربي يسوع، خليقتك هذه التي هي ملك لك، كم صنوف من العذابات استحدث لها. شعرها مربوط في وتد وجسمها كله مشدود بقسوة على سارية، والنار موقدة تحت قدميها، وعلى جنبها آثار وخزات الجلادين، حتى صدرها لم يسلم من العذاب. ولكنها ظلت ثابتة، وانتصرت بالروح على آلام الجسد. تتمتع بعزاء داخلي من ضميرها الصالح، مضت هوجة

<sup>٥٥</sup> مز ٩٠.



التعذيب هباءً دون أن تحدث أي أثر. انتصب الحاكم الظالم ممتلئاً غيظاً، بينما هي لا تزال تصلي للرب. وأطرافها قد خُلعت من مفاصلهما. رفعت عينها الى السماء، يعترف الطرف الآخر على جرمها وهي تنكره على من اعترف به وبينما تعرض حياتها للخطر كانت تبرىء من عرض حياته للخطر.

(٦)

لذلك كانت تقول ”اضربوني أنا، احرقوني أنا، لو شئتم مزقوني، أنا لم أفعل هذا وإن لم تصدقوني سيأتي اليوم الذي فيه تفحص هذه التهمة بعناية، ويحكم لي قاضٍ“. عندها أُرهِق الجِلاَد وأنَّ إذ لم يعد هناك في جسدها موضع لجروح جديدة وحينما رأى الجسم الذي قام بتمزيقه خارت قسوته وارتعب. فصاح الحاكم فوراً في ثورة غضب قائلاً: ”أيها المتفرجون لماذا تتعجبون من أن امرأة تفضل العذاب على الموت؟ لكي يُقترف زنا يجب أن يكون هناك شخصان. وأنا أعتقد أنه من المعقول تصديق أن تنكر امرأة مذنبه جرمها وليس معقولاً أن يعترف شاب بريء بجرم لم يقترفه.“

(٧)

تبعاً لذلك أدين الاثنان بذات العقوبة واقتيدا إلى الإعدام، وتجمع كل الناس كي يشاهدوا الحدث، وتدفق الجمهور إلى خارج أبواب المدينة حتى يخيل للناظر وكأن المدينة نفسها مهاجرة. بالضربة الأولى للسيف انفصلت رأس الشاب التعس وتدرج الجسد مقطوع الرأس على دمائه. وحينما جاء دور المرأة، انحنت بركبتها إلى الأرض وارتفع السيف المصقول على رقبة الفتاة المرتعشة. ولكن على الرغم من أن السيف استجمع كل قواه في يديه المسكتين بالسيف، إلا أنه حين لمس النصل جلدها توقف على الفور. ولم يحدث ولا حتى خدش بسيط. فاضطرب السيف وارتعشت يداه وتحير

## الخطابات

كيف لمهارته أن تهزم ولسيفه أن يسقط سدى! فرفعه استعدادًا لضربة أخرى. ومرة أخرى سقط السيف على رقبة الفتاة عبثًا دون أن يحدث أي أذى عليها وكأن معدن السيف يخشى لمسها. وعلى الفور أشاح السيف الغاضب معطفه بانفعال خلفه كي لا يوجد شيء يعوق قوته، مما أدى إلى سقوط الدبوس الذي كان يشبك المعطف من عند الرقبة. ولم يلاحظ السيف هذا لأنه كان يتهيأ لضربة أخرى. فصرخت المرأة: انتبه، جوهرة سقطت من على كتفيك، التقط ما قد اقتنيت به بكد وتعب حتى لا تفقده.

(٨)

وإنني لأتساءل عن سر هذه الجسارة. الموت وشيك ولكنها لا تهابه. حين كانت تُعذب كانت متهللة بينما الجلادون شاحبون، عيناها رأت البروش ولم تر السيف. وكأن الجسارة أمام موت مثل هذا لم تكن كافية، فأظهرت التعاطف والمساندة لعدوها القاسي. بقوة الثالوث الخفية أبطلت الضربة الثالثة مثل سابقتها. والجندي المفزوع لم يعد يثق في حد السيف، فشرع يضع سن السيف على رقبتها كي يضغط بقوته حتى يغمد فيه. وحدث ما لم يحدث على مر الأزمان. كانت شفرة السيف تنثني إلى خلف نحو المقبض وكأنها تنظر مهزومة إلى حامله نظرة تنم عن الاعتراف بفشلها في تنفيذ الذبح.

(٩)

وهنا أريد أن أسترجع قصة ثلاثة الفتية<sup>٥٦</sup> الذين كانوا في وسط ندى بارد داخل أتون النار. يسبحون ولا يبكون، وحول عمائمهم وشعور رؤوسهم

<sup>٥٦</sup> شدرخ وميشخ وعيدناغو.

المقدسة تتصاعد ألسنة نار بلا ضرر.<sup>٥٧</sup>

أيضًا نتذكر قصة دانيال المبارك. فقد انخت الأسود في محضره وذيوها تهتز وأفواهاها مذعورة رغم كونه فريسة طبيعية لها.<sup>٥٨</sup>

نستدعي أيضًا سوسنة وإيمانها النبيل أمام أعين الجميع، فبعدما حُكم عليها جورًا، نجت بواسطة شاب نبهه الروح القدس.<sup>٥٩</sup> وفي كلتا الحالين ظهرت معونة الله بنفس الطريقة. فبينما أظهر القاضي براءة سوسنة بعد الحكم عليها حتى لا تموت بالسيف، نجد أن هذه المرأة برغم أن القاضي أدانها إلا أن السيف برأها.

(١٠)

وهنا اندفع عامة الناس ثائرين ليدافعوا عن المرأة. رجالًا ونساءً من كل الأعمار قد شاركوا في إبعاد السيف عن المرأة صارخين في وجهه. فمن العسير أن يصدق المرء ما رآته عيناه. وصل الخبر إلى المدينة، وأسرع مجموعة من الضباط نحو الساحة. أما الضابط المسئول عن تنفيذ الحكم فقد اندفع من وسط رجاله ووضع ترابًا علي رأسه الأشيب<sup>٦٠</sup> وصرخ قائلاً: أيها الناس هل تريدون موتي؟ هل تريدون أن أحل محلها؟ رغم أنكم تنشدون طلب الرحمة للمرأة، ورغم أنكم تبغون إنقاذ امرأة مدانة، لكني أنا البريء أيضًا يجب ألا أموت.

دافع السيف عن نفسه باكيًا، فتأثر الحشد وشعروا جميعًا بالأسف والأسى تجاه هذا السيف، وحدث تحوُّل عجيب في المشاعر، فبعدما كانوا

<sup>٥٧</sup> تسيحة الثلاث فتية. (دا ٣).

<sup>٥٨</sup> دا ٦.

<sup>٥٩</sup> دا ١٣.

<sup>٦٠</sup> Virg. A. xii. 611.

## الخطابات

يرون وجوب الدفاع عن المرأة، يبدو الآن أنه يجب إعدامها.

(١١)

ونتيجة لما حدث، أحضر سياف آخر بسيف جديد. وأخذت الضحية مكانها ولا معين لها سوي المسيح مرة أخرى. الضربة الأولى جعلتها ترتجف، وبعد الثانية ترنحت إلى الامام والخلف. وعند الضربة الثالثة وقعت جريحة على الأرض. ما أعظم القدرة الإلهية فهي عالية ومرتفعة عن كل تمجيد. من تلقت أربع ضربات في السابق بدون أي أذى، الآن وفي لحظات قليلة بدا وكأنها تموت كيلاً يُسلم السياف للإعدام بدلاً منها.

(١٢)

أما الإكليروس المنوط بهم مسئولية تكفين الجسد المخصب بالدماء، فقد حفروا في الأرض وكوموا حجارة وعملوا مقبرة عادية. ومن رحمة الرب حان وقت الغروب عاجلاً وأتى الليل مسرعاً على عكس المعتاد. وفجأة بدأ صدر المرأة يتحرك، وفتحت عينيها باحثه عن النور، ودبت في جسدها حياة جديدة. وبعد أن تنهدت بلحظات نظرت حولها ثم قامت وتكلمت. وفي النهاية استطاعت ان تصيح قائلة: "الرَّبُّ لِي فَلَا أَخَافُ. مَاذَا يَصْنَعُ بِي الْإِنْسَانُ."<sup>٦١</sup>

(١٣)

في أثناء هذا، امرأة عجوز كانت تعيش على مساعدات الكنيسة عادت روحها إلى السماء من حيث أتت.<sup>٦٢</sup> وكان كل ما حدث تم بترتيب وبهدف،

<sup>٦١</sup> مز ١١٨: ٦

<sup>٦٢</sup> جا ٧: ١٢، قد تكون في هذه العبارة اعتراف بعقيدة أوريجانوس في سبق وجود الروح عن وجود الجسد. وقد تبناها جيروم فيما بعد (م).

لأن جسد هذه المرأة حل محل الأخرى تحت حجارة المقبرة المُعدة لها. وعند أول النهار هنا جاء الشيطان في شكل ضابط يسال عن جثة المرأة التي أعدمته. مريدًا أن يرشدوه إلى قبرها، مستغربًا أنها قد ماتت واعتقد بأنها مازالت حية. فأراه الإكليروس المقبرة الجديدة والحفرة التي ردمت حديثًا، وقابلوا طلبه بتهكم موجحين إياه قائلين: "نعم بالطبع. مَرَّق العظام التي دفنت، وأعلن الحرب على هذا المدفن مجددًا. وحتى إن كان هذا لا يرضيك، فاقتلع أطرافها وألقها للطيور الجارحة والوحوش المفترسة لتلتهمها. فالموت جيد لامرأة استلزم قتلها سبع ضربات بالسيف"

(١٤)

بسبب كلمات التقرير هذا تراجع الضابط في ارتباك. وتم معالجة المرأة في سرية. وخشية أن تثير زيارات الطبيب المتكررة إلى الكنيسة الشكوك، قاموا بتقصير شعرها وأرسلوها برفقة جماعة من العذارى إلى بيت ريفي منعزل. وهناك لبست ثياب رجل، وغطت الندبات جراحها رويدًا. فمازالت القوانين ثائرة ضدها حتى بعد المعجزات العظيمة التي حدثت لصالحها. وفعلاً صدق القول: "القوانين المطبقة بصرامة تؤتي بظلم ميمت."<sup>٦٣</sup>

(١٥)

والآن انظر كيف أخذتني هذه القصة للحديث عن دور صديقنا ايفاجريوس،<sup>٦٤</sup> فعظيمة هي أتعابه لأجل المسيح. وإن كنت أتصور بأني أستطيع أن أصف أتعابه وصفًا كافيًا فأنا واهٍ. ومن ناحية أخرى إن حاولت ألا أتكلم عنها، فلن أستطيع كتم صوتي من الصراخ بفرح وابتهاج بها.

<sup>٦٣</sup> إشارة إلى مثل شهير "summum jus, summa injuria".

<sup>٦٤</sup> كاهن وأسقف أنطاكية.

## الخطابات

من يستطيع أن ينطق بمدح يلائم مثابرتة ويقظته التي مكنته من - إن استطعت القول - وأد أكسنتيوس<sup>٦٥</sup> أسقف ميلان ودفنه قبل أن يموت! الذي كان لعنة تخيم على الكنيسة هناك. ومن يستطيع أن يعطيه حقه من التمجيد ذاك الذي بتعقل قد أنقذ أسقف روما<sup>٦٦</sup> من براثن الشباك التي كان واقعاً فيها مظهرًا له الوسائل التي تمكنه من هزيمة أعدائه فوراً ثم بعد ذلك العفو عنهم وإظهار الرحمة. "ولكن مواضيع مثل هذه يجب أن تترك لشعراء البطولات والملاحم، متوقفاً عن الكلام لضيق الوقت والمساحة."<sup>٦٧</sup> أنا مقتنع الآن بأن أسجل خاتمة قصتي، فلم يدخر ايفاجريوس وقتاً ليطلب جلسة استماع خاصة من الإمبراطور،<sup>٦٨</sup> وكسب تعاطفه حينما عرض عليه قضية المرأة ودفاعه عنها. وأخيراً بفضل جهوده عفا الإمبراطور عن المرأة وأعاد لها حرمتها كما أعاد الرب لها حياتها.

---

<sup>٦٥</sup> أسقف أريوبيي سالف للقديس أمبروسيوس وكان لا يزال حيًا عندما كتب جيروم الخطاب، لكنه مات عام ٣٧٤م.  
<sup>٦٦</sup> داماسوس، الذي حرم أكسنتيوس في مجمع عُقد في روما عام ٣٦٩م.

<sup>٦٧</sup> Virg. G. iv. 147, 148.

<sup>٦٨</sup> فالنتيان الأول.

## الخطاب الثاني

إلى ثيودوسيوس وباقي النساك الساكنين معه

كتب من أنطاكية سنة ٣٧٤م حين كانت خطط جيروم للمستقبل غير محددة  
المعالم بعد. ويبدو أن ثيودوسيوس هو أبو الرهبان في صحراء سوريا.

(١)

آه، كم أشتاق إلى أن أكون وسط جماعتك! ورغم أن عيني لا تستحق  
النظر إلى جماعتك الرائعة، إلا أنني أتمنى بكل سعادة الانضمام لها. عندها  
كنت سأطلع إلى الصحراء، فهي أحلى المدن. وكنت سأقوى على النظر إلى  
أماكن هجرها سكانها حولتها جماعات القديسين إلى فراديس متنوعة.

(٢)

لكن طالما وقفت خطاياي حائلا بيني وبين الانضمام إلى جماعتك  
المباركة، وفكري مُثقل بكل أنواع الخطايا والذنوب، لذا أتوسل إليك، وأنا  
أعلم أنك قادر، أن تصلي من أجلي كي أنجو بصلاتك من ظلمة هذا العالم.  
لقد طلبت منك هذا عندما كنت معك. والآن وأنا أكتب إليك، أكرر  
طلبي الملح؛ لأن كل طاقات عقلي وقلبي تكسرت لتحقيق هذا الهدف  
الواحد. ونجاحي في تحقيق مأربي هذا يرجع إليك. عليّ أن أظهر الرغبة، أما  
الإرادة فستأتي فقط من خلال الاستجابة لصلواتك.

(٣)

أنا مثل خروف ضعيف وضال عن القطيع. وإن لم يحملني الراعي  
الصالح على منكبيه ويعدني إلى المرعى، ستعثر خطواتي. وإن حاولت القيام

## الخطابات

بكل قوتي، لن تحملني قدمي. أنا لاين نسرف،<sup>٦٩</sup> بذّرت نصيبي الذي  
عهده أبي إليّ، ولم أرجع بعد إليه ركعاً على ركبتي أمامه. ولم أتخذ خطوة  
البداية في أن أطرح عني مغريات منذت حياتي السابقة.

(٤)

ولأني لم أتخل بعد عن خطاياي كما كنت أرنو. يحاول الشيطان الآن أن  
ينصب لي أشراكا جديدة. هو يضع عراقيل جديدة أمام سبيلي. ويحاصرني  
بمياه المحيط من كل جانب. "البحار تلتف حولي والأعماق في كل مكان."<sup>٧٠</sup>

(٥)

أجد نفسي وسط الماء، لا أريد أن أتراجع ولا أقوى على التقدم. ولم يبق  
لي سوى صلواتك لأنال بها نسمة من الروح القدس تدفعني أماماً وتأتي بي  
إلى الميناء الذي على الشاطئ المنشود.

---

<sup>٦٩</sup> راجع لوقا ١٥: ٥٠.

<sup>٧٠</sup> Virg. A. v. 9.



## الخطاب الثالث

### إلى الراهب<sup>٦١</sup> روفينوس

كتب جيروم من أنطاكية عام ٣٧٤م إلى روفينوس في مصر. وهو يروى عن سفرياته والأحداث التي حدثت منذ وصوله إلى سوريا. خصوصا وفاة انوسنت وهيلاس. وايضا سرد حياة بونوسيوس الناسك في جزيرة في البحر الادرياتيكي. الهدف الاساسي من الخطاب هو حث روفينوس على المجيء إلى سوريا.

(١)

الله الذي يهب لنا أكثر جدًّا مما نطلب أو نفتكر،<sup>٦٢</sup> ودائما ما يعطينا "مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ"،<sup>٦٣</sup> بالفعل قد سمعت عنه من قبل من خلال الكتب المقدسة. لكن الآن يا عزيزي روفينوس قد اختبرته شخصيا لأني اعتقدت أنها أمنية بعيدة المنال أن يعوّض تبادلنا للرسائل وجودك معي بالجسد. سمعت أنك قد توغلت في صحاري مصر تزور الرهبان وتُمر على أولاد الله على الارض.

ليت الرب يسوع المسيح ينقلني إليك فجأة كما نقل فيلبس المبشر إلى الخصى الحبشي،<sup>٦٤</sup> وكما نقل حبقوق إلى دانيال.<sup>٦٥</sup> فكم سيكون العناق شديداً وكم ستكون كثيرة هي القبلات التي سأقبل بها فمك الذي كثيرا ما شارك فمي سواء في الأخطاء أو في الحكمة! لكن بما أني لست مستحقا أن آتي إليك، (وليس أن تأتي أنت إليّ)، ويسبب أن جسدي الضعيف حتى وهو

<sup>٦١</sup> في وقت جيروم كان لقب راهب يطلق على المتوحدين أو من في حياة الشركة الذين انتهجوا حياة النسك.

<sup>٦٢</sup> ٢٠:٣.

<sup>٦٣</sup> ١ كو٢:٩.

<sup>٦٤</sup> ١٨٦:٢٦-٣٠.

<sup>٦٥</sup> تنمة سفر دانيال.

## الخطابات

سليم قد اعترته عدة أمراض، أرسل لك هذا الخطاب بدلا من أن آتى إليك بنفسى آملا أن يأتى بك إلى هنا ممسكا بك في شباك المحبة.

(٢)

إن أول ما أسعدني هي الأخبار السارة غير المتوقعة من أخي  
هيليو دورس. وقد أردت التأكد منها، ولكنى لم أقدر على هذا، خصوصا أنه  
أخبرني أنه قد سمعها من شخص آخر. فكلما كانت الأخبار غريبة كلما قلت  
مصداقية القصة. لذلك فكل ما أريد أن اعرفه غير مؤكد وعقلي مشتت.  
حتى جاء إليّ راهب اسكندري وجعلني اصدق هذه الاخبار والذي كان في  
وقت سابق مبعوثا من أهل مصر بدافع الواجب والحب إلى المعترفين<sup>٧٦</sup>  
(الذين هم شهداء بالإرادة). وحتى بعد ذلك يجب أن أعترف أنى ما زلت  
متشككا؛ لأن - من ناحية - هو لا يعرف اسمك ولا بلدك، ومن ناحية  
أخرى كل ما قاله يمكن أن يصدق ويتفق مع ما وصلني بالفعل من  
إشارات. وفي النهاية انكشفت الحقيقة كاملة؛ فقد كانت جموع كثيرة من  
الناس تتوافد هنا باستمرار وتقول: ”روفينوس في برية نتريا وقد وصل إلى  
قلاية مكارىوس الطوباوي.“<sup>٧٧</sup> ومن تلك اللحظة لم تعد تساورني الشكوك.  
ولكنى حزنت لأجل مرضي. لولا جسدي الضعيف الواهن الذي يعوق  
تحركاتي، لما استطاع حر الصيف أو أخطار الرحلة أن يعيق خطوات  
الاشتياق السريعة. صدقني يا أخي. أنا أشتاق لرؤياك أكثر من رغبة البحار  
الواقع في العاصفة لرؤية المرفأ وأكثر من اشتياق الحقول الجافة للأمطار  
والأم الملهوفة المنتظرة على حافة الجسر عودة ابنها.

<sup>٧٦</sup> المعترفين: هم الأكليروس والرهبان الذين لم يقبلوا الهرطقة الأريوسية فتم نفيهم بواسطة الإمبراطور فالنس الأريوسى إلى مدينة هليوبولس في فينيقية.

<sup>٧٧</sup> مكارىوس: هو القديس مكارىوس المصري (الكبير). تقابل روفينوس أيضا مع مكارىوس السكندرى.

(٣)

بعد العاصفة<sup>٧٨</sup> التي سحبتني بعيداً عنك، ممزقة بطريقة ملتوية وخبثية رباط المحبة الذي كان يربطنا سوياً.

”غيم يجيم على رأسي. والماء حولي من كل جانب والسماء من فوق.“<sup>٧٩</sup>

سرت هائماً لا أدري إلى أين أمضى تراس، وبننتس، وبيثينية، وسائر أنحاء غلاطية وكبادوكية، وسلوكية بحاراتها اللافحة؛ واحدة تلو أخرى بددت قوتي. وفي النهاية بدا لي أن سوريا هي الملاذ الأكثر أمناً لبحار تحطمت به السفينة. وهنا بعد أن ابتليت بكافة أنواع المرض؛ فقدت إحدى عيني لأن إنوسنت<sup>٨٠</sup> توأم روجي<sup>٨١</sup> قد اختطف مني فجأة بعد أن أصيب بجَمَى. أمّا العين الأخرى الباقية التي هي كل شيء بالنسبة لي فهي ايفاجريوس<sup>٨٢</sup>، الذي صرت أنا وكل ضعفاي ثقل اضافي عليه. كان معنا أيضاً هيلاس<sup>٨٣</sup>، خادم ميلانيه<sup>٨٤</sup>، والذي أزال، بسبب منهج سلوكه الصارم، كل عفن لحق به من عبوديته السابقة. لقد أعاد موته فتح جرح لم يكن قد التأم بعد. لكن بما ان الرسول يمنعنا من أن نحزن على الراقدين<sup>٨٥</sup>، وبما أن الأخبار السارة التي وصلت إليّ قد خففت من لوعتي. لذا سوف أرويها عليك إن لم تكن قد سمعتها من قبل وإن كنت قد سمعتها سوف نبتهج بها سوياً.

---

<sup>٧٨</sup> العاصفة: هي أفعال لبيسينوس اسقف استيروم التي شتت بها الجماعات الرهبانية في اكويليا وقد كان جيروم وروفيونوس آباء لهذه الجماعات.

<sup>٧٩</sup> Virg. A. iii. 193, 194: v. 9.

<sup>٨٠</sup> عن انوسنت، انظر الخطاب رقم (١).

<sup>٨١</sup> Hor. C. i. 3, 8.

<sup>٨٢</sup> انظر خطاب ١: ١٥.

<sup>٨٣</sup> هيلاس: عبد معتوق لميلانية.

<sup>٨٤</sup> ميلانيه: ارملة رومانية تركت العالم ونهجت المنهج النسكي ورافقت روفينوس إلى الشرق واستقرت معه على جبل الزيتون.

<sup>٨٥</sup> ١٣: ٤.

## الخطابات

(٤)

صديقك بونوسيس،<sup>٨٦</sup> ولكي أكون صادقًا هو صديقي ايضا، الان يتسلق السلم الذي رآه يعقوب في الحلم.<sup>٨٧</sup> هو يحمل صليبه غير مهتم بما للغد<sup>٨٨</sup> ولا ينظر ورائه إلى ما قد تركه.<sup>٨٩</sup> هو يزرع بالدموع كي يحصد بالابتهاج،<sup>٩٠</sup> مثل موسي ولكنه في الحقيقة رفع الحية في البرية.<sup>٩١</sup> هذه قصة حقيقية تُخزى كل الأساطير التي سطرها أقلام اليونانيين والرومانيين.

ف عندك هنا شاب متعلّم معنا بكل تهذيب هذا العالم، هو ثروة طائلة ولا يتفوق عليه أحد من أقرانه. إلا أنه ترك امه واخواته وأخاه العزيز واستقر في جزيرة موحشة مثل فلاح جديد وضع في جنة عدن ليعملها ويحفظها.<sup>٩٢</sup> ومن حوله بحر يزار عند صخور شواطئها الصلبة، وتزيدها أجرافها المنحدرة وصخورها الناتئة وطبيعتها المقفرة رعبًا. لا يوجد هناك راهب أو فلاح، حتى أنسيمس الصغير الذي كان يعزيه ويهون عليه لم يبق إلى جانبه في هذه العزلة الرهيبة. وهو وحيد على الجزيرة، أو ليس كذلك لأن المسيح معه، رأى مجد الله الذي لم يستطع أحد أن يراه حتى الرسل إلا في الخلاء وعلى انفراد.<sup>٩٣</sup>

لم يطلب هنا مدينة باقية لكنه سجل اسمه في المدينة العتيدة.<sup>٩٤</sup> المسوح

---

<sup>٨٦</sup> بونوسيس: هو أخ جيروم في الرضاة وقد رافقه إلى روما هو الان متوحّد في جزيرة قرب اكويليا.

<sup>٨٧</sup> تك ٢٨:١٢.

<sup>٨٨</sup> مت ٦:٣٤.

<sup>٨٩</sup> لو ٩:٦٢.

<sup>٩٠</sup> مز ١٢٦:٥.

<sup>٩١</sup> عد ٢١:٩.

<sup>٩٢</sup> تك ٢:١٥.

<sup>٩٣</sup> مت ١٧:١٠.

<sup>٩٤</sup> عب ١٣:١٤.

التي يرتديها شوهت أطرافه ولكنه كان فرح جدا لأنه سيخطف إلى السحب لملاقاة الرب في الهواء.<sup>٩٥</sup> لا يوجد عنده ينابيع مياه يمتع بها نظره وتكفي احتياجاته بيد أنه يشرب من ينبوع ماء الحياة.<sup>٩٦</sup>

يا صديقي العزيز، ضع هذا نصب عينيك وبكل قدراتك الذهنية ارسم صورة في خيالك لهذه القصة. فعندما تدرك مدي جهاد المحارب تستطيع أن تعطيه حق قدره في مدح انتصاراته. يحيط بكل الجزيرة بحر هائج يزأر بينما الصخور البارزة على طول شواطئه الملتفة حول الجزيرة تصدر أصواتا عالية كلما تضربها موجاته وكأنها ترد عليه. لا توجد أي خضرة ولا أشجار ظل ولا حقول خصب. ومرتفعات شديدة الانحدار تحيط بقلايته وكأنها أسوار سجن غير أنه كان غير مبالي بكل هذا، بلا خوف متسلح من الرأس إلى الرجلين بما قال عنه الرسول.<sup>٩٧</sup> سامعا لصوت الله من خلال القراءة في الكتاب المقدس، محدثًا إياه في صلواته ويبدو أنه خلال إقامته هناك رأى بعض الرؤي مثل تلك التي رآها يوحنا.<sup>٩٨</sup>

(٥)

كم من أشراك ينصبها الآن الشيطان وكم خطط يعدها! ربما يحاول أن يجرب بونوسييس بالجوع كما فعل قديما.<sup>٩٩</sup> ولكنه قد أجاب بالفعل قائلا: "لَيْسَ بِالْحُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الْإِنْسَانُ."<sup>١٠٠</sup> قد يضع أمامه الشهرة والثروة وسوف تأتيه الإجابة هكذا "وَأَمَّا الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَكُونُوا أَغْنِيَاءَ فَيَسْقُطُونَ فِي

<sup>٩٥</sup> ١ تيمس: ٤: ١٧.

<sup>٩٦</sup> يوحنا: ٤: ١٤، يوحنا: ١٩: ٣٤.

<sup>٩٧</sup> ١ ف: ٦: ١٣-١٧.

<sup>٩٨</sup> رؤيا: ٩: ١٠.

<sup>٩٩</sup> مت: ١٠: ٤-٤.

<sup>١٠٠</sup> مت: ٤: ٤.

## الخطبات

تَجْرِبَةً وَفَحَّ وَشَهَوَاتٍ كَثِيرَةٍ،<sup>١١</sup> وأيضاً ”مَنْ افْتَحَرَ فَلْيَفْتَحِرْ بِالرَّبِّ.“<sup>١٢</sup> من المحتمل أنه، سوف يأتي إليه حينما ترتعش أطرافه من كثرة اصوامه وتعذبها أوجاع الأمراض، لكن صرخة الرسول بولس ستصده قائلة: ”حِينَمَا أَنَا ضَعِيفٌ فَحِينَيْدُ أَنَا قَوِيٌّ.“ و”لَأَنَّ قُوَّتِي فِي الضُّعْفِ تُكْمَلُ.“<sup>١٣</sup> وإن هدده بالموت سيجيبه قائلاً: ”لِي اشْتِهَاءٌ أَنْ أَنْطَلِقَ وَأَكُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. ذَاكَ أَفْضَلُ جِدًّا.“<sup>١٤</sup> سوف يرميه بسهامه النارية ولكنها سترتطم بترس الإيمان.<sup>١٥</sup> باختصار، إن الشيطان سيهاجم لكن المسيح سيدافع. لك الشكر يا ربي يسوع لأنه في يوم الرب من يستطيع أن يصلي من أجل، كل القلوب مكشوفة امامك أنت تعرف كل مكونات القلب.<sup>١٦</sup> كنت ترى النبي وهو في بطن الحوت في أعماق البحار،<sup>١٧</sup> فأنت تعرف إذن كيف أننا نشأنا معاً منذ بساطة الطفولة إلى قوة الرجولة. وكيف وضعنا سوية من ثدي مرضعة واحدة. وحملتنا ذات الأيدي وكيف بعد أن درسنا في روما أقامنا في نفس البيت وتشاركنا الطعام على ضفاف نهر الراين. أيضاً أنت يا رب تعلم أنني من بدأت في السعي إلي خدمتك. أتوسل إليك يا رب أن تذكر أن هذا الجندي الذي لك كان معي مبتدئاً. وأماي الوعد الذي أعطيته ”فَمَنْ نَقَصَ إِحْدَى هَذِهِ الْوَصَايَا الصُّغْرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هَكَذَا، يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ.“<sup>١٨</sup> لينعم هو بأكاليل الفضائل ومن أجل استشهاده كل يوم يتبع

<sup>١١</sup> اتي ٩:٦.

<sup>١٢</sup> اكو١: ٣١.

<sup>١٣</sup> ٢كو٢: ١٠، ٩.

<sup>١٤</sup> في ٢٣:١.

<sup>١٥</sup> أف ٦: ١٦.

<sup>١٦</sup> أع ١٤: ١، رؤ ٢٣: ٢.

<sup>١٧</sup> يون ٢: ٢١.

<sup>١٨</sup> مت ١٩: ٥.

الخروف لابسا ثيابا بيضاء. ولأنه "فِي بَيْتِ نِي مَنَازِلٍ كَثِيرَةٍ" <sup>١٩</sup> و"نَجْمًا يَمْتَأَزُ عَن نَجْمٍ فِي الْمَجْدِ." <sup>٢٠</sup> أما أنا أعضي قوة كي أرفع رأسي إلي مستوى كعب القديسين. أنا لي الرغبة، ولكنه هو مَنْ حققها. من أجل هذا ساحني لتقصيري في أن أحافظ على ندوري وجازي خيرا عَوْضَ أتعابه.

ربما قد أطلت في الكلام وتخطيت حدود الرسالة المسموح بها كالمعتاد ولكنه الحال دائما عندما يأتي الكلام على ذكر عزيزنا بونوسيس.

(٦)

ولكن كي نعود إلى النقطة التي بدأت الكلام عنها. أرجوك لا تجعلني أبتعد عن عينيك وقلبك. الصديق المرغوب فيه بشدة، صعب الحصول عليه. والأصعب هو الحفاظ عليه. هؤلاء الناس لو شاءوا ليهبهم الذهب ليؤخذوا دائما بروعته الذين أمتعتهم وأثاثهم مرصعة بالذهب والفضة. المحبة لا تُقَدَّر بثمن والصدقة التي يمكن أن تنتهي لا تكون صداقة حقيقية.

كن معافى في المسيح

<sup>١٩</sup> يوحنا ١:٢٠.  
<sup>٢٠</sup> ١ كورنثوس ١٥:٤١.

## الخطابات

### الخطاب الرابع إلى فلورنيتوس

أرسل هذا الخطاب إلى فلورنيتوس برفقة الخطاب السابق الذي طلب منه  
جيروم أن يوصله إلى روفينوس. فلورنيتوس رجل إيطالي ثرى ولكنه ترك العالم  
ذاهباً إلى أورشليم لطلب الرهينة، جيروم يتحدث عنه لاحقاً على أنه "الراهب  
المميز العطوف على المحتاجين حتى عُرف بأنه أبو الفقراء" ( Chron. ad a.d. )  
381). كتب سنة ٣٧٤م.

(١)

إن اسمك وتقواك على السنة العديد من الناس على مختلف أنواعهم،  
الأمر الذي جعلني أحبك قبل أن أعرفك. فكما قال الرسول: "حَطَايَا بَعْضِ  
التَّائِبِينَ وَاصِحَّةٌ تَتَقَدَّمُ إِلَى الْقَضَاءِ."<sup>١١١</sup> والعكس صحيح بالنسبة إليك لأن  
الكلام عن عطائك متقدّم أمامك، لذا تستحق أن تكون محبوباً ومن يفعل  
غير ذلك مذنب.

لن أذكر الأمثلة العديدة التي فيها أعنت المسيح، وأطعمته، وكسوته،  
وزرته<sup>١١٢</sup> والمساعدة التي أسديتها لأخيينا هيليوودوروس في ضيقته تحل عقدة  
لسان الأخرس. فبأي شكر وبأي ثناء تكلم عن كرمك الذي به يسرت على  
حُجاج الاراضي المقدسة.

في الواقع أنا أكثر الناس كسلاً. مثقل بأمراض لا تحتمل. ولكن محبة  
جارية ورغبة عارمة أعطت لرجلي أجنحة لأتقدم وأحبيك وأعانقك. أتمنى  
لك كل ما هو حسن وأطلب من الرب أن يثبت دعائم صداقتنا الجديدة.

<sup>١١١</sup> اتي ٤:٥.

<sup>١١٢</sup> مت ٥٢:٣٤-٤٠.



(٢)

قيل إن أخانا روفينوس جاء من مصر إلى أورشليم مع السيدة المحبوبة ميلانيه، والذي يربطني به محبة أخويه لا تنفصم عراها. وأتمنى أن تسدي لي خدمة بتوصيل الرسالة المرفقة مع هذا الخطاب إليه. يجب ألا تحكم عليّ من خلال الفضائل التي تجدها فيه، لأنك ستري فيه أوضح سمات القداسة بينما أنا ليس إلا تراب وهباء وحتى الآن على الرغم من أنني حي إلا أنني لست سوى رماد. يكفيني أن تقوى عيناى الضعيفة على تحمل بريق ضيائه. لقد تنقّى<sup>١٣</sup> وأصبح طاهرًا وصار أبيض أكثر من الثلج.<sup>١٤</sup> بينما أنا لا أزال ملوثًا بالخطايا على أنواعها. بارتجاف نهارا وليلا أنتظر حتى أوفي الفلس الأخير.<sup>١٥</sup> ولكن حيث أن "الرَّبُّ يُطَلِّقُ الأَسْرَى"،<sup>١٦</sup> وأيضا يريح "المِسْكِينِ وَالْمُنْسَحِقِ الرُّوحِ وَالْمُرْتَعِدِ مِنْ كَلَامِي."<sup>١٧</sup> فليته يقول لي أنا أيضًا الراقد في قبر الخطية: جيروم "هلم خارجا."<sup>١٨</sup> قدس أبينا ايفاجريوس يرسل لك تحياته الحارة وكلانا نُسَلِّمُ على الأخ مارتنيانوس بكل احترام. أتمنى أن أراه ولكنى مقيد بسلاسل المرض.

كن معافي في المسيح

<sup>١٣</sup> اعتمد روفينوس في أكوليا قبل ذلك بثلاث سنوات.

<sup>١٤</sup> مز ٥١: ٧.

<sup>١٥</sup> مت ٢٦: ٥.

<sup>١٦</sup> مز ١٤٦: ٧.

<sup>١٧</sup> إيش ٤٠: ٦٦.

<sup>١٨</sup> يو ٤٣: ١١.

## الخطابات

### الخطاب الخامس إلى فلورنتوس

كتب بعد الخطاب السابق بعدة أشهر من صحراء سوريا. بعد أن أطنب جيروم في أوامر الصداقة مع فلورنتوس وأشار ببعض التلميحات إلى روفينوس، ذكر أنه يرغب في أن يرسل له نسخا من بعض الكتب. وأيضا تكلم عن العبد الهارب الذي ذكره فلورنتوس في رسالة كتبها إلى جيروم. كتب نحو عام ٣٧٤م.

(١)

صديقي العزيز: إن رسالتك وصلت إليّ وأنا مستقر في تلك البقعة من الصحراء القريبة من سوريا والساساسين<sup>١١</sup> Saracens، وعندما قرأتها أضرت في ذهني من جديد رغبة عارمة للارتحال إلى أورشليم؛ لأنني دائما مستعد أن أبطل نذر الوحدة في سبيل إشباع رغبتك، ولأنني أريد أن أبذل أقصى جهدي أرسل لك هذا الخطاب في المقابل بسبب عدم استطاعتي الحضور شخصيا، وهكذا على الرغم من أنني غائب بالجسد، فأنا حاضر عندك بالحب وبالروح (كو٢:٥) وأطلب من الله بلجاجة أن تستمر أوامر صداقتنا الجديدة المتأصلة في المسيح، ولا تمرّقها أبداً بعد المسافة أو طول الزمن. بل يجب أن نقوي هذه الرابطة أكثر فأكثر بتبادل الرسائل. فلنجعل هذه الرسائل تتبادل بيننا وتقابل بعضها البعض في الطريق وتتحدث معنا. فالمحبة لن تبرد ان حافظنا على التواصل بهذا النحو.

(٢)

لقد قلت لي في خطابك إن روفينوس أخانا لم يأت بعد إليك. حتى إن

---

<sup>١١</sup> Saracens: قبائل عربية تسكن صحراء الشام. ومن هذه الكلمة جاء مصطلح الشرقيين الذي أصبح يطلق على عموم المسلمين في العصور الوسطى. (م)

أتى فلن يكفي هذا الخبر لإشباع شوقي إليه لأني لن أستطيع رؤياه الآن. هو أبعد ما يكون عن المجيء إلى هنا، وطبيعة حياة الوحدة التي أعيشها تمنعني من الذهاب إليه؛ لأن لم أعد حرًا في السير وراء رغباتي. لذا، ألتمس منك أن تطلب منه أن يسمح لك بنسخ تفاسير الأسقف ريتيتيوس Rhetitius<sup>١٢٢</sup> أسقف أوغستودينم Augustodunum، التي فيها شرح - ببلاغة شديدة - سفر نشيد الأناشيد. وقد كتب لي رجل من بلدة روفينوس المذكور آنفًا وهو العجوز بول<sup>١٢٣</sup> يقول إن روفينوس عنده نسخه من شرح ترتليانوس<sup>١٢٤</sup> تخصه وأنه يلح في أن يُعيدها إليه بسرعة.

وأطلب منك أيضًا أن تكلف ناسخا بكتابة بعض الكتب الموجودة في قائمه الكتب غير الموجودة عندي ومرفق طيها مع الخطاب أرجو أيضا ان ترسل لي تفسير سفر المزامير لداود وكتاب الجامع الكبير لمؤلفهما القديس هيلاري<sup>١٢٥</sup> الذي قد نسخته من أجله بيدي في تريف. وهذه الكتب - كما تعلم- يجب أن تكون هي غذاء الروح للمسيحي إن كان يريد أن يلهج بناموس الرب نهارا وليلا.<sup>١٢٤</sup>

أنت تُؤي آخرين تحت سقف بيتك وتسهر على راحتهم وتساعدهم من مالك الخاص أما من جهتي أنا فإن وافقت على منحي هذه الكتب فهذا كل ما أريده. وبما أني بفضل الرب وكرمه غني بالأسفار المقدسة، فيمكنك أن تطلب أي شيء في المقابل وسأرسل لك ما تريد. ولا تعتقد أن طلبك

<sup>١٢٢</sup> Rhetitius: ريتيتيوس أسقف مشهور كان أحد رسل الملك قسطنطين في عام ٣١٣م لكي يسوي النزاع بين الكنيسة الجامعة والدوناتيين ولكن جيروم انتقد شرحه لسفر نشيد الأناشيد في الرسالة (٣٧).

<sup>١٢٣</sup> انظر المقدمة لخطاب رقم ١٠.

<sup>١٢٤</sup> ترتليانوس: من الاباء المدافعين في القرن الثالث، ويعد مع القديس أغسطينوس أشهر لاهوتي الغرب.

<sup>١٢٥</sup> هيلاري: أسقف بواتيه يُلقب بأثناسيوس الغرب.

<sup>١٢٤</sup> مز:٢٠.

## الخطابات

سيتعبنى لأن عندي تلاميذ مكرسين للنسخ. وأنا لا أعدك بخدمة لمجرد أنني طلبت منك واحدة. لأن أخانا هيليو دورس<sup>١٢٥</sup> أخبرني أن هناك العديد من أسفار الكتاب المقدسة تريدها ولا تستطيع أن تجدها. ولكن حتى لو كان عندك كل الكتب فالمحبة الأخوية لها حقوق بالتأكيد وتطلب أكثر مما لها.

(٣)

بخصوص السيد الحالي لعبدك - والذي أعطيتني شرف الكتابة عنه - ليس لدي أي شك في أنه هو خاطفه. فبينما كنت في أنطاكية كنت أرى الكاهن إيفاجريوس مراراً يوجه إليه اللوم في حضوري. وكان يجيب قائلاً: "ليس لدي ما أخشاه." وهو أعلن أن سيده أطلقه حراً. فإن كنتما أنتما الاثنان تريدها فهو هنا أرسله إلى حيثما شئتما. لا أظن أنني على خطأ عندما أرفض السماح لهارب أن يستمر في شروده.

لا أستطيع أن أنفذ لك طلبك وأنا هنا في البرية. ولذا طلبت بشدة من صديقي إيفاجريوس أن يعطي هذه القضية الأولوية من أجلي ومن أجلك.

كن معافئاً في المسيح

---

<sup>١٢٥</sup> هيليو دورس: انظر مقدمة الخطاب (١٤).

## الخطاب السادس إلى يوليان شماس أنطاكية

ترجع أهميته الرئيسة إلى أن فيه ذكراً لأخت جيروم. يبدو أنها سقطت في الخطية ولكنها أرجعت لحياة الطهارة بفضل الشماس يوليان. وذكر جيروم أخته مرة أخرى في الخطاب التالي. كتب عام ٣٧٤م.

هناك مقولة قديمة تقول: "لا يمكن تصديق الكذبة حتى لو تكلموا بالحق."<sup>١٢٦</sup> ومن الطريقة التي تلومني بها لأني لم أكتب إليك. أدرك أن هذا حالي معك. هل أقول لك: إنني كتبت اليك مراراً ولكن حاملو رسائلي أهملوا التوصيل؟ ستجيب قائلاً: إنها حجة قديمة يستخدمها كل من يتقاعس عن الكتابة. هل أقول: لم أجد أي شخص ليوصل لك الرسالة؟ ستجيب: إن عدد من الناس جاءوا من ناحيتي إلى حيث أنت. هل أزعم بأنهم فعلاً أخذوا مني رسائل؟ لأنهم لم يسلموها سينكرون أنهم استلموها بالأصل. هذا فضلاً عن بعد المسافة التي تفصل بيننا وتجعل من الصعب الوصول إلى الحقيقة. فماذا عليّ أن أفعل إذن؟

على الرغم من أنني غير ملموم، إلا أنني أطلب صحفك لأني أعتقد أنه من الأفضل أن أتنازل وأعطي فرصة للصلح، بدلاً من أن أتشبث بموقفي ويحدث نزاع. الحقيقة أن أمراض الجسد المزمنة وهموم العقل التي اصابتني بالوهن واقتراب الموت مني جعلني لم أعد في كامل قواي كالمعتاد. ولكيلاً تحسب أن هذه حجة واهية، والآن بعد أن قدمت دفاعي مثل المحامي، سوف أستدعي شهودي ليؤكدوا كلامي.

إن أخانا المبجل هيليوودورس كان هنا. وبالرغم من رغبته في السكنى

<sup>١٢٦</sup> الفيلسوف أرسطوتل.

## الخطابات

معي في البرية إلا أن حماقاتي جعلته يرحل فزغًا.

ولكني سأعوض عن صمتي في الماضي بكثرة كلامي من الآن فصاعدًا. وكما قال هوراسي في هجائه. تكلم المغنين لديهم عيب مشترك وسط أصدقائهم؛ لا يغنون أبدا لو طلب منهم وإن لم يطلب منهم لا يكفون عن الغناء.<sup>١٢٧</sup> لذا فمن الآن سوف أغمرك بحزم من الرسائل حتى أنه سيتغير موقفك وتتوسل كي لا أكتب.

أنا أفرح لأن أختي<sup>١٢٨</sup> - التي هي ابنتك في المسيح - مازالت ثابتة على سابق عهدها. والفضل الأول لك في هذا الخبر السار، لأني هنا لا أستطيع معرفة ما يدور في مسقط رأسي، بل حتى لا أستطيع أن أعرف هل ما زال موجودا أم لا.

حتى لو مزقتني الحية الأسبانية<sup>١٢٩</sup> بأنيابها الفتاكة، فلن أخشى حكم الناس لإيماني بأن هناك من سيحكم على وهو الله. كما سبق وقيل: "هَشَّم العالم عليّ لو شئت فسوف يسقط على رأس لا تعرف الخوف."<sup>١٣٠</sup>

أرجو منك إذن أن تضع أمامك دائما وصية الرسول.<sup>١٣١</sup> وهي وجوب أن يبقى عملنا، وانتظر مكافأة من الرب بخلاص نفس أختي. وبالاستمرار في الكتابة زد فرحي بالمجد في المسيح الذي نتشارك فيه سويا.

<sup>127</sup> Hor. S. i. 3, 1-3.

<sup>١٢٨</sup> ذكرت مرة أخرى في الخطاب (٧).

<sup>١٢٩</sup> من المرجح أنه يقصد لبيسينوس Lupicinus أسقف ستريدون لأنه كان أسباني المولد وكان على خلاف مع جيروم لأنه كان ضد النسك والرهبة.

<sup>130</sup> Horace, C. iii. 3, 7, 8.

<sup>١٣١</sup> ١ كو١:٣

## الخطاب السابع

إلى كروماتيوس وجوفينوس ويوسابيوس

هذا الخطاب أرسله جيروم إلى ثلاثة من رفاقه السابقين في حياته الروحية. وقد أصبحوا فيما بعد أساقفة. وفيه يمدح بونوسيوس، ويطلب إرشاداً لأخت جيروم، ويهاجم سلوك ليبيسيونيوس Lupicinus أسقف استريدون. كتب عام ٣٧٤م.

(١)

إن الذين يجمع الحب بينهم يجب ألا تصل إليهم رسائل متفرقة، ولذا يجب ألا أقسم كلماتي بينكم كلاً على حدة. فقوية هي رابطة الحب التي تجمعكم أنتم الثلاثة، وهي ليست أقل من رابطة الأخوة الجسدية التي تجمع بين اثنين منكما.<sup>١٣٢</sup>

حقاً لو تسمع قوانين الكتابة بذلك لكنت قد مزجت أسماءكم الثلاثة في اسم واحد. إن هذا الخطاب الذي تسلمته منكم جعلني أراكم مجتمعين في كل واحد منكم، وأرى كل واحد منكم في ثلاثتكم.

فعندما سلم إليّ قدس أبينا ايفاجريوس الخطاب في هذا المكان من الصحراء التي تمتد من الشام إلى الساراسين، كانت سعادتني عارمة. لدرجة أنها فاقت السعادة التي ملأت روما عندما استعادت انتصاراتها بعد هزيمة كانا cannae<sup>١٣٣</sup> وتدمير قوات هانيبال Hannibal في موقعة نولا Nola على يد القائد مارسيللوس Marcellus.<sup>١٣٤</sup>

<sup>١٣٢</sup> كروماتيوس ويوسابيوس أخوان بالجسد.

<sup>١٣٣</sup> كانا cannae: موقعة حربية بين روما وقرطاج وانتهت بهزيمة قاسية لقرطاج.

<sup>١٣٤</sup> مارسيللوس: قائد روماني لقب بسيف روما لانتصاراته الكبيرة.

## الخطابات

ايفاعريوس كثيرا ما يأتي لرؤيتي ويحبنى في المسيح كأحشائه<sup>١٣٥</sup> وأحزن عند رحيله بقدر ما أفرح عند مجيئه وذلك لبعده المسافة بيننا.

(٢)

أنا أتحدث إلى خطابكم وأعانقه ويكلمني، فهو الوحيد هنا الذي يتكلم باللاتينية. لأنه في هذا الجوار إما أن تتكلم باللهجة البربرية أو تمسك لسانك.

هذه الأسطر التي بخط أيديكم تحمل في طياتها وجوهكم العزيزة عليّ وترسمها أمامي فإما أنا معكم ولست هنا، أو أنتم الذين هنا معي. صدقوا المحبة فهي لا تقول إلا الحقيقة، إني أشعر أنكم واقفون أمامي وأنا أكتب هذا الخطاب.

لي عتاب عليكم، أمع كل هذه المسافة الشاسعة التي تفصل بيننا من أراض وبحار، ترسلون لي هذا الخطاب القصير؟

هل لا أستحق أكثر من هذا لأني لم أبدأ بالكتابة؟ لا أظن أنه يوجد عجز في الورق عندكم بينما البضائع ما زالت تصل إليكم من مصر حتى لو أن بطليموس<sup>١٣٦</sup> قد أغلق البحار فعندكم الملك أثالوس<sup>١٣٧</sup> يرسل لكم جلودًا للكتابة من برغاموم تعوضون بها عن نقص الورق.<sup>١٣٨</sup> وهذا الاسم "الرقوق" جاء من حادثة تاريخية في أجيال سابقة.<sup>١٣٩</sup> ماذا إذن؟ هل أفترض أن حامل الرسالة كان في عجلة من أمره؟ يمكن أن يكتب الخطاب مهما

<sup>١٣٥</sup> فل ١٢.

<sup>١٣٦</sup> بطليموس: المقدوني ملك مصر.

<sup>١٣٧</sup> أثالوس: ملك برغاموم والتي منها نشأت فكرة الكتابة على الجلود.

<sup>١٣٨</sup> الرقوق parchment: جاء من اسم المدينة برغاموم.

<sup>١٣٩</sup> See Pliny, H. N. xiii. 21.



كان طوله في ليلة واحدة. أو هل كان هناك بعض المشاغل تمنعكم من الكتابة؟ لا يوجد شيء له أولوية على المحبة.

بقي لي افتراضان؛ اما انكم لا تريدون الكتابة إليّ، أو إني لا أستحق خطابا. من كلا الاحتمالين أنا أفضل أن أهتمكم بالتواني بدلاً من ان احكم على نفسي بأني غير مستحق لمحبتكم. فمن السهل اصلاح ما أفسده الإهمال ولكن من الصعب زرع المحبة.

(٣)

أنتم أخبرتموني إن بونوسيس مثل ابن حقيقي للسكة<sup>١١٠</sup> قد عاد إلي الماء. أمّا أنا الملوث بخطايا الماضي أسكن مثل الحيات والعقارب الأماكن المقفرة<sup>١١١</sup>. بونوسيس وضع عقبه على رأس الحية، بينما أنا لازلت طعاما وفريسة لها؛ لأنها تأكل ترابا كما قيل لها من قبل الرب.<sup>١١٢</sup> هو له القدرة أن يرتقي الدرجات العليا للسلم كالذي تتحدث عنه مزامير المصاعد،<sup>١١٣</sup> وأمّا أنا لازلت أنوح عند أولى درجاته، متسائلاً هل يمكنني يوماً ما ان أقول: "أرْفَعُ عَيْنَيْي إِلَى الْجِبَالِ، مِنْ حَيْثُ يَأْتِي عَوْنِي."<sup>١١٤</sup> وسط أمواج هذا العالم، يتخذ بونوسيس ملاذاً آمناً على جزيرته<sup>١١٥</sup> في حضن الكنيسة. وقد يكون

<sup>١١٠</sup> الكلمة اليونانية IXΘΥΣ التي تعني 'السكة' هي اختصار Ἰησοῦς Χριστός Θεοῦ Ὑἱὸς Σωτήρ 'يسوع المسيح ابن الله المخلص' لذلك أصبحت السكة من رموز التي تشير إلى المسيح. وقد ربط ترتليانوس ربط بين السكة وماء المعمودية قائلاً: "نحن السمك الصغير ترعانا السكة الكبيرة يسوع المسيح في الماء ونستمر في العيش فقط إن بقينا في الماء". ويعد هذا الكلام إشارة إلى المعمودية بونوسيس.

See Schaff, "Ante-Nicene Christianity," p. 279.

<sup>١١١</sup> تث١٥:٨

<sup>١١٢</sup> تك ١٤:٣

<sup>١١٣</sup> مز١٢٠-١٣٤

<sup>١١٤</sup> مز١٢١:١

<sup>١١٥</sup> انظر الخطاب (٣).

## الخطابات

الآن مدعوا لياكل الدرج مثل يوحنا الرائي.<sup>١٦٦</sup> في حين أنني ما زلت موسدا في لحد آثامي مكبلاً بسلاسل ضعفاتي منتظراً دعوة الرب لي كما في الإنجيل ”جيروم هلم خارجاً“<sup>١٦٧</sup> ولقد فعل بونوسيس أكثر من ذلك. فهو مثل النبي<sup>١٦٨</sup> حمل المنطقة عبر الفرات (لأن كل قوة الشيطان في متنيه<sup>١٦٩</sup>) (أي الأعضاء التناسلية)) وطمرها هناك في شق صخر وبعد مدة وجدها قد فسدت. حينها رنم قائلاً: ”لَأَنَّكَ أَنْتَ اقْتَتَيْتَ كُلِّيَّيَّ.“<sup>١٧٠</sup> و”حَلَلْتُ قُيُودِي فَلَكَ أَذْبَحُ ذَّ بِيحَةَ حَمْدٍ.“<sup>١٧١</sup> أما أنا فقد جرّني نبوخذ نصر في سلاسل أسيرا إلى بابل حيث بلبلة العقول وهناك وضع على عنقي نير العبودية وفي أنفي خزامه.<sup>١٧٢</sup> وأمرني أن أرنم له واحدة من تسيبحات صهيون.<sup>١٧٣</sup>

غير أنني سأرد عليه وأقول: ”الرَّبُّ يُطْلِقُ الأَسْرَى. الرَّبُّ يَفْتَحُ أَعْيُنَ العُمَى.“<sup>١٧٤</sup> ولكي أجمل هذه المقارنة في جملة واحده أقول؛ بينما أنا أطلب الرحمة بونوسيس يتطلع إلى الإلكيل.

(٤)

إن تغيير حياة أختي هو ثمرة أتعاب القديس يوليانوس. هو زرع البذرة والدور عليكم لترووها والرب هو الذي ينمي.<sup>١٧٥</sup> المسيح أعطاها لي عوضاً عن الجرح الذي أصابه بها الشيطان. فلقد أعادها من الموت إلى الحياة.

<sup>١٦٦</sup> رؤ ١٠: ١٠٩.

<sup>١٦٧</sup> يو ٤: ١١.

<sup>١٦٨</sup> أر ١٣: ٥٤.

<sup>١٦٩</sup> أي ٤: ١٦.

<sup>١٧٠</sup> مز ١٣٩: ١٣.

<sup>١٧١</sup> مز ١١٦: ١٦.

<sup>١٧٢</sup> أمل ١٩: ٢٨.

<sup>١٧٣</sup> مز ١٣٧: ٣.

<sup>١٧٤</sup> مز ١٤٦: ٨٠٧.

<sup>١٧٥</sup> ١ كو ٣: ٦.

ولكن ينطبق عليها قول الشاعر الوثني: "ليس هناك أمان يجعلني لأخاف".<sup>١٥٦</sup> وأنتم أنفسكم تعرفون كم هي مُعْتَرَة مرحلة الشبيبة، تلك المرحلة التي أنا نفسي قد سقطت فيها والتي تجتازونها الآن بخوف ورعدة.<sup>١٥٧</sup> وإذ هي تمر بها الآن يجب أن تنال الإرشاد والتشجيع من الجميع. فينبغي أن تعينوها يا إخوتي المبجلين بواسطة الرسائل المتواترة. ولأن "المَحَبَّةُ تَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ"<sup>١٥٨</sup> لذا ألتمس منكم أن تحصلوا من البابا<sup>١٥٩</sup> فاليريان<sup>١٦٠</sup> Valerian على خطاب يعطيها فيه الحل من الخطية. فكما تعلمون تعلمون أن عزيمة الفتاة تتقوى حينما تدرك أن شخصيات ذات مكانه رفيعة تهتم بها.

(٥)

بالنسبة إلى موطني فالحقيقة أنه قد سقط فريسة لهجوم البرابرة. والناس فيه إلهم بطنهم<sup>١٦١</sup> يعيشون من أجل الزمان الحاضر فقط.<sup>١٦٢</sup> وأقدس الناس هناك وأجلهم هو أغناهم في المال علاوة على ذلك أقول - وخير مثال لوصف هذا الوضع - "لكل وعاء غطاء يناسبه" لان ليبيسينوس أسقفهم. وكما يحكي<sup>١٦٣</sup> لنا لوكيليوس<sup>١٦٤</sup> Lucilius أن كراسوس<sup>١٦٥</sup> Crassus لم يضحك من

<sup>١٥٦</sup> Virg. A. iv. 298.

<sup>١٥٧</sup> في ١٢:٢.

<sup>١٥٨</sup> أكو ٧:١٣.

<sup>١٥٩</sup> إن لقب 'بابا' كان يطلق في هذا الوقت على الأساقفة عموماً. لكنه تدريجياً صار محصوراً على أساقفة بعينهم مثل روما والإسكندرية. تماماً مثل لقب 'إمبراطور' الذي كان يطلق على أي قائد روماني ثم اقتصر بعد ذلك على الحاكم فقط.

<sup>١٦٠</sup> أسقف أكوليا.

<sup>١٦١</sup> في ١٩:٣.

<sup>١٦٢</sup> أكو ٣٢:١٥.

<sup>١٦٣</sup> Cic. de Fin. v. 30.

<sup>١٦٤</sup> لوكيليوس Lucilius: من اول الشعراء الهجائيين.

<sup>١٦٥</sup> كراسوس Crassus. سياسي روماني شهير.

## الخطابات

قبل كما ضحك عندما قيل على حمار يأكل اشواكا، "هذه الشفاه لهذا الطعام."

ما أقصده هو أنه ربان متذبذب يقود سفينة جانحة. وأعمى يقود أعمى، كلاهما يسقطان في الحفرة،<sup>١٦٦</sup> والقاضي مذنب مثل المتهم!

(٦)

سلموا على أمكم التي أجلها كأم لي. رفيقتكم في حياة القداسة ولكن ما يميزها كونها أم القديسين لذا يمكن أن ندعوها "ذهبية الرحم". ومعها أيضا سلموا على أخواتكم اللواتي متى حللن في أي مكان يجدن الاحترام والتقدير، لأنهن انتصرن على ضعف طبيعتهن وعلى العالم أيضا، ينتظرن مجيء العريس ومصايجهن مليئة بالزيت.<sup>١٦٧</sup> طوبى للبيت الذي تسكن فيه حنة الأرملة،<sup>١٦٨</sup> مع العذارى اللواتي يتنبأن،<sup>١٦٩</sup> وتوأم مثل صموئيل الذي تربى في الهيكل.<sup>١٧٠</sup> هنيئا للمسكن الذي يؤوي أم الشهداء المكابيين وأولادها يحيطون بها لابسين أكاليل الاستشهاد.<sup>١٧١</sup> فإنه إضافة إلى أنكم تشهدون للمسيح كل يوم بالسلوك في وصاياه، لكم أيضا إكليل آخر ومجد آخر علي، لأنه بواسطتكم انتزع سم الهرطقة الأريوسية من مدينتكم. ربما تستغربون لأني تطرقت إلى موضوع جديد في ختام رسالتي، ولكن ما الذي أستطيع فعله؟ فأنا لا أقدر على كتمان مشاعري من نحوكم. حدود الخطاب الضيقة تجبرني على الكف عن الكلام، بينما محبتي

<sup>١٦٦</sup> مت ١٤:٦٥.

<sup>١٦٧</sup> مت ٤:٢٥.

<sup>١٦٨</sup> لو ٣:٣٦.

<sup>١٦٩</sup> أع ٩:٢١.

<sup>١٧٠</sup> اصم ١٨:٢.

<sup>١٧١</sup> مك ٢:٧.

لكم تلح عليّ بالاستمرار في الكتابة. أن أكتب وأنا متعجل وأسلوبي  
مضطرب وغير مرتب ولكن المحبة لا تعرف نقواعد.

## الخطابات

### الخطاب الثامن

#### إلى نيقياس مساعد شماس في أكويليا

نيقياس<sup>١٧٢</sup> Niceas مساعد شماس رافق جيروم إلى الشرق ولكنه ما لبث أن عاد إلى بيته مرة أخرى. بعد عدة سنوات أصبح أسقف أكويليا خلفا لكروماتيوس. كتب عام ٣٧٤م.

يقول تريبيليوس Turpilius شاعر الكوميديا إن تبادل الرسائل وحده دون غيره هو ما يجعل من الغائب حاضراً، وهذه المقولة على الرغم من أنها ضمن رواية إلا أنها ليست خاطئة. لأنه ما هو الحضور الحقيقي، إن أمكن القول، الذي يمكن أن يكون بين أصدقاء بعيدين عن بعضهم البعض سوى أن يتحدثوا إلى من يحبونهم من خلال الرسائل وأن يتلقوا الردود على خطاباتهم هذه؟ حتى أهل قبائل إيطاليا الهمجيين، كما أخبرنا سيسرو في كتابه عن الخطابة، الذين يطلق عليهم إينيوس<sup>١٧٣</sup> Ennius الكاسكان Cascans، والذين كانوا يصطادون طعامهم كالحوانات الكاسرة، قبل استخدام الورق والرقوق كانوا يتبادلون رسائل مكتوبة على ألواح خشبية بدائية أو قطع لحاء الشجر. ولهذا السبب يدعى حاملو الرسائل بحملة اللوح Tabellarii<sup>١٧٤</sup>، وكتبة الرسائل بمستخدمي اللحاء Librarii<sup>١٧٥</sup>. فكم بالأحرى بنا إذن - نحن الذين نعيش في عصر متحضر - أن نلتزم بهذا التواصل الاجتماعي الذي التزم به أناس عاشوا في حالة من البربرية، بعيدين كل البعد عن الآداب العامة والاخلاق والذوق!

<sup>١٧٢</sup> Turpilius: كاتب مسرحي روائي مشهور إلى حد ما، مات سنة ١٠١ق.م وقد جاء ذكره في تاريخ الكنيسة ليوسابيوس.

<sup>١٧٣</sup> إينيوس (Ennius): أب الأدب الروماني وهو شاعر ومؤلف مسرحي وهجائي.

<sup>١٧٤</sup> حملة اللوح: Tabellarii وجاءت من Tabella التي تعني Small Tablet.

<sup>١٧٥</sup> مستخدمو اللحاء: Librarii من Liber والتي تعني لحاء.

انظر كيف أن القديس كروماتيروس وانبجل يوسابيوس المتأخين في الأهداف والرغبات بقدر الأخوة الطبيعية بواسطة الرسائل التي أغرقاني بها قد بثا فيّ روح اليقظة.

على الرغم من أنك قد تركتني للتو، فذلك لن يفصم عرى صداقتنا الجديدة فحسب بل يمزقها إربا. الأمر الذي بحكمة منعه ليليو<sup>١٧٦</sup> Laelius في كتابات سيسرو.

ألى هذا الحد الشرق كره عندك حتى أنك تستنكف مجيء رسائلك إلى هنا؟!

انتبه، قم، استيقظ من النوم، اكتب على الأقل ورقة واحدة في سبيل المحبة. وسط متع الحياة في الديار تذكر ولو لوهلة الرحلات التي قمنا بها سويا. لو كنت تحبني رد على توسلي، وإن كنت غاضبا مني فاكتب لي أيضا حتى برغم غضبك. إن روحي المشتاقة تجد راحة عند استقبال رسالة من صديق حتى لو كان هذا الصديق ليس على وفاق معي.

---

<sup>١٧٦</sup> ليليو Laelius: رجل روماني سياسي وعسكري خطيب وصديق شيبو والمتكلم في كتاب سيسرو عن الصداقة. (م)

الخطب اتسع

إلى كريسوجونس راهب من أكويليا

خطاب إلى شخص غير معروف يحمل طابع الملامة. كتب عام ٣٧٤م.

هيليو دوروس<sup>١٧٧</sup> Heliodorus الذي هو عزيز على كلينا والذي يجبك بقدر ما يجبني، يمكنه أن ينقل لك صورة صادقة عن مشاعري تجاهك. وكيف أن اسمك على لساني دائما وكلما تحدثنا سويا أبدا بذكر علاقتي السعيدة معك، ومدى تواضعك العجيب، ممجداً فضائلك ومدى قداسة محبتك.

كما يقال، إن النمر عندما تنظر خلفها تنسى للتو ما قد رأته ولا تتذكر أي شيء وقعت عيناها عليه. ويبدو أن هذا الأمر ينطبق عليك أيضا؛ لأنك تجاهلت تماما كل ما يربط بيننا من محبة حتى أنك لم تشوه الرسالة التي تكلم عنها الرسول المكتوبة على قلوبنا - نحن المسيحيين -<sup>١٧٨</sup> فحسب بل محوتها بالكامل. الحيوانات التي تكلمت عنها تختبئ بين أغصان الشجر المورق وتنقض منها على قطعان الظباء أو الأيائل المدعورة، وهذه الفرائس عبثا تحاول أن تهرب لأنها تحمل مُفترسها على ظهرها وكلما تجرى يتمزق لحمها بمخالبه. غير أن النمر تصطاد فقط عندما يجف حلقها بسبب معدتها الخاوية، وعندما تروى عطشها بدم الفريسة وتملأ معدتها من لحمها، يجعلها الشبع تنسى ما حدث ولا تفكر في أي فريسة مستقبلية أخرى حتى يذُكرها الجوع بجاحتها مرة أخرى. وبالنسبة إليك، لا أصدق أنك اكتفيت من صداقتنا، فلماذا إذن، تنهي صداقة قد بدأت للتو؟ لماذا

<sup>١٧٧</sup> انظر مقدمة خطاب (١٤).

<sup>١٧٨</sup> ٢:٣٠



تدع ما قد حصلت عليه بصعوبة ينزلق من بين يديك بسهولة؟ ولكن هذا الإهمال من ناحيتك لن يعجز على أن يجد حجة ربما سوف تقول لي إنه ليس هناك شيء كي أكتب لك عنه. إن كان الأمر كذلك فمازلت ملزم بأن تكتب وتخبرني بذلك.

## الخطابات

### الخطاب العاشر

#### إلى بولا العجوز من كونكورديا

كتب جيروم إلى بولا من كونكورديا البالغ من العمر قرابة المائة سنة، ويقتني مكتبة غنية بالكتب اللاهوتية كي يستعير منه بعض كتب التفسير وفي المقابل أرسل إليه كتاب سيرة الأنبا بولا السائح التي كتبها مؤخرًا. كتب عام ٣٧٤م.

(١)

إن قصر حياة الإنسان نتيجة من نتائج الخطية، وحقيقة مباغته الموت حتى في مستهل الحياة لحديثي الولادة تثبت أن الزمن يغرق شيئًا فشيئًا في الفساد.

لأنه حينما وقع أول فلاح في الفردوس<sup>١٧٩</sup> في حبال الحياة. وتبعًا لذلك طرد إلى الأرض. وبالرغم من تغير حالته من خالدة إلى مائتة، إلا أن تنفيذ الحكم باللجنة تأجل لمدة تسعمائة عام وأكثر، وهي مدة طويلة جدًا حتى أنها يمكن أن تسمى خلودًا ثانيًا.

بعد ذلك، نمت الخطية أكثر فأكثر بصورة شرسة، إلى أن دمر فسق الجبابرة<sup>١٨٠</sup> مسيرة الإنسان والعالم كله. ولكن عندما تطهر العالم بالمعمودية - ان أمكن أن نسميها - التي هي الطوفان، أصبح عمر الانسان محددًا بمدة قصيرة<sup>١٨١</sup> وحتى هذا العمر القصير نحن جميعا نكاد نفقده هباء. فباستمرار نرتكب خطايا معاندين التدبير الإلهي.

قليلون جدًا هم من قاربوا المائة عام أو جاوزها، دون أن يتأسفوا عليها.

<sup>١٧٩</sup> أو الحارث الأول كما جاء في، "وَاحْتَدَّ الرَّبُّ لِأَنَّهُ آذَى وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةٍ عَذْبٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا." تك ١٥:٢.

<sup>١٨٠</sup> تك ٤:٦.

<sup>١٨١</sup> تك ٣:٦.

حتى أن الكتاب المقدس يشهد في المزامير قائلاً: "أَيَّامُ سِنِينَا هِيَ سَبْعُونَ سَنَةً، وَإِنْ كَانَتْ مَعَ الْقُوَّةِ فَثَمَانُونَ سَنَةً، وَأَفْخَرُهَا تَعَبٌ وَبَلِيَّةٌ."<sup>١٨٢</sup>

(٢)

لعلك تقول لماذا بدأت بهذه الملاحظات التي هي بعيدة جدا عن الموضوع وفيها دوران حوله؟ ويمكنك حتى أن تتهكم عليّ بتهمكم هوراسي حينما قال: "الشاعر يريد أن يقص حرب طرواده مبتدئاً من البيضتين اللتين وضعتهما ليدا Leda لزيوس!"<sup>١٨٣</sup> لكن ببساطة قمت بهذا حتى أتمكن بعبارات مناسبة وصف سني حياتك الكثيرة وشعرك الأشيب الأبيض الذي يشبه شعر المسيح.<sup>١٨٤</sup> فمائة سنة مرت عليك وأنت متمسك بوصايا الرب ووسط ظروف حياتك الحاضرة ذهنك منشغل ببركات الدهر الآتي. عيناك ثاقبه ولامعة. وخطواتك ثابتة. وسمعك سليم، أسنانك بيضاء، صوتك جميل، بشرتك مشدودة وملينة بالحوية. وجنتاك المُحمرتان لا تتماشيان مع شعرك الأبيض، نشاطك يناقض عمرك، لم يضعف تقدمك في العمر من حضور ذاكرتك كما هو شائع. الإحساس بالبرودة لم يجعل عقلك يكل بل مازال يقظاً. وجهك وجبينك لم يتجعدا. أخيراً لم ترتعش يداك واستقامة خطك على الشمع لم تتأثر.

لقد أرانا الرب فيك بريق القيامة التي سيمنحها لنا، بينما من خلال الآخرين الذين - رويداً رويداً - يموتون وهم أحياء ندرك نتائج الخطية. بالنسبة إليك، نحن ننسب قوة الشباب التي تتمتع بها وغريبة على هذا السن

<sup>١٨٢</sup> مز ٩٠: ١٠

<sup>١٨٣</sup> Hor. A. P. 147.

زار زيوس ليدا وهو في هيئة بجمعة، وبالتالي وضعت ليدا بيضتان، من واحدة خرج كاستور Castor وبولوكس Pollux. ومن الأخرى خرجت هيلين Helen، التي كانت السبب في حرب طروادة.

<sup>١٨٤</sup> راجع رؤى ١٤: ١٤

## الخطابات

الكبير إلى حياة البر التي تحياها. وبالرغم من أننا قد نجد هذه الصحة حتى في أجساد خطاة كثيرين، إلا أن هذه تكون وسيلة للشيطان كي يسقطهم بها في الخطية، أمّا في حالتك فهي عطية من الله لتعزّيك وتفرحك.

(٣)

سيسرو في دفاعه الرائع من أجل فلاكوس<sup>١٨٥</sup> Flaccus وصف الحكماء اليونانيين بأنهم: "متأصلين في التوفاه وضالعين في الباطل".

والواقع يقول إن أقدر الأدباء تعودوا أن يتلقوا نقودا مقابل مديحهم للموكهم وأمرائهم. وأنا، مقتفيا أثارهم، سأضع ثمننا لمديحي هذا. ولا تفترض أن طلبي في المقابل بسيط، فمطلوب منك أن تعطيني لؤلؤة الإنجيل<sup>١٨٦</sup> أي كلام الله الذي هو "كَلَامُ الرَّبِّ كَلَامٌ نَقِيٌّ، كَفِضَّةٌ مُصَفَّاءَةٌ فِي بُوْطَةِ فِي الْأَرْضِ، مَمْحُوصَةٌ سَبْعَ مَرَّاتٍ"<sup>١٨٧</sup> وأنا أقصد تفاسير فورتوناتيان،<sup>١٨٨</sup> وتاريخ أوريلْيوس فيكتور<sup>١٨٩</sup> Aurelius Victor الذي يحكي عن المضطهدين. إضافة إلى هذه أيضًا خطابات نوفاتيان.<sup>١٩٠</sup> كي نكشف السم الذي أحدث هذا الانشقاق، ثم بعدها سنكون سعداء إن شربنا الترياق المقدّم من القديس كبريانوس الشهيد. في الوقت الحالي، أرسلت لك سيرة بولا الكبير<sup>١٩١</sup> الذي هو أكبر منك. لقد تكبدت مشقة كبيرة كي أبسط من أسلوبي لأقصى درجه.

<sup>١٨٥</sup> فلاكوس Flaccus: صديق لسيرو كان قد اتهم بالفساد. ولكن هذه المقولة لا توجد في نسخ سيسرو المتبقية.

<sup>١٨٦</sup> مت ١٣:٤٦.

<sup>١٨٧</sup> مز ١٢:٧.

<sup>١٨٨</sup> For some account of this writer see Jerome, De V. iii. c. xcvi.

<sup>١٨٩</sup> أوريلْيوس فيكتور مؤرخ روماني كان معاصرًا لجيروم لكنه كان أكبر منه ولا تزال بعض من أعماله موجودة حتى الآن.

<sup>١٩٠</sup> نوفاتيان: من المتشددين في القرن الثالث الذين رفضوا قبول المرتدين أثناء الاضطهاد إلى حصن الكنيسة مرة أخرى وانشق عن الكنيسة في روما.

<sup>١٩١</sup> وهو الأنبا بولا أول السواح.

ولكن بطريقة أو بأخرى عندما تملأ أنواعاً بالماء فهو يحتفظ برائحته  
الاستخدام السابق.<sup>١٢</sup> وإن اعجبتك هديتي فهناك المزيد في جعبتي، وسوف  
تأتيك عبر البحار إن كانت رياح الروح القدس مواتية، مع كل أنواع  
البضائع الشرقية.

---

<sup>١٢</sup> يقول الشاعر هوراسي: "حطم المزهريّة لوشنت. فراحة الأزهار ستظل عالقة بها".

## الخطابات

### الخطاب الحادي عشر إلى عذارى إيمونا

إيمونا هي مستعمرة رومانية قريبة من ستريدون مسقط رأس قيروم. هؤلاء العذارى أغفلن الرد على خطابات قيروم وهو الآن يكتب لائماً عليهم عدم الرد. كتب عام ٣٧٤م.

تلك الورقة البسيطة المكتوب فيها خطابي هذا تظهر العزلة التي أحيأها، عندي الكثير لأقوله ولكن صغر الورقة يضطرنني لإجماله في كلمات قليلة. مشتاق لأن أتكلم معكن أكثر إلا أن هذه الوريقة الصغيرة تضطرنني أن أترك الكثير دون أن يقال. لكن المهارة والبلاغة يمكن أن تعوض عن نقص العبارات وبقليل من الكلمات يمكن التعبير عن الكثير من المعاني. أرجو أن تدركن مقدار محبتي لكُنَّ، فحتى هذه الظروف الصعبة ونقص الأدوات لم يمنعني عن الكتابة إليكن.

ليتمكن تغفرن لرجل مظلوم إن تكلم بغضب ودموع، فهذا من فرط آلام جراحه؛ لأنه في مقابل خطاباتي المستمرة لم تصلني منكن ولا حتى حرف واحد. أنا أعلم أنه لا شركة للنور مع الظلمة،<sup>١٩٣</sup> ولا خلطة لخدام الله مع الأثمة. مع ذلك فالمرأة الخاطئة سُمح لها بأن تغسل قديمي المخلص بدموعها،<sup>١٩٤</sup> والكلاب تُترك لتأكل الفتات الساقط من مائدة أربابها.<sup>١٩٥</sup> والمخلص جاء ليدعو خطاةً وليس أبراراً إلى التوبة. فكما قال بنفسه: "لَا يَحْتَاجُ الْأَصِحَّاءُ إِلَى طَيِّبِ بَيْلِ الْمَرَضَى".<sup>١٩٦</sup> وهو لا يشاء موت الخاطيء بل أن

<sup>١٩٣</sup> ١٤:٦كو

<sup>١٩٤</sup> ٧:٣٨لو

<sup>١٩٥</sup> مت ١٥:٢٧

<sup>١٩٦</sup> مت ٩:١٣

يرجع ويحيا.<sup>١٩٧</sup> ويحمل الحروف الضل عن منكيه ويرده إلى القطيع.<sup>١٩٨</sup> كذلك أيضًا عندما يرجع الابن الضال يستقبه أبوه فرحًا.<sup>١٩٩</sup> بل والأكثر من هذا، قول الرسول: "لَا تَحْكُمُوا فِي شَيْءٍ قَبْلَ الْوَقْتِ"،<sup>٢٠٠</sup> لأنه "مَنْ أَنْتَ الَّذِي تَدِينُ عَبْدَ غَيْرِكَ؟ هُوَ لِمَوْلَاهُ يَثْبُتُ أَوْ يَسْقُطُ".<sup>٢٠١</sup> و"مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ قَائِمٌ فَلْيَنْظُرْ أَنْ لَا يَسْقُطَ".<sup>٢٠٢</sup> و"إِحْمِلُوا بَعْضُكُمْ أَثْقَالَ بَعْضٍ"<sup>٢٠٣</sup>

أخواتي العزيزات؛ أهواء الإنسان تحكم على الأمور بطريقة، أما المسيح فيحكم بطريقة أخرى. والهمس في الزوايا ليس مثل الحكم أمام عرش الدينونة. توجد طرق كثيرة تبدو للإنسان مستقيمة ولكن تظهر عواقبها الوخيمة في النهاية.<sup>٢٠٤</sup> والكنز دائمًا ما يخبأ في أوان خزفية.<sup>٢٠٥</sup> أنكر بطرس سيده ثلاث مرات، بيد أن دموعه المرة رده إلى مكانته دفعة أخرى. والذي يغفر له كثيرًا، يجب كثيرًا.<sup>٢٠٦</sup> لم يُذكر أي شيء عن التسعة والتسعين بارًا، ولكن قيل إن السماء قد فرحت بخاطيء واحد تاب.<sup>٢٠٧</sup> فإن لم تقتنع أي واحدة منكم بمنطقي هذا فلتسمع قول الرب: "أَمْ عَيْنُكَ شَرِيرَةٌ لِأَنِّي أَنَا صَالِحٌ؟"<sup>٢٠٨</sup>

<sup>١٩٧</sup> حز ١١:٣٣.

<sup>١٩٨</sup> لو ٥:١٥.

<sup>١٩٩</sup> لو ٢٠:١٥.

<sup>٢٠٠</sup> ١ كو ٥:٤.

<sup>٢٠١</sup> رو ٤:٤.

<sup>٢٠٢</sup> ١ كو ١٤:١٠.

<sup>٢٠٣</sup> غل ٦:٦.

<sup>٢٠٤</sup> أم ١٤:١٤.

<sup>٢٠٥</sup> ٢ كو ٤:٧.

<sup>٢٠٦</sup> لو ٧:٤٧.

<sup>٢٠٧</sup> لو ١٥:١٠٧.

<sup>٢٠٨</sup> مت ٥:٤٠.

## الخطابات

### الخطاب الثاني عشر إلى الراهب أنطونيوس

موضوع هذا الخطاب مثل موضوع سابقه. لا نعرف أي شيء عن الراهب أنطونيوس هذا سوى أن بعض المخطوطات تذكر اسمه وأنه من إيونا Emona. كتب عام ٣٧٤م.

بينما تنازع التلاميذ فيما بينهم عنمن هو الأعظم أخذ الرب يسوع، معلم التواضع، طفلاً وأقامه في وسطهم قائلاً: "إِنْ لَمْ تَرَجِعُوا وَتَصِيرُوا مِثْلَ الْأَوْلَادِ فَلَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ" <sup>٢٠٩</sup> ولغلاً يقال إنه يُعَلَّمُ بِأَكْثَرِ مِمَّا يَعْمَلُ، نَفَّذَ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ فِي حَيَاتِهِ. فقد غسل أرجل تلاميذه، <sup>٢١٠</sup> واستقبل من يسلمه بقبلة، <sup>٢١١</sup> وتكلم مع السامرية، <sup>٢١٢</sup> وتحدث عن ملكوت السموات بينما مريم تجلس عند قدميه، <sup>٢١٣</sup> وبعد قيامته من بين الأموات أظهر نفسه أولاً لبعض النسوة الفقيرات. <sup>٢١٤</sup>

الكبرياء عكس التواضع وبسببه سقط الشيطان من رتبته كرئيس ملائكة. وهلك اليهود في كبريائهم، فبينما هم يطلبون المتكآت الأولى والتحيات في الأسواق، <sup>٢١٥</sup> استعبدوا للأمم الذين حُسبوا سابقاً: "كَنْقُظَةٌ مِنْ دَلْوٍ" <sup>٢١٦</sup> وأرسل صيادين فقيرين هما بطرس ويعقوب لكي يبيدا حكمة

<sup>٢٠٩</sup> مت ١٨: ٣٠.

<sup>٢١٠</sup> يوح ١٣: ٥٠.

<sup>٢١١</sup> لو ٢٢: ٤٧.

<sup>٢١٢</sup> يو ٤: ٧.

<sup>٢١٣</sup> لو ١٠: ٣٩.

<sup>٢١٤</sup> مت ٢٧: ٩١.

<sup>٢١٥</sup> مت ٢٣: ٦٠.

<sup>٢١٦</sup> إيش ٤٠: ١٥.



حكماء هذا الدهر.<sup>٢٧</sup> كما هو مكتوب: "لَأَنَّ نَهَّ يُقَاوِمُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً".<sup>٢٨</sup> تأمل يا أخي مقدار شناعة الخطية التي تجعل من الله خصمًا. فمكتوب في الإنجيل أن الفريسي رُفض بسبب كبريائه أما العشار فقبل من أجل اتضاعه.<sup>٢٩</sup>

الآن؛ إن لم أكن مخطئًا فقد أرسلت لك عشر خطابات، مليئة بالأشواق والمحبة، بينما أنت لم تتنازل وتبعث لي حتى سطرًا واحدًا. إن كان الرب قد تكلم مع خدامه، أفأنت يا خادم الرب ترفض أن تتكلم معي؟ صدقني، لولا أنني أكبح جماح قلبي لكنت أُعبر عن انزعاجي بكلمات تقدر نارًا وتستشيط غضبًا بدرجة تجعلك ترد على خطابي ولو كنت ساخطًا. ولكن بما أن الغضب طبع في الإنسان، وعلى المسيحي ألا يتسبب في إيذاء أحد بغضبه، لذا سأرجع مرة أخرى إلى أسلوب التوسل راجيًا أن تقابل محبتي بمحبة مثلها، وتكتب إليّ كخادم الرب إلى رفيقه الخادم.

كن معافي في الرب

<sup>٢٧</sup> ١كو: ١٩.

<sup>٢٨</sup> ١بط: ٥: ٥.

<sup>٢٩</sup> لو: ١٨: ١٤.

## الخطاب الثالث عشر إلى خالته كاستورينا

هذا خطاب مشوق لجيروم حيث إنه يلقي بعض الضوء على علاقات عائلة جيروم. خالته كاستورينا لسبب ما قطعت علاقتها معه، وهو الآن يكتب إليها ليصالحها. ولا نعرف إن كان الخطاب قد نجح في مسعاه أم لا. كتب عام ٣٧٤م.

حقاً قال يوحنا الإنجيلي والرسول في رسالته الأولى: "كُلُّ مَنْ يُبَغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ قَاتِلُ نَفْسٍ".<sup>١٠٠</sup> لأن القتل دائماً ما يكون سببه الكراهية، والإنسان الذي يكره أخاه حتى لو لم يستطع قتله فعلياً، فهو في الحقيقة قاتل. وقد تتساءلين؛ لماذا بدأت خطابي بهذا الأسلوب؟ ببساطة لكي تتمكن أنا وأنت من إلقاء الماضي بكل ما فيه من مشاعر رديئة خلف ظهرنا وننقي قلوبنا كي يسكن الرب فيهما. إن داود النبي يقول: "إِعْضَبُوا وَلَا تُحْطِئُوا".<sup>١٠١</sup> وكما أضاف إليها الرسول ما يشرحها قائلاً: "لَا تَغْرُبِ الشَّمْسُ عَلَى غَيْظِكُمْ".<sup>١٠٢</sup> فماذا سيكون حالنا في يوم الدينونة نحن الذين لم تغرب الشمس على غيظنا يوماً واحداً فحسب بل سنوات عدة؟! يقول الرب في الإنجيل: "فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبُوحِ، وَهَنَّاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لِأَخِيكَ شَيْئاً عَلَيْكَ، فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبُوحِ، وَادْهَبْ أَوَّلًا اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ، وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ".<sup>١٠٣</sup> الويل لي أنا الشرير، وكدت أقول الويل لك أيضاً. فطوال هذه المدة السابقة سواء قدمنا قرابين على المذبح أو لم نقدم، فقد قدمناها بينما نحمل ضغينة في قلوبنا بلا سبب يذكر. كيف أمكننا أن نصلي يومياً،

<sup>١٠٠</sup> ١يو٣:١٥.

<sup>١٠١</sup> مر٤:٤ (السبعينية).

<sup>١٠٢</sup> أف٤:٢٦.

<sup>١٠٣</sup> مت ٥:٢٤، ٢٤.

”وَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا تَعْفِرُ نَحْنُ أَيْضًا لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا.“<sup>٢٢٤</sup> ومشاعرنا تناقض كلمات شفاهنا، وطلباتنا عكس سلوكنا؟ لذلك أكرر رجائي الذي كنت قد كتبتة إليك منذ عام مضى في خطاب سابق، وهي أن يكون لنا السلام الذي تركه الرب عطية لنا،<sup>٢٢٥</sup> وتجد رغباتي ومشاعرك نعمة في عيني الرب. فقريبًا سوف نقف جميعًا أمام كرسي الدينونة لننال كل واحد إما مكافأة عن السلام الذي صنعه وإما عقابًا على الوثام الذي نقضه.

إن لم تقبلي عرضي - الأمر الذي لا أتمناه - فمن ناحيتي سأكون قد تحررت من تلك الخصومة. وهذا الخطاب حين يقرأ بالتأكيد سيبرثني.

<sup>٢٢٤</sup> مت ٦: ١٢.

<sup>٢٢٥</sup> يوح ١٤: ٢٧.

الخطاب الرابع عشر

إلى الراهب هيلودورس

هيليدورس كان أصلاً جندياً، ولكنه أصبح الآن كاهناً في الكنيسة. وقد رافق  
جيروم إلى الشرق، إلا أنه رجع إلى أكويليا لأنه شعر بعدم دعوته إلى حياة  
الوحدة. وهناك رجع إلى ممارسة واجباته الكهنوتية، ثم بعد فترة ارتقى إلى  
الأسقفية وصار أسقفاً على ألتينوم Altinum. وقد كتب جيروم هذا الخطاب  
بُعَيْد انفصال هيلودورس عنه، لذا نجد جيروم يعبر عن مرارة ألم الفراق  
ويلومه أنه ترك حياة الوحدة التي هي حياة الكمال. هذا الخطاب كان له تأثير  
بالغ في الغرب لجمال أسلوبه وروعة صورته وتعبيراته، حتى أن فايولا حفظته  
عن ظهر قلب.<sup>٢٢٦</sup> كتب عام ٣٧٣م أو ٣٧٤م.

(١)

إنك تعي جيداً مقدار المحبة التي تجمعنا سوياً، حتى أنك لا تستطيع أن  
تنكر المشاعر التي دفعتني لأجاهد كي نظل معاً في الصحراء لأطول فترة.  
هذا الخطاب تحديداً - المبلل بدموعي كما ترى - لهو دليل على مدى حزني  
وألبي لفراقك. فعند رحيلك حاولت أن تخفف من لوعي بكلام ناعم  
مهدئ كما يفعل المرء مع طفله. وأنا بلا إرشاد لم أكن أدري ماذا أفعل.  
أأصمت؟ لا أقدر على إخفاء لهفتي عليك متظاهراً بعدم المبالاة. هل كان  
على أن أزيد من توسلاتي؟ كنت سترفض الإنصات لي، لأن محبتك، وهي  
ليست كمحبتني، سلكت السبيل الوحيد أمامها وهو الرفض والفراق. لذا،  
بعد أن فشلت محبتي في الاحتفاظ بك وأنت حاضر معي، تسعى وراءك وأنت  
غائب. لقد طلبت مني بنفسك قبل أن ترحل أن أدعوك إلى الصحراء حالماً

<sup>٢٢٦</sup> انظر خطاب (٧٧).

أستقر في مكاني هناك، وأنا في المقابل وعدت أن أفعل. وها أنا أدعوك الآن؛ تعال، وتعال بسرعة. لا تفكر في الروابط القديمة، فالصحراء هي لمن تركوا الكل. ولا تدع المصاعب التي واجهناها في أسفارنا الماضية تثنيك. أنت تؤمن بالمسيح لذلك آمن أيضًا بوصيته التي تقول: "اطلُّبُوا أَوَّلًا مَلَكُوتَ اللَّهِ وَبِرَّهُ، وَهَذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ"،<sup>٢٧</sup> و"لَا تَحْمِلُوا شَيْئًا لِلطَّرِيقِ: لَأَعَصَا وَلَا مِرْوَدًا".<sup>٢٨</sup> فمن يفتقر من أجل المسيح هو غني بما فيه الكفاية.

(٢)

ولكن ماذا تراني أفعل؟ ولماذا بغباء ألح عليك مرة أخرى لترجع؟ كفي توسلات وملاطفات. فمحبتي المجروحة تجعلني غاضبًا. إذ ازدريت بتوسلي فلربما تنصت إلى توبييخي. لماذا أنت جالس أيها الجندي المدلل في بيت أبيك؟ أين هو ترسك وخذقك؟ متى أمضيت الشتاء وأنت تحت خيمة في الحقول؟ ها هو صوت البوق في السماء! هوذا الرب آتياً على سحب السماء!<sup>٢٩</sup> مسلح ليخضع العالم، ومن فمه يخرج سيف ماضٍ ذو حدّين<sup>٣٠</sup> يقهر به كل أعدائه. فماذا أنت بفاعلٍ؟ هل ستقوم من سريرك إلى خضم المعركة مباشرةً ومن تحت الظل إلى الشمس الحارقة؟ كلا، فالجسد الذي تعود على الملابس الخفيفة لا يحتمل ثقل الدروع، والرأس التي اعتادت على العمامة المريحة لا تطيق خشونة الخوذة. والأيدي الناعمة تتقرح متى أمسكت بمقبض السيف.<sup>٣١</sup> اسمع لما يقوله ملكك: "مَنْ لَيْسَ مَعِيَ فَهُوَ عَلَيَّ، وَمَنْ لَا يَجْمَعُ

<sup>٢٧</sup> مت ٦: ٣٣.

<sup>٢٨</sup> لو ٩: ٣٠.

<sup>٢٩</sup> رؤ ١: ٧.

<sup>٣٠</sup> رؤ ١: ١٦.

<sup>٣١</sup> هذا التشبيه مقتبس من كتابات ترتليان.

## الخطابات

مَعِي فَهُوَ يُفَرِّقُ“<sup>٢٣٢</sup> تذكر اليوم الذي تعمدت فيه ودفنت فيه مع المسيح وأقسمت له بالولاء معلناً أنك لن تحب أباً أو أمّاً أكثر منه.<sup>٢٣٣</sup> احذر، فالعدو يناضل كي يذبح المسيح في قلبك. انتبه، فجيوش الأعداء تحاول الاستحواذ على ما نلته من نعم عندما انضويت تحت لوائه. لو أن ابن أختك الصغير قد تعلق برقبتك لا تعر له أي انتباه. ولو وضعت أمك التراب على رأسها ومزقت ثيابها مظهرة لك صدرها الذي ارضعك لا تلتفت إليها. وإن طرح أبوك نفسه على عتبة البيت ليمنعك من الخروج فاعبر من فوقه وجُز في طريقك. وبعيون لا تدمع امض قدماً إلى حيث راية الصليب. ففي هذه الحالة تكون القسوة هي الحب الحقيقي.

(٣)

وسوف يأتي اليوم - نعم سوف يأتي - الذي تعود فيه منتصراً إلى موطنك الحقيقي، وترجع إلى أورشليم السماوية مكللاً بأكاليل الجهاد، هناك سوف نستوطن عند الرب مع بولس الرسول.<sup>٢٣٤</sup> ثم تطلب نفس هذه النعم لكي تكون من نصيب والديك، وبعدها تتشفع من أجلي أنا الذي دفعتك في طريق النصر.

أنا أدرك جيداً القيود والمعوقات التي ربما تبرر بها تصرفك. فصدري ليس من حديد ولا قلبي من صخر، لم أولد من حجر صوان ولم ترضعني نمرّة متوحشة.<sup>٢٣٥</sup> فلقد جرت ذات يوم بنفس هذه الظروف. توجد الآن أختك الأرملة وقد شبّث ذراعيها حول رقبتك كي لا تتركها. ويوجد أيضاً

<sup>٢٣٢</sup> مت ١٢: ٣٠.

<sup>٢٣٣</sup> مت ١٠: ٣٧.

<sup>٢٣٤</sup> ٢ كو ٥: ٨.

<sup>٢٣٥</sup> الشاعر فيرجيل.

الخدم الذين نشأت معهم يضرعون إليك قشئين: إلى من ستركنا أيها السيد؟ وأيضًا مريبك الذي صار مسنًا الآن وتحتل محبته في قلبك المنزلة الثانية بعد والدك يقول لك: انتظر فقط ريثما نموت حتى تدفننا. وربما أيضًا أمك العجوز بصدر مترهل وجبين متجدد تعيد على مسامعك الأغاني التي كنت تنام عليها، متوسلة إليك مثلهم كي لا تتركها. والمتعلمون منهم قد يصفونك قائلين: أنت وحدك العضد والسند لهذا البيت.<sup>٣٦</sup> وبرغم كل ذلك فمحبتك لله والخوف من النار ستتغلب على كل هذه القيود بسهولة.

ستتحجج قائلًا إن الكتاب المقدس يأمرنا بالخضوع للوالدين.<sup>٣٧</sup> فعلاً إلا أن من يحبهم أكثر من المسيح يخسر نفسه. العدو يمسك بالسيف محاولاً ذبحي، أفسأشغل بالي بدموع أي؟ أم هل سأتحلى عن خدمة المسيح من أجل والدي؟ إن كنت سأتابع المسيح فبحسب الإنجيل أنا ممنوع من دفن والدي،<sup>٣٨</sup> حتى لو أتي كمسيحي حقيقي مطالب أن أقدم هذه الخدمة للجميع. مشورة بطرس الجبانة جعلت منه عدوًا للرب عشية آلامه.<sup>٣٩</sup> وهكذا أيضًا الاخوة الذين حاولوا منعه من الصعود إلى اورشليم.<sup>٤٠</sup> بولس ذات مرة أجاب قائلًا: "مَاذَا تَفْعَلُونَ؟ تَبْكُونَ وَتَكْسِرُونَ قَلْبِي. لِأَنِّي مُسْتَعِدٌّ لَيْسَ أَنْ أُرْبِطَ فَقَطْ بَلْ أَنْ أَمُوتَ أَيْضًا فِي أُورُشَلِيمَ لِأَجْلِ اسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ."<sup>٤١</sup> إن الضغط الناتج عن روابط القرابي التي عادة تضعف الايمان تصير بلا قوة أمام مصد الإنجيل. "أُمِّي وَإِخْوَتِي هُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ

<sup>٣٦</sup> الشاعر فيرجيل.

<sup>٣٧</sup> أف ١:٦.

<sup>٣٨</sup> لو ٩:٥٩:٦٠.

<sup>٣٩</sup> مت ١٦:٣٢.

<sup>٤٠</sup> يوا ١١:٨.

<sup>٤١</sup> أ ٢١:١٣.

## الخطابات

وَيَعْمَلُونَ بِهَا<sup>٢٤٤</sup> إن كانوا مؤمنين بالمسيح فليودعوني متمنين لي التوفيق لأني ذاهب لأحارب من اجل اسمه، وإن لم يكونوا ف”دَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ.“<sup>٢٤٣</sup>

(٤)

سوف تجيبني قائلاً: إن كلامك هذا ينطبق فقط على حالة التقدم للاستشهاد. آه، لا يا أخي ، أنت مخطئ، إن كنت تتوهم أن هناك وقتاً لا يعاني فيه المسيحي من الاضطهاد فأنت فعلاً مخطئ. أنت معرض لأكبر أخطر عندما تظن أنه ليس هناك أي خطراً يحيط بك. ”إِبْلِيسَ حَصَمَكُمُ كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ“<sup>٢٤٤</sup>، وأنت تظن أننا في سلام؟! ”يَجْلِسُ فِي مَكْمَنِ الدِّيَارِ فِي الْمُخْتَفَيَاتِ يَقْتُلُ الْبَرِيءَ. عَيْنَاهُ تُرَاقِبَانِ الْمَسْكِينِ. يَكْمُنُ فِي الْمُخْتَفِيِّ كَأَسَدٍ فِي عَرِيْنِهِ. يَكْمُنُ لِيَخْطِفَ الْمَسْكِينِ. يَخْطُفُ الْمَسْكِينِ بِجَذْبِهِ فِي شَبَكَتِهِ“<sup>٢٤٥</sup> وأنت تتمدد تحت ظل شجرة لتقع فريسة سهلة له!؟

من جهة يضغط عليّ الإسراف ومن جهة أخرى الطمع وحب التملك يحارب لكي يوقعني في أشراكه. بطني تريد أن تكون إلهاً لي عوضاً عن المسيح<sup>٢٤٦</sup>، والشهوات تسعى لطرد الروح القدس الساكن فيّ وإفساد هيكله.<sup>٢٤٧</sup> العدو يطاردني، من [له ألف اسم وألف حيلة شريرة]<sup>٢٤٨</sup> يا لي من

<sup>٢٤٤</sup> لوقا: ٨: ٢١.

<sup>٢٤٣</sup> مت: ٨: ٢٢.

<sup>٢٤٤</sup> ١بط: ٥: ٨.

<sup>٢٤٥</sup> مز: ١٠: ٩، ٨.

<sup>٢٤٦</sup> في ٣: ١٩.

<sup>٢٤٧</sup> ١كو: ٣: ١٧.

<sup>٢٤٨</sup> الشاعر فيرجيل.



شرير، كيف أقول على نفسي منتصرًا وأنا منقاد في سلاسل الأسر؟!

(٥)

يا أخي العزيز؛ ففكر جيدًا في أنواع التجارب المتعددة التي ذكرتها ولا تظن أنها أخف وطأة من خطية عبادة الأوثان. كلا، فاسمع لما يقوله الرسول عن هذا الامر: "فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ هَذَا أَنَّ كُلَّ زَانٍ أَوْ نَجِسٍ أَوْ طَمَاحٍ، الَّذِي هُوَ عَابِدٌ لِلْأَوْثَانِ لَيْسَ لَهُ مِيرَاثٌ فِي مَلَكُوتِ الْمَسِيحِ وَاللَّهِ".<sup>٤٩</sup> وبصورة عامة كل ما هو منسوب للشيطان هو معاد لله. وكل ما هو شيطاني يعد عبادة أصنام، ما دامت الأصنام خاضعة له. لذا بولس قال في موضع آخر بتعبيرات محددة لا تحتمل خطأ: "فَأَمِيتُوا أَعْضَاءَكُمْ الَّتِي عَلَى الْأَرْضِ: الزَّانَا، النَّجَّاسَةَ، الْهُوَى، الشَّهْوَةَ الرَّذِيَّةَ، الظَّمْعَ الَّذِي هُوَ (جيروم كتبها 'التي هي'، لتعود على كل ما سبق) عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ، الْأُمُورَ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا يَأْتِي غَضَبُ اللَّهِ عَلَى ابْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ".<sup>٥٠</sup>

إن عبادة الأوثان ليست مقصورة على وضع بخور بالأنامل على مذابحها أو سكب الخمر في أوعيتها المخصصة لذلك. فالطمع عبادة أوثان، وإلا كان تسليم المسيح من أجل ثلاثين من الفضة يعد من أعمال البر.<sup>٥١</sup> والشهوة تجديف، وإلا لكان من المسموح لجسد المسيحي الذي هو "ذبيحة حيّة مقدّسة مرضيّة عند الله"<sup>٥٢</sup> أن يتدنس مع العاهرات. والغش عبادة أوثان، وإلا لنفعل كما فعل (حنانيا وسفيرة) في سفر أعمال الرسل عندما باعا ما لهما واختلسا من الثمن واستحقا عقابًا سريعًا. فكر مليًا يا أخي فلست

<sup>٤٩</sup> في ٥٥.

<sup>٥٠</sup> كو ٣: ٦.

<sup>٥١</sup> مت ٢٦: ١٥.

<sup>٥٢</sup> رو ١٢: ١.

تملك أي شيء لتتمسك به. يقول الرب: "كَذَلِكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لَا يَتْرُكُ جَمِيعَ أَمْوَالِهِ، لَا يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تَلْمِيزًا".<sup>٢٥٣</sup> لماذا تحمل قلبًا نصفه فقط للمسيح!؟

(٦)

انظر كيف ترك بطرس شبابه،<sup>٢٥٤</sup> وقام العشار من على كرسي الجباية.<sup>٢٥٥</sup> وفي لحظة تحوّل إلى تلميذ. إن "ابنُ الإنسانِ لَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنَدُ رَأْسَهُ"<sup>٢٥٦</sup> فهل أنت تهوى القاعات الضخمة والصلوات المتسعة!؟ إن كنت تتطلع إلى أن ترث من مُتّع العالم شيئًا فلن تكون وارئًا مع المسيح.<sup>٢٥٧</sup> أنت تدعى راهبًا، ألا يعني لك هذا الاسم شيئًا؟ ما الذي أتى بك أيها المتوحد وسط هذا الحشد من الناس؟ استمع نصيحتي لك، فهي ليست من بحار حديث العهد لم يفقد سفينة أو حمولة أو لم يختبر العواصف من قبل، فأنا مؤخرًا كسفينة جانحة، وتحذيراتي للبحارة تنبع من مخاوفي. فمن ناحية تحاول اللذات، مثل كاريبيدس<sup>٢٥٨</sup> Charybdis، أن تسحب خلاص النفس إلى قاع دوامتها، والشهوات من ناحية أخرى، مثل سكيللا Scylla، بوجهها الباسم تحتال متصيّدة لتحطم عفتها. إن الساحل منطقة وعرة والشيطان برفقة قراصنته يحمل الأصفاد الحديدية ليقيد بها أسراه. لا تكن ساذجًا أو واثقًا بزيادة، فالبحر يمكن أن يظهر هادئًا مبتسمًا كبحيرة بالكاد يهتز

<sup>٢٥٣</sup> لو ١٤:٣٣.

<sup>٢٥٤</sup> مت ٤:١٨-٢٠.

<sup>٢٥٥</sup> مت ٩:٩.

<sup>٢٥٦</sup> مت ٢٠:٨.

<sup>٢٥٧</sup> رو ٨:١٧.

<sup>٢٥٨</sup> كاريبيدس وسكيللا: من الأساطير اليونانية وهما وحشان بحريان على جانبي مضيق مسينا بين إيطاليا وصقلية، كاريبيدس يقع على الجانب ذي الصخور الصغيرة والدوامات الكثيرة، بينما سكيللا تقع على الجانب المليء بالصخور الضخمة فبينما يحاول البحارة تجنب دوامات وحش يقعون فريسة لصخور الآخر. ومن هنا صار المثل القائل: [نجا من كاريبيدس فوقع في فخ سكيللا] ومعناه خرج من محنة ليقع في مصيبة.

سطحه من نسيمات الهواء، لكنه يمكن أيضًا أن ترتفع أمواجه عاليًا كالجبال. هناك خطر في الأعماق فالعدو يكمن فيها. ارفع الشراع، انشر القلاع، ثبت راية الصليب على السارية في مقدمة السفينة، فالهدوء الذي تتحدث عنه هو في حد ذاته عاصفة.

وربما تتساءل مستنكرًا: لماذا، أليس كل أناس المدينة مسيحيين؟ سأجيبك قائلاً، وضعهم ليس مثل وضعك. اسمع ما يقوله الرب: "إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلًا فَادْهَبْ وَبِعْ أَمْلاكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَثْرٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتَّبِعْنِي"<sup>٢٥٩</sup> وأنت بالفعل قد نذرت أن تسلك طريق الكمال. لأنك عندما تركت الجندية وصرت خصيًّا لأجل ملكوت السموات،<sup>٢٦٠</sup> فعلت هذا لكي تسير في طريق الكمال. وخدام المسيح الكامل لا يملك شيء سوى المسيح. وإن كان له شيئًا بجانب المسيح فلم يصر بعد كاملاً. وإن لم يكن كاملاً وقد نذر أن يكون كذلك، فنذره كذب. و"الْقَمَّ الكاذِبَ يَقْتُلُ النَّفْسَ"<sup>٢٦١</sup>.

وأخيرًا، إن كنت كاملاً فلن تضع قلبك على مقتنيات أبيك، وإن لم تكن فقد صرت مخادعًا لله. الإنجيل أرعد بذا التحذير قائلاً: "لَا يَقْدِرُ خَادِمٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ"<sup>٢٦٢</sup> فهل يجرو أي شخص أن يجعل من المسيح كاذبًا ويخدم في نفس الوقت الله والمال؟ وأعاد الرب قوله: "إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي، فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ كُلَّ يَوْمٍ، وَيَتَّبِعْنِي"<sup>٢٦٣</sup>. "فَإِنْ ثَقُلْتَ نَفْسِي بِالذَّهَبِ هَلْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَدْعِي أَنْتَنِي أَتَبِعُ الْمَسِيحَ؟ قَطْعًا لَا." "مَنْ قَالَ إِنَّهُ نَابِتٌ

<sup>٢٥٩</sup> مت ١٩: ٢١

<sup>٢٦٠</sup> مت ١٩: ١٢

<sup>٢٦١</sup> حك ١١: ١

<sup>٢٦٢</sup> لوق ١٣: ١٦

<sup>٢٦٣</sup> لوق ٩: ٢٣

## الخطابات

فِيهِ، يَنْبَغِي أَنَّهُ كَمَا سَلَكَ ذَاكَ هَكَذَا يَسْلُكُ هُوَ أَيْضًا“<sup>٦٤</sup>.

(٧)

أنا أعلم بأنك سترد عليّ قائلاً بأنك لا تملك شيئاً. فلماذا إذن لا تنزل إلى الميدان إن كنت مستعداً للمعركة؟ ربما تظن أنه يمكنك أن تخوض الحرب وأنت في بلدك على الرغم من أن الرب نفسه لم يقدر أن يصنع آية واحدة في بلده. <sup>٦٥</sup> وسوف تسأل لماذا؟ خذ هذا الرد من له السلطان: ”لَيْسَ نَبِيٌّ بِلَا كَرَامَةٍ إِلَّا فِي وَطَنِهِ وَفِي بَيْتِهِ“<sup>٦٦</sup> ولكنك قد تقول: أنا لا أطلب كرامة؛ ضميري شاهد عليّ وهذا يكفي. الرب أيضاً لم يطلبها؛ لأنه عندما اختطفه الجموع ليجعلوه ملكاً انصرف عنهم.<sup>٦٧</sup> ولكن حيث لا توجد كرامة يوجد الازدراء، وحيث يوجد الازدراء توجد وقاحات متكررة؛ وحيث توجد الوقاحات فهناك السخط؛ ومع السخط ينعدم الهدوء والسلام؛ وحيث لا هدوء يتشتت العقل عن هدفه. مرة أخرى عندما تفقد الحماسة حرارتها جراء عدم السكينة فما تفقده ينقص منها، والناقص لا يمكن أن ندعوه كاملاً. خلاصة القول؛ إن الراهب لا يمكن أن يصير كاملاً في بلده. وعدم سعي الراهب نحو الكمال هو خطية عليه.

(٨)

ولكي تكمل دفاعك سوف تستشهد بوضع الإكليروس قائلاً إنهم يظلمون في بلدهم وبالطبع هم فوق الشبهات. حاشا لي أن أنتقد خلفاء الرسل، الذين

<sup>٦٤</sup> ١ يوحنا: ٦

<sup>٦٥</sup> مت ١٣: ٥٨

<sup>٦٦</sup> مت ١٣: ٥٧

<sup>٦٧</sup> ١ يوحنا: ١٥

بصلواتهم يتقدس جسد المسيح ودمه. ويُصَيِّرُونَا مسيحيين.<sup>٢٦٨</sup> ومعهم مفاتيح ملكوت السموات.<sup>٢٦٩</sup> فيحكمون على الناس بدرجة ما قبل يوم الدينونة، ويسهرون على نقاوة عروس المسيح. ولكن - كما سبق وأشرت - وضع الإكليروس يختلف عن وضع الراهب. الإكليروس يطعمون قطع المسيح؛ بينما أنا كراهب أتناول من أيديهم. هم يعيشون من المذبح، أما أنا فإن لم أقدم للمذبح، فالفأس ستوضع على جذري كشجرة غير مثمرة.<sup>٢٧٠</sup> ولا أستطيع أن أتخذ من فقري حجة لأن الرب في الإنجيل مدح الأرملة التي ألفت في الصندوق فلسين من أعوازاها.<sup>٢٧١</sup> لا أستطيع الجلوس في محضر الكاهن،<sup>٢٧٢</sup> بينما هو في مقدوره إن أخطأت أن يسلمني إلى الشيطان، "لَهْلَاكِ الْجَسَدِ لِيَكُنِّي تَخْلُصَ الرُّوحِ فِي يَوْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ".<sup>٢٧٣</sup> في العهد القديم كانت عقوبة من لا يسمع للكاهن أن يخرج خارج المحلة ويُرجم من الجماعة أو تُقَطَّعَ رأسه فيكفَّر عن خطيته بدمه.<sup>٢٧٤</sup> أما الآن فالعاصي تُقَطَّعَ رأسه بسيف الروح القدس، أو يُطْرَد خارج الكنيسة وتقطع الشياطين إربًا. هل الإخوة يلحون عليك لأن ترتقي الدرجات الكهنوتية؟ سأفرح من أجل أنك ارتفعت في الكرامة، ولكني سأخشى من أن تنطرح إلى أسفل. ستقول: "إِنْ ابْتَغَى أَحَدٌ الْأُسْقُفِيَّةَ فَيَسْتَبِيهِ عَمَلًا صَالِحًا".<sup>٢٧٥</sup> أنا أعرف هذا؛ ولكن ينبغي أن تضيف إليها أن هذا ال(أَحَدُ) يجب أن يكون: "بِلَا لَوْمٍ، بَعْلٍ امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ، صَاحِبًا، عَاقِلًا، مُحْتَشِمًا، مُضِيْفًا لِلْغُرَبَاءِ، صَالِحًا لِلتَّعْلِيمِ، غَيْرَ

<sup>٢٦٨</sup> فنحن نولد على أيديهم في جرن المعمودية ونصير مسيحيين.

<sup>٢٦٩</sup> مت ١٩: ١٦ أي سلطان الحل والربط في سر التوبة والاعتراف.

<sup>٢٧٠</sup> مت ١٠: ٣.

<sup>٢٧١</sup> لوقا ١٠: ٤-٤.

<sup>٢٧٢</sup> خطاب ١٤٦.

<sup>٢٧٣</sup> ١ كو ٥: ٥.

<sup>٢٧٤</sup> تث ١٧: ١٢٥٠.

<sup>٢٧٥</sup> ١ تي ٣: ١.

مُذْمِنِ الْحُمْرِ، وَلَا ضَرَّابٍ، وَلَا ظَامِعٍ بِالرَّيْحِ الْقَبِيحِ، بَلْ حَلِيمًا، غَيْرَ مُحَاصِمٍ، وَلَا مُحِبٍّ لِلْمَالِ.“<sup>٢٧٦</sup> وبعد شرح وافٍ لمؤهلات الأسقف، تكلم الرسول عن مؤهلات الشماس (الدرجة الأولى من درجات الكهنوت الثلاثة) بنفس الاهتمام فكتب: ” كَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الشَّامِسَةُ ذَوِي وَقَارٍ، لَا ذَوِي لِسَانَيْنِ، غَيْرَ مُوَلَّعِينَ بِالْحُمْرِ الْكَثِيرِ، وَلَا ظَامِعِينَ بِالرَّيْحِ الْقَبِيحِ، وَلَهُمْ سِرُّ الْإِيمَانِ بِضَمِيرٍ ظَاهِرٍ. وَإِنَّمَا هَؤُلَاءِ أَيْضًا لِيُخْتَبَرُوا أَوَّلًا، ثُمَّ يَنْتَسِمُوا إِنْ كَانُوا بِلَا لَوْمٍ.“<sup>٢٧٧</sup> ويل لذلك الإنسان الذي يتسلل إلى الولاية وليس عليه ثياب العرس. لن سيسمع غير هذا السؤال القاسي: ” يَا صَاحِبُ، كَيْفَ دَخَلْتَ إِلَى هُنَا وَلَيْسَ عَلَيْكَ لِبَاسُ الْعُرْسِ؟“<sup>٢٧٨</sup> وعندما لا يجد ردَّ يُصدر الأمر للخدام: ” اَرْتَبُوا رِجْلَيْهِ وَيَدَيْهِ، وَخُدُّهُ وَأَطْرَحُوهُ فِي الظُّلْمَةِ الْحَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الْأَسْنَانِ“. ويل لذلك لإنسان الذي عندما اخذ الوزن خبأها في المنديل؛ وبينما ربح الآخرون وزنات قدَّم هو ما أخذه فقط. فسخط عليه سيده وقال غاضبًا: ” أَيُّهَا الْعَبْدُ الشَّرِيرُ.. فَلِمَاذَا لَمْ تَضَعْ فَضَّتِي عَلَى مَائِدَةِ الصَّيَارِفَةِ، فَكُنْتُ مَتَى جِئْتُ أُسْتَوْفِيهَا مَعَ رَبِّهَا؟“<sup>٢٧٩</sup> أي إنك وضعت على المذبح ما لم تقدر على حمله، وبينما أنت تاجر كسلان تبقي الوزن في يديك وتشغل مكانًا لو شغله آخر لاستطاع أن يضاعف الوزن. ولذلك بقدر ما يخدم المرء أكثر يأخذ لنفسه درجة أحسن،<sup>٢٨٠</sup> كذلك من يقترب من كأس الرب بدون استحقاق، يكون مجرمًا في جسد الرب ودمه.<sup>٢٨١</sup>

<sup>٢٧٦</sup> اتي ٣:٢٠٣.

<sup>٢٧٧</sup> اتي ٣:٨-١٠.

<sup>٢٧٨</sup> مت ١١:٢٢-١٣.

<sup>٢٧٩</sup> لوقا ١٩:٢٣.

<sup>٢٨٠</sup> اتي ٣:١٣.

<sup>٢٨١</sup> ١ كور ١١:٢٧.

(٩)

وفي الواقع ليس كل الأساقفة هم اساقفة بالفعل. ان كنت تنظر إلى بطرس ومرقس ويهوذا (ليس الإسخريوطي) وأيضًا إسطفانوس؛ فلاحظ أيضًا نيقولاوس الذي حكم عليه الرب بنفسه في سفر الرؤيا،<sup>٢٨٢</sup> وبسبب تخيالاته المخزية ظهرت بدعة النيقولاويين. "وَلَكِنَّ لِيَمْتَحِنِ الْإِنْسَانَ نَفْسَهُ وَهَكَذَا يَأْكُلُ مِنَ الْخُبْزِ وَيَشْرَبُ مِنَ الْكَأْسِ".<sup>٢٨٣</sup> فالدرجة الكهنوتية لا تجعل من الشخص مسيحيًا. كرنيليوس قائد المائة كان مازال وثنيًا عندما حل عليه الروح القدس وطهره.<sup>٢٨٤</sup> ودانيال كان مجرد فتى عندما حكم على الشيخين.<sup>٢٨٥</sup> وعاموس كان جاني جميز وفي لحظة صار نبيًا.<sup>٢٨٦</sup> وداود كان مجرد راعي غنم حينما أختير ليكون ملكًا.<sup>٢٨٧</sup> وأصغر التلاميذ هو التلميذ الذي كان يسوع يحبه،<sup>٢٨٨</sup> يا أخي، اجلس في المتكأ الأخير، فعندما يأتي من هو أقل منك كرامة يدعونك للارتفاع.<sup>٢٨٩</sup> أين مكان راحة الرب إلا المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامه.<sup>٢٩٠</sup> "وَمَنْ يُودِعُونَهُ كَثِيرًا يُطَالِبُونَهُ بِأَكْثَرٍ".<sup>٢٩١</sup> و"أَرْبَابُ الْقُوَّةِ فَبِقُوَّةٍ يُفَخَّصُونَ".<sup>٢٩٢</sup> لا يفتخرن أحد في يوم الرب بطهارته الجسدية فقط. لأن الناس سوف يعطون جوابًا عن كل كلمة

<sup>٢٨٢</sup> رؤ:٢:٦.

<sup>٢٨٣</sup> ١كو:١١:٢٧.

<sup>٢٨٤</sup> أع:١٠:٤٤.

<sup>٢٨٥</sup> تمة دانيال، قصة سوسنة.

<sup>٢٨٦</sup> ع:٧:١٤.

<sup>٢٨٧</sup> اصم:١١:١٦-١٣.

<sup>٢٨٨</sup> يو:٢:٢.

<sup>٢٨٩</sup> لو:١٤:١٠.

<sup>٢٩٠</sup> إش:٦٦:٢.

<sup>٢٩١</sup> لو:١٢:٤٨.

<sup>٢٩٢</sup> حك:٦:٦.

## الخطابات

بطالة،<sup>٢٩٣</sup> وشتيمة الأخ ستعادل جريمة القتل.<sup>٢٩٤</sup> بطرس وبولس الآن يملكان مع المسيح، وليس من السهل أن تأخذ درجة الواحد أو مكانة الآخر. هناك قد يأتي ملاك ويشق حجاب هيكلك،<sup>٢٩٥</sup> ويزحزح منارتك.<sup>٢٩٦</sup> ومتى أردت أن تبني برجًا فاحسب أولاً النفقة.<sup>٢٩٧</sup> إذا فسد الملح لا يصلح بعد لشيء إلا لأن يطرح خارجًا وتدوسه أقدام الخنازير.<sup>٢٩٨</sup> إن سقط الراهب فالكاهن يشفع له، ولكن إن سقط الكاهن فمن يشفع له!

(١٠)

في النهاية حديثي قد اجتاز منطقة الصخور؛ أخيرًا عَبَّرَ قاربي الصغير من المياه الضحلة الخطرة إلى العمق الآمن. أستطيع الآن أن أفرد شراعي لأبحر مع اتجاه الريح؛ وبما أني الآن قد تخطيت مرحلة الخطر، لذا سوف تكون خاتمتي مثل أغاني النوتية المتهللة بالرحيل. يا أيتها الصحراء المزينة بأزهار المسيح! يا أيتها الوحدة التي منها تأتي الأحجار الكريمة التي بها بنى الملك العظيم مدينته في سفر الرؤيا!<sup>٢٩٩</sup> يا أيتها البرية الفرحة بحضور الرب المميز فيها! ما الذي يبقيك في هذا العالم يا أخي يا من ارتفعت عن العالم؟<sup>٣٠٠</sup> حتى متى ستترك الأسطح الكئيبة تغلق عليك؟ إلى متى ستسمح للمدن الخائفة بحصارك؟ صدقني، الرؤية لدي أكثر وضوحًا. فما أحلى أن تطرح ثقل الجسد وتحلق في الأثير الباهر الشاهق! هل تكره الفقر؟ المسيح طَوَّبَ الفقراء.<sup>٣٠١</sup>

<sup>٢٩٣</sup> مت ١٢: ٣٦.

<sup>٢٩٤</sup> مت ٢١: ٢٢.

<sup>٢٩٥</sup> مت ٢٧: ٥١.

<sup>٢٩٦</sup> رؤ ٥: ٥.

<sup>٢٩٧</sup> لو ١٤: ٢٨.

<sup>٢٩٨</sup> مت ٥: ١٣.

<sup>٢٩٩</sup> رؤ ٢١: ٢١.

<sup>٣٠٠</sup> مقتبسة من أقوال القديس كبريانوس.

<sup>٣٠١</sup> لو ٦: ٢٠.



هل يخيفك الجهاد؟ المصارع لا ينال الجائزة إلا بالكد والتعب. هل تقلق من ندرة الطعام؟ المؤمن لا يهجمه الجوع. هل تجنب قدميك الهزيلتين من الأصوام الأرض القاحلة؟ المسيح يسير بجوارك. هل عدم غسيل الوجه أو تمشيط الشعر يثنيك؟ المسيح هو رأسك الحقيقي.<sup>٣٢</sup> هل ترهب العزلة في الصحراء الشاسعة؟ في الروح أنت دائماً تشعر وكأنك في الفردوس، فقط ارتفع بفكرك عاليًا، ولن تكون هناك صحراء بعد. هل سيخشن جلدك ويتصلب جراء عدم الاستحمام؟ الذي اغتسل مرة من المسيح لا يحتاج إلى الاغتسال مرة أخرى.<sup>٣٣</sup> الرسول يرد على كل اعتراضاتك بكلمة واحدة قائلاً: "فَإِنِّي أَحْسِبُ أَنَّ الْآمَ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ لَا تُقَاسُ بِالْمَجْدِ" الذي سيأتي بعدها وهو "عَتِيدٌ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِينَا".<sup>٣٤</sup> أنت شديد الطمع يا أخي إن كنت تريد أن تتمتع هنا بالعالم، ثم بعد ذلك تملك هناك مع المسيح.

(١١)

سوف يأتي؛ نعم سوف يأتي اليوم الذي سيلبس فيه هذا الفاسد عدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم موت.<sup>٣٥</sup> وسيطوب العبد الذي إذا جاء سيده يجده مستيقظًا.<sup>٣٦</sup> وعندما يصوت البوق سترتعد الأرض وكل سكانها،<sup>٣٧</sup> ولكن أنت ستفرح. العالم سينوح عند مجيء الرب في يوم الدينونة، وشعوب الأرض ستفرح على صدورها. والملوك الأقوياء سيرتعشون في عريهم. ستفضح فينوس Vinus وابنها أيضًا، وجوبتر Jupiter بألسنته

<sup>٣٢</sup> مقتبسة من أقوال القديس كبريانوس.

<sup>٣٣</sup> يوحنا ١٣: ١٠.

<sup>٣٤</sup> روم ٨: ١٨.

<sup>٣٥</sup> ١ كور ١٥: ٥٣.

<sup>٣٦</sup> مت ٤: ٤٦.

<sup>٣٧</sup> ١ تس ٤: ١٦.

## أخضبت

النارية سوف يُدان. أفلاطون وتلاميذه سيكونون أغبياء. ومجادلات أريستوتل لن تنفعه في شيء. قد تبدو الآن إنسانًا فقيرًا وريفياً؛ ولكنك ساعتها ستهتف فرحاً قائلاً: انظروا إلى إنجي المصلوب انظروا إلى من سيحكم عليّ. هذا هو الذي ولد في مزود وقمط بأقمطة وُلّف في خرق. هذا هو من كان أبوه وأمه فقيرين.<sup>308</sup> هذا هو الذي هرب إلى مصر محمولاً في حضن أمه، ورغم كونه إله مع ذلك هرب من وجه إنسان. هذا هو الذي وُضع عليه رداء أرجواني وكُلل بالشوك. هذا هو من قيل عنه أنه ساحر وبه شيطان وسامري. أيها اليهود، انظروا إلى الأيدي التي سمّرتوها على الصليب. أيها الرومان، انظروا إلى الجنب الذي طعنتموه بالرمح. تأملوا جيداً كلكم، هل هذا هو الجسد الذي قلمت عنه إن تلاميذه جاؤوا ليلاً وسرقوه. فهذا هو ما حاولتم أن تدعوه وتصدقوه. يا أخي، إنه الحب فقط الذي دفعني للكتابة إليك هكذا، حتى تنال، يا من تجد الطريق المسيحي الآن صعباً المكافأة في ذلك اليوم.

<sup>308</sup> From Tertullian, de Spect. xxx.

## الخطاب الخامس عشر

### إلى البابا داماسوس<sup>٣٠</sup>

إن هذا الخطاب يوضح موقف جيروم من كرسي روما الذي يجلس عليه في هذا الوقت البابا داماسوس، والذي صار بعد ذلك صديقه الحميم ومن أشد معجبيه. وقد أشار إلى روما على أنها مكان عماده وكنيستها ذات الإيمان الحقيقي الذي لم يتدنس، مؤكدًا على العقيدة الراسخة التي تنادي بأنه لا خلاص خارج نطاق الكنيسة، جيروم يسأل خليفة الصياد<sup>٣١</sup> سؤالين: الأول: من هو الأسقف الحقيقي لكرسي أنطاكية من بين هؤلاء الثلاثة المطالبين به. والثاني: أي المصطلحات هو الأصح، الحديث عن ثلاثة أقانيم Hypostases في الجوهر الإلهي الواحد، أم هي بوسستاسيس Hypostases واحد وثلاثة أقانيم Persons. وبالنسبة للسؤال الثاني شرح باستفاضة وجهة نظره. هذا الخطاب كتب عام ٣٧٦م أو ٣٧٧م.

### (١)

نظرًا لأن الشرق، الذي تدمر بالحروب الأهلية المتعاقبة، يُمزق ثوب المسيح شيئًا فشيئًا، ذاك الذي كان "بِعَيْرِ خِيَاطَةٍ، مَنسُوجًا كُلُّهُ مِنْ قَوْقُ"<sup>٣١</sup>، وحيث أن الثعالب الصغيرة تُفسد كروم المسيح<sup>٣٢</sup>، ووسط تلك الينابيع المشققة التي لا تضبط ماء، من الصعب اكتشاف "الينبوع المختوم" و"الجنة المغلقة"<sup>٣٣</sup>. لذا فلقد رأيت أنه من واجبي أن أستشر

<sup>٣٠</sup> تم الرجوع إلى كتاب:

Mierow, *ancient Christian writers 33, the letters of St. Jerome, Vol. 1, pp. 70-73.*

<sup>٣١</sup> كناية عن اسم القديس بطرس.

<sup>٣٢</sup> يو ١٩: ٢٣.

<sup>٣٣</sup> نش ٢: ١٥.

<sup>٣٣</sup> نش ٤: ١٢.

## الخطابات

كرسي بطرس، وأن أرجع إلى الكنيسة التي مدح الرسول إيمانها.<sup>٣١٤</sup> أنا أتمس الغذاء الروحي من الكنيسة التي لبست فيها رداء المسيح<sup>٣١٥</sup> إن المسافات الكبيرة براً وبحراً انني تفصل بيننا لن تعيقني عن البحث عن "اللؤلؤة كثيرة الثمن"<sup>٣١٦</sup> "لأنَّهُ حَيْثُمَا تَكُنِ الْجُبَّةُ، فَهُنَاكَ تَجْتَمِعُ النَّسُورُ."<sup>٣١٧</sup> الأبناء الأشرار بددوا ميراثهم، وأنت وحدك حفظته سالمًا. أرض روما الحيدة حلما قبلت إليها بذار الرب أعطت مائة، أما هنا فنبتة الحنطة خنقتها الأشواك ولا يطلع سوى الشوك والحسك.<sup>٣١٨</sup> في الغرب شمس البر تشرق الآن، أما في الشرق فلوسيفر المارق<sup>٣١٩</sup> الساقط من السماء،<sup>٣٢٠</sup> قد وضع كرسيه مرة أخرى فوق الكواكب.<sup>٣٢١</sup> "أنتم نور العالم"<sup>٣٢٢</sup>، "أنتم ملح الأرض"<sup>٣٢٣</sup>، أنتم "آنيةٌ مِنْ دَهَبٍ وَفِصَّةٍ"<sup>٣٢٤</sup> أما هنا فآنية خزف وخشب، ينتظرها قضيب من حديد<sup>٣٢٥</sup> ونار أبدية.

(٢)

برغم أن بهاءك يجعلني أرتد إلى خلف، إلا أن عطفك يجذبني إليك. أستجدي من الكاهن الأمان أنا الضحية. أناشد الراعي الحماية أنا الخروف. بعيداً عن كل مظاهر العظمة والرفعة، فإن كلاي موجه إلى خليفة الصياد،

<sup>٣١٤</sup> رو: ١٠: ٨.

<sup>٣١٥</sup> غل ٢٧: ٣ إشارة إلى معمديته.

<sup>٣١٦</sup> مت ١٣: ٤٦.

<sup>٣١٧</sup> مت ٢٨: ٢٤.

<sup>٣١٨</sup> مت ١٣: ٢٢، ٢٣.

<sup>٣١٩</sup> لوسيفر تعني زهرة بنت الصبح morning star.

<sup>٣٢٠</sup> لو ١٠: ١٨.

<sup>٣٢١</sup> إش ١٤: ١٤.

<sup>٣٢٢</sup> مت ١٤: ٥.

<sup>٣٢٣</sup> مت ١٣: ٥.

<sup>٣٢٤</sup> تي ٢: ٢٠.

<sup>٣٢٥</sup> رؤ ٢: ٢٧.

وتلميذ الصليب. وبما أني لا أتبع سوى انسيح لذا لا أشترك مع أحد غير قداستكم، حيث كرسي بطرس؛ لأنني أعرف الصخرة التي بُنيت عليها الكنيسة!<sup>٣٢٦</sup> هذا هو البيت الذي ينبغي أن يُذبح فيه خروف الفصح ويؤكل.<sup>٣٢٧</sup> هذا هو فلك نوح وكل من هو خارجه سيغرق بالطوفان.<sup>٣٢٨</sup> ولكن لأنني إنسان خاطئ فقد انعزلت في الصحراء التي تقع بين سوريا وبلاد البربر، ولأنني بعيد عنكم فلا أستطيع أن أطلب باستمرار من قداستكم تناول من الأسرار المقدسة.<sup>٣٢٩</sup> لذلك أنا هنا أتتلمذ عند المعترفين المصريين<sup>٣٣٠</sup> الذين يشاركونك ذات الإيمان. وأرسي قاربي الصغير تحت كف سفنهم العملاقة. لا أعرف شيئاً عن فيتالس Vitalis، وأرفض ميليتيوس Meletius، ولا شأن لي على الإطلاق ببولينوس Paulinus.<sup>٣٣١</sup> ومن لا يجمع معك فهو يفرِّق،<sup>٣٣٢</sup> ومن ليس للمسيح فهو حتماً مع ضد المسيح.

### (٣)

الآن، وحتى بعد أن تحدد قانون إيمان نيقية<sup>٣٣٣</sup> ومرسوم الإسكندرية<sup>٣٣٤</sup> الذي وافق عليه الغرب، يؤسفني أن أقول إن هؤلاء

<sup>٣٢٦</sup> مت ١٨:١٦: اختلف المفسرين في الغرب على شرح عبارة السيد المسيح: "غَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةُ أُبْنِي كَيْسِي" فأغسطينوس مثلاً اعتبر أن الصخرة تعني الايمان الذي نطق به بطرس وليس شخصه وهو التفسير الذي تقبله الكنائس الارثوذكسية في الشرق. أما جيروم هنا فنجده يتبع التفسير الذي ساد بعد ذلك في الغرب أدى إلى الاعتقاد برئاسة بابا روما على كل الكنائس. فالكنيسة مبنية على أساس المسيح نفسه (ن).

<sup>٣٢٧</sup> خر ١٢:٢٤.

<sup>٣٢٨</sup> تك ٧:٢٣.

<sup>٣٢٩</sup> الإفخارستيا في ذلك الوقت كانت ترسل أحياناً من أسقف إلى أسقف حفاظاً على الوحدة وحياء لشركة. وقد يكون المقصود من الكلام الغذاء الروحي أي الإرشاد والتعليم.

<sup>٣٣٠</sup> أي الأساقفة المصريين المنفيين من كراسيهم إلى فلسطين بسبب رفضهم للهرطقة الأريوسية، انظر الخطاب رقم ٣.

<sup>٣٣١</sup> هؤلاء هم الثلاثة المتنافسون على كرسي أنطاكية، انظر الخطاب رقم ١٦.

<sup>٣٣٢</sup> مت ١٢:٣٠.

<sup>٣٣٣</sup> قانون مجمع نيقية يقول عن الابن أنه: [واحد مع الآب في الجوهر] أوسيا - ὁὐσία].

<sup>٣٣٤</sup> مرسوم الإسكندرية أقر بأرثوذكسية التعبير الذي يقول بثلاثة هيپوستاسيس إلا أنه لم يشجع على استعماله.

الكامبينسيس Campenses<sup>٣٣٥</sup> نسل الأريوسيين، يحاولون جاهدين أن ينتزعوا مني - كمسيحي من روما - اعترافاً بصيغة إيمانهم التي لم نسمع عنها قط وتتكلم عن ثلاثة هيپوستاسيس three hypostases.<sup>٣٣٦</sup> وهذا. وإني لأتسأل، أين رسل هذه التعاليم؟ أين بولسهم الجديد، رسول الأمم الآخر؟ أسألهم ماذا يعني ثلاثة هيپوستاسيس؟ فيجبوا بأنها تعني ثلاثة أقانيم persons كائنة مع بعضها البعض. فأجبت؛ إن هذا المعنى يُعبّر عن إيماني. إلا أنهم لا يكتفون بالمعنى بل يطالبوني بأن أقر باللفظ ذاته. وبالتأكيد هناك سَمٌ يَكْمُنُ في الكلمات لذا صرخت قائلاً: "من لا يعترف بوجود ثلاثة هيپوستاسيس، إن كانت تعني ثلاثة أشياء متأقنمة hypostatized؛ أي ثلاثة اشخاص persons كائنة مع بعضها البعض، يكون محروماً." ومع ذلك فقد حسبوني هرطوقياً لأنني لم أتبنّ اللفظ نفسه، وأكملت قائلاً: "ولكن، من يعن بكلمة هيپوستاسيس الجوهر (ousia = essence)، وينكر أن للثلاثة أشخاص three persons جوهر (hypostasis = substance) واحد فليست له شركة مع المسيح." ولذا فبسبب إيماني الذي أشارك فيه قد إتهموني بالسابلية.<sup>٣٣٧</sup>

(٤)

لذا إن ارتأيت أنه من المناسب وضع صيغة جديدة للإيمان، فلن أتردد في استخدام لفظ ثلاثة هيپوستاسيس. اعمل قانون إيمان جديد ليحل محل قانون إيمان مجمع نيقية، وحينها سيكون مناسباً لجميعنا سواء كنا من

<sup>٣٣٥</sup> هم الميليتيين وأطلق عليهم كامبينسيس لأنهم رفضوا دخول كنائس المدن للصلاة وفضلوا الأماكن المفتوحة.

<sup>٣٣٦</sup> substantia = ὑπόστασις جاءت هذه الكلمة في عب ٣:١ "وَرَسَمُ جَوْهَرِهِ".

<sup>٣٣٧</sup> وهي التي تنادي بجوهر واحد وأقنوم واحد كان في العهد القديم يدعى الآب، ثم أصبح الابن ثم في العهد الجديد صار الروح القدس.

## الأرثوذكس أو الأريوسيين!

في كل الآداب والفلسفات الدنيوية. نجد أن كلمة هيپوستاسيس Hypostases لا يمكن أن ترادفها أي كلمة أخرى سوى كلمة 'جوهر' Essence = ousia. وإني لأتساءل؛ هل يمكن لأي شخص يبلغ به الكُفر لأن يقول إن في الألوهة ثلاثة جواهر أو طبائع؟! طبيعة الله المتفردة هي الشيء الوحيد الموجود بالحقيقة. لأن الكينونة الكاملة لا تأتي من أي مصدر آخر خارجي بل من ذاتها. أما باقي الأشياء، وأعني المخلوقات، فليست لها كينونة من ذاتها حتى لو بدا عكس ذلك. لأنه كان هناك وقت لم تكن موجودة. وما لم يكن موجودًا في وقت ما، قد يصير غير موجود أيضًا في وقت لاحق. الله وحده هو سرمدي، ويعني ذلك أن من ليست له بداية يستحق فعلاً أن يدعى 'جوهر' = كينونة 'an essence = being'. لذلك، قال لموسى وهو في العليقة: "أَهْيَهُ الَّذِي أَهْيَهُ<sup>٣٣٨</sup>". وموسى قال عنه: "أَهْيَهُ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ"<sup>٣٣٩</sup> وعلى الرغم أنه في الوقت الذي كانت الملائكة والسماء والأرض والبحار كلها كائنة، قال الله عن نفسه وحده: "أنا الكائن" فلا بد أن الله كان يعلن عن ذاته بأنه هو الكينونة الكاملة أي اسم 'جوهر' an essence الذي بدا أنه يطلق على كل الكائنات. ولكن بما أنه وحده طبيعته كاملة وبما أن ثلاثة الأقانيم في جوهر واحد، الذي هو بالحقيقة جوهر واحد، فمن ينادي باسم الدين بأن طبيعة الله وجوهره منقسم إلى ثلاثة عناصر، أو ثلاثة هيپوستاسيس بمعنى ثلاثة جواهر، فهو بذلك يؤكد بشدة أن الله له ثلاث طبائع. وإن كان هذا صحيحًا، فلماذا إذن حرمنّا أريوس، في حين نشاركه نفس الخطأ؟ وليشترك مع قداستكم أورسيكينوس

<sup>٣٣٨</sup> أي أنا هو الكائن بذاتي.

<sup>٣٣٩</sup> خر ٣: ١٤.

Ursicinus. وأوكسينتيوس<sup>٣٤٠</sup> Auxentius مع أمبروسوس. ولكن حاشا لروما أن يكون لها إيمان مشترك مع هؤلاء! ولا تتلوث أبدًا قلوب شعبك النقية بتلك التعاليم الذنوسة. لنكتف بتعبير طبيعة Substance واحدة وثلاثة أقانيم Subsisting Persons كاملة، متساوية، سرمدية. ولنتمسك بكلمة طبيعة Hypostases واحدة ولا نُقلُ ثلاثة، في حال ارتضيت ذلك. أنه مؤشر سيئ حين يتعمد من يعنون نفس الشيء استخدام مصطلحات مختلفة. ولنقتع بصيغة قانون الإيمان الذي نستخدمه منذ فترة. أما إن رأيت أنه من الصواب أن أستخدم لفظة 'ثلاثة هيپوستاسيس' مع شرح المعنى الذي أقصده بها، فأنا مستعد أن أطيعك. ولكن صدقني، هناك سُمٌ مخفيٌّ في عسلهم؛ فالشيطان يمكنه أن يظهر في شبه ملاك نور.<sup>٣٤١</sup> هم يقدمون تفسيرًا مقبولاً لمصطلح هيپوستاسيس. ولكني حين أقول إنني أتفق معهم على المعنى مستخدمًا تعبيرات أخرى يحسبونني هرطوقيًا. ما سر تمسكهم بهذا اللفظ؟ وما الذي يختفي وراء لغوهم الغامض؟ إن كان إيمانهم يوافق شرحهم للفظ فأنا لا أدينهم لأنهم يستخدمونه. وفي المقابل إن كان إيماني يوافق آراءهم المعلنة فيجب أن يسمحوا لي بأن أقدم ما يعنونه هم لكن بكلماتي الخاصة.

(٥)

لذلك، أنا أتوسل إلى غبطتكم، باسم المصلوب مخلص العالم، وباسم الثالوث المتساوي في الجوهر، أن تخبرني في خطاب مكتوب هل أقبل أم أرفض صيغة الثلاثة هيپوستاسيس. ولتلا يكون عنوان إقامتي غير المحدد عائقًا بالنسبة إلى حملة رسائلتك، فأرجوك أن تُرسله إلى إيفاجريوس

<sup>٣٤٠</sup> أورسيكينوس كان معارضًا للبابا، وأوكسينتيوس كان أسقف أريوسي لميلان.  
<sup>٣٤١</sup> ٢ كو ١١: ١٤.



الكاهن الذي تعرفه جيدًا. وفي الوقت ذاته أخبرني مع من أتواصل في أنطاكية. ليس بالطبع مع الكامبينسيس - كما أرجو - لأنهم مع شركائهم هراطقة طرسوس يريدون أن يكونوا في شركة معك كي ينشروا - بسلطان أقوى - تعليمهم عن الثلاثة هيبيوستاسيس.

## الخطابات

### الخطاب السادس عشر

#### إلى البابا داماسوس

كُتِبَ هذا الخطاب بعد أشهر قليلة من الخطاب السابق، وهو توسل آخر للبابا داماسوس كي يزيل الشكوك من صدر الكاتب. هنا يشير جيروم مرة أخرى إلى معموديته في روما، ويعلن أن رده الوحيد على النزاع الحاصل في أنطاكية هو: "من يتمسك بكروسي مار بطرس هو المقبول عندي". كُتِبَ من صحراء سوريا عام ٣٧٧م أو ٣٧٨م.

(١)

من أجل لجأيتها أخيراً سُمِعَ إلى الأرملة كما جاء في الإنجيل.<sup>٣٢٢</sup> وبنفس الطريقة أيضاً نوح صديق في أن يأخذ من صديقه خبزاً في نصف الليل مع أن الباب كان مُغلقاً والخدم نيام.<sup>٣٢٣</sup> وصلاة العشار غلبت الرب،<sup>٣٢٤</sup> برغم أن الرب لا يقهر. وبدموعها نجت نينوى من قضاء الرب عليها بالخراب جزاء لخطاياها.<sup>٣٢٥</sup> وتسالني، إلى متى ستستمر في تقديم هذه الأمثلة؟ أجيبك قائلاً: إلى أن تتنازل عظمتكم وتنظر إلى حقارتي، أنت الراعي الغني، فلا تهملني أنا الخروف الضال. فالمسيح نفسه قد نقل اللص من فوق الصليب إلى الفردوس،<sup>٣٢٦</sup> ولكي يبين لنا أن باب التوبة مفتوح دائماً، فقد حوّل موت قاتل إلى استشهاد قديس. ويفرح يحتضن المسيح الابن الضال عندما يرجع إليه،<sup>٣٢٧</sup> والراعي الصالح يترك التسعة والتسعين ويحمل الخروف على منكبيه

<sup>٣٢٢</sup> مت ١٥: ٢٨.

<sup>٣٢٣</sup> لوقا ١١: ٨٠٧.

<sup>٣٢٤</sup> لوقا ١٠: ١٤-١٠.

<sup>٣٢٥</sup> يوحنا ٣: ١٠٥.

<sup>٣٢٦</sup> لوقا ٢٣: ٤٣.

<sup>٣٢٧</sup> لوقا ١٥: ٢٠.

الخروف المسكين الذي ضلَّ.<sup>٣٤٨</sup> وتحوَّل بونس من مضطهد إلى مبشر. وأُعميت عينه الجسدية لتستنير عينه الروحية،<sup>٣٤٩</sup> فمن كان يجُرُّ خُدَّام المسيح في سلاسل إلى المحاكمة أمام مجمع اليهود،<sup>٣٥٠</sup> عاش بعدها في مجد قيود المسيح.<sup>٣٥١</sup>

(٢)

كما سبق وكتبت إليك<sup>٣٥٢</sup> أنا الذي لبست المسيح في روما، قابلاً في الصحراء التي تحيط سوريا. غير محكومٍ عليَّ بالنفي من أحد، بل أنا الذي حكمت على نفسي. ولكن كما يقول الشاعر الوثني: "من يجتاز البحار تتغير السماء من فوقه، بينما أفكاره تظل كما هي."<sup>٣٥٣</sup>

العدو الذي لا يهدأ يلاحقني عن قرب، والهجوم الذي أعاني منه في الصحراء أشد ما يكون. لأن حمى الأريوسية تجتاح، وسلطات العالم تدعمها. والكنيسة ممزقة إلى ثلاثة فرق، وكل فرقة تحاول جاهدة أن تُضمَّني إليها. نفوذ الرهبان قوي، وهو موجَّه ضدي. وأنا في ظل هذه الظروف على قولٍ واحد، "من يتمسك بكرسي مار بطرس هو المقبول عندي." ميليتس، فيتاليس وبولينوس،<sup>٣٥٤</sup> جميعهم يزعمون أنهم في شركة معك. كان يمكن أن أصدق لو أن هذا الزعم جاء من واحد فقط. ولكن كما هو

<sup>٣٤٨</sup> لو ١٥:٥٠.

<sup>٣٤٩</sup> أع ٩:٨.

<sup>٣٥٠</sup> أع ٨:٣.

<sup>٣٥١</sup> ٢ كو ١٢:١٠.

<sup>٣٥٢</sup> انظر الخطاب ١٥.

<sup>٣٥٣</sup> الشاعر هوراسي.

<sup>٣٥٤</sup> الثلاثة المتنافسون على كرسي أنطاكية. كل من بولينوس وميليتوس أرثوذكس، ولكن ميليتوس أخذ الرتبة الأسقفية من أريوسي وهو غير معروف في الغرب، أما في الشرق فكانت له مكانة كبيرة حتى أنه بعد هذا النزاع بسنوات دعيَّ لبتراأس مجمع القسطنطينية (٣٨١م) أما فيتاليس فكان يتبع أبوليناريوس ولكن صفاته جعلت الأرثوذكس يبجلونه.

## الخطابات

الحال فإن إثنين منهم إن لم يكن الثلاثة مدانين بالغش. وبما أنك تجلس على كرسي رسولي لذا أتوسل إلى غبضتكم بآلام المسيح وصلبه أساس مجد إيماننا، اصدر قرار رسولي. فقط اخبرني بخطاب مكتوب مع من أتواصل في أنطاكيا، وسوف أصلي من أجلك كي يجلسك الرب مكللاً مع الاثنا عشر الذين سيدينون،<sup>٣٥٥</sup> وكي يمنطقك آخر ويحملك عندما تكبر في السن مثل بطرس،<sup>٣٥٦</sup> وكي تستوطن في ملكوت السموات مثل بولس الرسول.<sup>٣٥٧</sup> لا تزدري بنفس مات المسيح من أجلها.

---

<sup>٣٥٥</sup> مت ١٩: ٢٨.

<sup>٣٥٦</sup> يوا ٢١: ١٨ والمقصود بالآخر هو المسيح.

<sup>٣٥٧</sup> في ٢٠: ٣.

## الخطاب السابع عشر إلى الكاهن ماركوس

أرسل هذا الخطاب إلى شخص من الواضح أنه نه مكانه بارزة بين رهبان صحراء خالكيد *Chalcidian desert* في سوريا. وفيه اشتكى جيروم من المعاملة الصعبة هناك لأنه يرفض أن يتدخل في النزاع اللاهوتي المستعر الحادث في صحراء سوريا آنذاك. جيروم أكد أرثوذكسيته والتمس الإذن بالبقاء حيث هو حتى يأتي الربيع وبعدها سيرحل من هذه "الصحراء غير المضيافة". كتب عام ٣٧٨م أو ٣٧٩م.

(١)

لقد عزمت على استخدام كلمات صاحب الزامير، "قُلْتُ أَحْفَظُ لِسَبِيلِي مِنَ الْخَطَا بِلِسَانِي. أَحْفَظُ لِقَمِي كِمَامَةً فِيمَا الشَّرِيرُ مُقَابِلِي. صَمْتُ صَمْتًا سَكْتُ عَنِ الْخَيْرِ فَتَحَرَّكَ وَجَعِي."<sup>٣٥٨</sup> وأيضًا "وَأَمَّا أَنَا فَكَأَصَمٌ لَا أَسْمَعُ. وَكَأَبْكَمٌ لَا يَفْتَحُ فَاةً. وَأَكُونُ مِثْلَ إِنْسَانٍ لَا يَسْمَعُ وَلَيْسَ فِي فَمِهِ حُجَّةٌ."<sup>٣٥٩</sup> وأيضًا المحبة "تَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ"<sup>٣٦٠</sup> وتقديري واحترامي لك يتغلب على قراراتي. أنا فعلاً لا أهتم بأن أثار من المهاجمين أكثر من أن أطيع وأستجيب لطلبك. لأنه وكما قال أحدهم بحسب المسيحية: "ليس من يقاسي الاعتداءات هو التّعيس، بل من يرتكبها."<sup>٣٦١</sup>

(٢)

أولاً وقبل أن أتكلم معك عن معتقداتي -والتي تعرفها جيداً - أنا

<sup>٣٥٨</sup> مز ١٠٣:٣٩.

<sup>٣٥٩</sup> مز ١١٣:٣٨.

<sup>٣٦٠</sup> ١ كو ١٣:٧.

<sup>٣٦١</sup> القديس كبريانوس.

## الخطابات

مضطر أن أشكو من عدم إنسانية هذه البلدة. هناك مقولة متكررة كثيرًا وهي تعبر أحسن تعبير عما أقصده: "آية همجية في هؤلاء الذين لا يستضيفون الغرباء حتى في صحراءهم. يهددونا بحرب ويطردونا من سواحلهم."<sup>٣٦٢</sup> لقد اقتبست هذا من أشعار الأمم؛ لأن من يستخف ويتجاهل السلام الذي في المسيح فعلى الأقل يتعلم من الوثني معناه.

لقد قيل عنى هرطوقي رغم أني أعلم وأعظ بجوهر واحد في الثالث. لقد اتهمت بالسابلية<sup>٣٦٣</sup> عديمة التقوى على الرغم من أني اعلنت بصوت عال أنه في الجوهر الإلهي ثلاثة أقانيم persons متميزة، حقيقية، كاملة، تامة.<sup>٣٦٤</sup>

الأريوسيون على حق في اتهامهم لي. ولكن الأرثوذكس يتركون أرثوذكسيتهم حينما يهاجمون إيمانًا مثل إيماني. قد يتهموني لو أرادوا كهرطوقي ولكن لو فعلوا، فيجب أن يدينوا أيضًا إيمان مصر والغرب، دماسوس وبطرس. لماذا يثبّتون الحكم على شخص ويتركون باقي رفقائه في الإيمان بلا لوم؟ فإن كان هناك قليل من الماء في التيار فليس العيب في المجرى ولكن في المنبع. أنا أخجل بأن أقول هذا، ولكن نحن - رهبان الصحاري - ندين العالم من الكهوف المنعزلة التي نقطن فيها! متجولين بمسوح ووبر<sup>٣٦٥</sup> ومع ذلك نحكم على أساقفة! ما فائدة رداء التائب إن كان يغطي كبرياء ملك؟ فالقيود والبؤس والشعر الطويل هي بحق علامات حزن وليست شارات مَلَكِيَّة. أنا فقط أطلب أن يتركوني في صمتي ليس إلا.

<sup>٣٦٢</sup> الشاعر فيرجيل.

<sup>٣٦٣</sup> السابلية: بدعة سابليوس التي تقول إن الله أقنوم واحد ظهر في العهد القديم بأنه الأب ثم تجسد في صورة الابن ثم حل على التلاميذ بصورة الروح القدس.

<sup>٣٦٤</sup> تكمن المشكلة في استخدام ق. جيروم تعبير هيبوستاسيس ὑπόστασις بمعنى جوهر وليس أقنوم، بالتالي حديثه عن هيبوستاسيس واحد جعل خصومه يتهمونه بالاعتقاد بأقنوم واحد مما دفعهم لقتله بالسابلية التي تنكر الثالث وترى أن الله أقنوم واحد ظهر في التاريخ البشري على ثلاثة أشكال.

<sup>٣٦٥</sup> ترتليان.

فلماذا يعذبون رجل لا يستحق سوء نيتهم تجاهه؟ أنت تقول بأني هرطوقي، ماذا يعني لك هذا لو كنت بالفعل هرطوقياً؟ اهدأ، ويكفي ما قيل. أنا أفترض أنك خائف انه بدرايتي الجيدة بالآرامية واليونانية، سوف أنتقل من كنيسة إلى أخرى وأقود الناس للخطأ وأحدث انشقاقاً! أنا لم أسلب شيئاً من أي إنسان، ولا أخذت ما لم أكسبه. وبتعب يدي<sup>٣٦٦</sup> وبعرق جبيني<sup>٣٦٧</sup> أعمل يومياً من أجل طعامي عالمًا بما كتب في الرسائل "أَنْتَهُ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُرِيدُ أَنْ يَشْتَعَلَ فَلَا يَأْكُلْ أَيْضًا."<sup>٣٦٨</sup>

(٣)

قداسة الأب المبجل، المسيح يشهد على كم الدموع والأنين التي كتبت بها كل هذا، "قَدْ صَمَتَ مُنْذُ الدَّهْرِ. سَكَتٌ. تَجَلَّدْتُ. كَالْوَالِدَةِ أَصِيحُ. أَنْفُخُ وَأَنْخِرُ مَعًا."<sup>٣٦٩</sup> لا أستطيع أن أحصل على مجرد ركن في الصحراء، كل يوم أطلب بالاعتراف بإيماني، وكأني لم أقر بشيء يوم أن تجددت بالمعمودية!<sup>٣٧٠</sup> لقد قبلت تعبيراتهم ومصطلحاتهم، ولكن حتى هذا لم يرضهم. سجلت اسمي معهم لكنهم إلى الآن يرفضون أن يصدقوني. شيء واحد سوف يرضيهم؛ أن أترك هذه البلدة. وأنا فعلاً على وشك الانطلاق. لقد انتزعوا مني بالفعل إخوتي الأعزّاء الذين كانوا جزءاً من حياتي نفسها. هم - كما ترى - يستعجلون الرحيل، بل قد رحلوا فعلاً. فهم يقولون إن السكّنى وسط وحوش مفترسة أفضل من الإقامة وسط مسيحيين مثل هؤلاء! وكان من المحتمل أن أكون أنا نفسي أيضاً في هذه اللحظة هارباً من هنا، إن لم أكن

<sup>٣٦٦</sup> ١ كو ٤: ١٢.

<sup>٣٦٧</sup> تك ١٩: ٣.

<sup>٣٦٨</sup> ٢ تس ٣: ١٠.

<sup>٣٦٩</sup> إش ٤٤: ١٤.

<sup>٣٧٠</sup> إلى الآن يجب أن نتلوا قانون الإيمان قبل نوال سر المعمودية في طقس جحد الشيطان (م).

مقيداً بمرضي الجسدي وقسوة الشتاء. أنا لا أطلب شيئاً إلا مأوى في هذه الصحراء فقط لبضعة أشهر قليله حتى يأتي الربيع. وإن كان هذا يبدو وقتاً طويلاً، فأنا مستعد للرحيل الآن، لأن "لِلرَّبِّ الأَرْضُ وَمِلْؤُهَا. الْمَسْكُونَةُ وَكُلُّ السَّاكِنِينَ فِيهَا."<sup>٣٧١</sup> فليصعدوا إلى السماء وحدهم.<sup>٣٧٢</sup> لأن المسيح مات من أجلهم وحدهم! هم يمتلكون كل شيء ويفتخرون بكل شيء، فليكن. وأما أنا "فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ."<sup>٣٧٣</sup>

(٤)

بخصوص الأسئلة التي رأيتها مناسبة لتوجهها إلى والمتعلقة بإيماني، فقد سلّمت قداسة الأب كيرلس<sup>٣٧٤</sup> المجل اعترافاً إيمانياً مكتوباً ومجيباً عليها كلها. والذي لا يؤمن به ليس له شركة مع المسيح. إيماني تشهد عليه أذنانكم وأذان أخيكم المبارك زينوبيوس Zenobius الذي إليه -ولك أيضاً - نُرسل جميعنا هنا أطيب تمنياتنا.

<sup>٣٧١</sup> مز ١٠٤:١.

<sup>٣٧٢</sup> هل هذه المقولة مأخوذة من تقريع الملك قسطنطين لنوفاتيان الأسقف في نيقية: [انصب لك سلماً واصعد وحدك إلى السماء] عندما رفض قبول التائبين وعودة المرتدين.

<sup>٣٧٣</sup> غل ٦:١٤.

<sup>٣٧٤</sup> لا نعرف عنه شيئاً.



## الخطاب الثامن عشر

### إلى البابا داماسوس

كُتِبَ هذا الخطاب من القسطنطينية، وهو أقدم الرسائل التفسيرية، وفيه شرح بالتفصيل الرؤيا التي ذُكرت في سفر إشعياء الإصحاح السادس مسهبًا في معانيها الرمزية. ثم تكلم جيروم عن وحدة الأسفار المقدسة.

وجدير بالملاحظة أن الخطاب يوضح مدى ضلالة جيروم وشمولية دراساته. ليس فقط لأنه استشهد بترجمات يونانية متعددة لسفر إشعياء لدعم شروحاته بل لأنه أيضًا كان يرجع إلى النصوص العبرية الأصلية.

بالنسبة للغرب يعتبر جيروم أول من لجأ إلى هذا، حتى المثقفون المتعلمون مثل أغسطينوس لم يتطرقوا إلى دراسة النص العبري السابق للترجمة السبعينية (وكذلك الترجمات اليونانية التي تليها)، واندھشوا من جرأه جيروم في رفضه الترجمات القديمة غير الدقيقة رغم كونها في مكانة مبدجة.

يوضح الخطاب أيضًا الاستقلالية في الأحكام التي دائمًا تميز أعمال جيروم. فحين كُتِبَ هذا الخطاب كان جيروم متأثرًا بشدة بأوريجانوس، ولكن على الرغم من أنه أظهر إعجابًا شديدًا به كمعلّمه، إلا أنه لم يتردد لحظة في نبذ تفسيره كما هو الحال مع السيرافيم الذي كان موقتًا بخطئه.

”فِي سَنَةِ وِفَاةِ عَزْرِيَا الْمَلِكِ، رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ، وَأَذْيَالُهُ تَمَلَأُ الْهَيْكَلَ. السَّرَافِيمُ وَاقِفُونَ فَوْقَهُ، لِكُلِّ وَاحِدٍ سِتَّةُ أَجْنِحَةٍ، بِأَثْنَيْنِ يُعْطِي وَجْهَهُ، وَبِأَثْنَيْنِ يُعْطِي رِجْلَيْهِ، وَبِأَثْنَيْنِ يَطِيرُ. وَهَذَا نَادَى ذَلِكَ وَقَالَ: «قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلءُ كُلِّ الْأَرْضِ». فَاهْتَزَّتْ أَسَاسَاتُ الْعَتَبِ مِنْ صَوْتِ الصَّارِحِ، وَامْتَلَأَ النَّيْتُ دُخَانًا. فَقُلْتُ: «وَيْلٌ لِي! إِنِّي هَلَكْتُ، لِأَنِّي إِنْسَانٌ نَجِسٌ الشَّفَتَيْنِ، وَأَنَا سَاكِنٌ بَيْنَ شَعْبِ نَجِسِ الشَّفَتَيْنِ، لِأَنَّ عَيْنِي قَدْ رَأَتَا الْمَلِكَ رَبَّ الْجُنُودِ». فَطَارَ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنَ السَّرَافِيمِ وَبِيَدِهِ جَمْرَةٌ قَدْ أَخَذَهَا بِمِلْقَطٍ مِنْ عَلَى الْمَذْبَحِ، وَمَسَّ بِهَا فِيَّ وَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ قَدْ مَسَّتْ شَفَتَيْكَ، فَانْتَرَعَ إِثْمُكَ، وَكَفَّرَ عَنْ خَطِيئَتِكَ». ثُمَّ سَمِعْتُ صَوْتِ السَّيِّدِ قَائِلًا: «مَنْ أُرْسِلُ؟ وَمَنْ يَذْهَبُ مِنْ أَجْلِنَا؟» فَقُلْتُ: «هَأَنْذَا أُرْسِلُنِي». فَقَالَ: «اذْهَبْ وَقُلْ لِهَذَا الشَّعْبِ: اسْمَعُوا سَمْعًا وَلَا تَفْهَمُوا، وَأَبْصُرُوا إِبْصَارًا وَلَا تَعْرِفُوا.»<sup>٣٧٧</sup>

”فِي سَنَةِ وِفَاةِ عَزْرِيَا الْمَلِكِ، رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ.“  
قبل أن نبدأ الكلام عن هذه الرؤيا، علينا أولاً أن نبيِّن من عَزْرِيَا هذا، وكم سنة مَلِك، ومن هم معاصريه من الملوك. حقاً فيما يخص صفاته، كما نقرأ في سفر الملوك<sup>٣٧٨</sup> وسفر أخبار الأيام<sup>٣٧٩</sup> فقد كان رجلاً باراً عمل المستقيم

<sup>٣٧٥</sup> نص هذه الرسالة ترجم من:

Charles Christopher Mierow, 33. *Letters of St. Jerome, Vol. 1* (New York, NY: Paulist Press, 1962), p. 79.

<sup>٣٧٦</sup> عام ٧٤٠ أو ٧٣٩ ق. م.

<sup>٣٧٧</sup> إش ١: ٦-٩.

<sup>٣٧٨</sup> ٢مل ١٥-٧ (حيث أن عزريا هو عزيا).

في عيني الرب،<sup>٣٨٠</sup> بنى هيكل وحفر قنوات نمياء، ووفّر كل وسائل الراحة، وانتصر بجدارة على أعدائه، وأكبر دليل على تقواه هو ظهور العديد من الأنبياء في عهده. وطوال فترة حياة زكريا الكاهن الملقب بـ'الفاهم'، كان عُرِّيًّا يرضي الرب ويدخل إلى المقدس بكل توقير.<sup>٣٨١</sup>

ولكن بعدما مات زكريا، انتهك حُرمة الكهنوت مُريدًا أن يقدم الذبيحة بنفسه ولم يكن ذلك بدافع التقوى بل بطياشة. وعندما صرخ اللاويون وباقي الكهنة في وجهه: ألسنت أنت ملكًا لا كاهنًا يا عُرِّيًّا؟ لم يلتفت إلى نداءاتهم، وفورًا ضُرب بالبرص في وجهه<sup>٣٨٢</sup>، تمامًا كما قال الكاهن: "أملأ وُجُوهُهُمُ خِزْيًا"<sup>٣٨٣</sup> لأن هذا الجزء من جسم الإنسان هو ما كان يغطيه الكاهن بصفحة من ذهب،<sup>٣٨٤</sup> وهو الذي أمر الرب في حزقيال أن يسم عليه شكل حرف تاف (ת).<sup>٣٨٥</sup> وداود تهلل به قائلاً: "ارْفَعْ عَلَيْنَا نُورَ وَجْهِكَ يَا رَبُّ."<sup>٣٨٦</sup> وعليه أيضًا ضُربَ الغريب المُعَيَّرُ<sup>٣٨٧</sup> بحجر من مقلاع ومات.

مَلَكٌ عزيا لمدة اثنين وخمسين عامًا<sup>٣٨٨</sup> في الوقت الذي ملك فيه أميوليوس على اللاتين وأجامستر الملك الحادي عشر من ملوك أثينا. بعد

<sup>٣٧٩</sup> أخ ٢٦.

<sup>٣٨٠</sup> أخ ٢٦:٤.

<sup>٣٨١</sup> أخ ٢٦:٥.

<sup>٣٨٢</sup> أخ ٢٦:١٨.

<sup>٣٨٣</sup> مز ٨٣:١٦.

<sup>٣٨٤</sup> خر ٢٨:٣٨.

<sup>٣٨٥</sup> حز ٤:٩. والحرف ת (تاف) وهو آخر حرف في الأبجدية العبرية وهو يعني أيضًا 'علامة' أو 'إشارة'. في العبرية القديمة كان شكل الحرف ת هو شكل علامة الصليب. لكن النص في حزقيال لم يوضح طبيعة تلك العلامة.

<sup>٣٨٦</sup> مز ٤:٦.

<sup>٣٨٧</sup> جليات. اصم ١٧:٤٩.

<sup>٣٨٨</sup> مل ١٥:٢، أخ ٢٦:٣.

## الخطابات

وفاته رأى إشعياء النبي الرؤيا التي نحن الآن بصدد شرحها، أي في السنة التي وُلد فيها روميولوس مؤسس الإمبراطورية الرومانية، كما سوف يكون واضحًا لمن سيرغبون في قراءة سفر أخبار الأيام الذي قُمنّا بترجمته من اللغة اليونانية إلى اللاتينية.<sup>٣٨٩</sup>

(٢)

”فِي سَنَةِ وَقَاةٍ عُرِّيًّا الْمَلِكِ، رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ.“  
بعد سرد القصة تأتي الدلالة الروحية التي من أجلها ذُكرت هذه القصة. فظالما كان الملك الأبرص حيًا وبينما كان في جبروته يهدم في الكهنوت، لم يقدر إشعياء أن ينظر الرؤيا. وطوال فترة حكمه في اليهودية، لم يرفع النبي عينيه نحو السماء، ولم تنكشف أمامه الأمور العلوية، ولم يظهر رب الصباؤوت، ولا سُمعت كلمة ’قدوس‘ الثلاثية كسر الإيمان. لكن عندما مات، كل الأشياء التي سوف نذكرها في حديثنا صارت واضحة وفي نور صاف. شيء من هذا القبيل مكتوب أيضًا في سفر الخروج، فعندما كان فرعون حيًا لم يتخلَّ شعب إسرائيل عن أعمال الطين والطوب والقش ولم يلتجأوا إلى الرب.<sup>٣٩٠</sup> طوال الفترة التي كان فيها فرعون يحكم، لم يطلب أحد منهم إله آبائهم وإسحق ويعقوب.

لكن لما مات تنهَّد بنو إسرائيل كما قال الكتاب: ”وَتَنَهَّدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ

<sup>٣٨٩</sup> المقصود هو تاريخ يوسابيوس القيصري. الأصل اليوناني المكتوب عام ٣٠٣ م مفقود فيما عدا بعض القصص والاستشهادات. ولكن هناك ترجمة أرمنية من القرن السادس، وموجود أيضًا الجزء الثاني من الترجمة اللاتينية التي قام بها جيروم حوالي عام ٣٨٠ م. كلا النسختين خضعتا لإضافات جعلته يمتد حتى السنة العشرين من حكم قسطنطين، وجرروم عمل له مداخل وجعله يغطي الفترة حتى سنة ٣٧٨ م. وتاريخ يوسابيوس هذا يعد أحد المراجع الأساسية التي تعتمد عليها كافة أبحاث التاريخ الإنساني.  
٣٩٠ خر: ١٤.

مِنَ الْعُبُودِيَّةِ وَصَرَخُوا، فَصَعِدَ صُرَاخُهُمْ إِلَى اللَّهِ.<sup>٣٩١</sup> فبحسب الترتيب التاريخي كان مفروضاً أن يلتجئوا إلى الله، وفرعون لم يزل حياً فيبتهجوا بعد وفاته. كذلك أيضاً بينما حزقيال يتنبأ، مات فلطيا ابن بنايا، وبعد موت أكثر الحكام شراً قال: "فَحَرَزْتُ عَلَى وَجْهِي وَصَرَخْتُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَقُلْتُ: آه، يَا سَيِّدُ الرَّبِّ، هَلْ تُفْنِي أَنْتَ بَقِيَّةَ إِسْرَائِيلِ؟"<sup>٣٩٢</sup>

لذلك إن أدركت أن عزيا وفرعون وفلطيا وكل من على شاكتهم من أنواع السلطات التي تقاوم الحياة الروحية، من هنا ستجد أنه ما دامت هذه الأشياء حية لن نرى أو نتنهد أو نتوب. الرسول يقول: "إِذَا لَا تَمْلِكَنَّ الْخَطِيئَةُ فِي جَسَدِكُمْ الْمَائِتِ."<sup>٣٩٣</sup> فمتى ملكت الخطية نبني مدناً للمصريين، ونعمل في التراب والرماد، ونطلب القش بدلاً من القمح ونشيد بالطين عوض الصخر.

### (٣)

ثم، "رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ." دانيال أيضاً رأى السيد جالساً، ولكن ليس على كرسي عالٍ أو مرتفع.<sup>٣٩٤</sup> وفي موضع آخر يعد الصوت الإلهي قائلاً: "إِلَى وَادِي يَهُوشَافَاظَ، لِأَنَّ هُنَاكَ أُجْلِسُ لِأَحَاكِمَ جَمِيعِ الْأُمَمِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ."<sup>٣٩٥</sup> وهذا يرمز إلى يوم دينونة الرب.

من هو خاطئ مثلي يرى الرب جالساً في وادي يهوشافاظ، وليس على تل أو جبل بل في وادٍ، وفي وادي الدينونة. ولكن من هو بار مثل إشعيا يراه

<sup>٣٩١</sup> خر ٢: ٢٣.

<sup>٣٩٢</sup> حز ١١: ١٣.

<sup>٣٩٣</sup> روا ١٤: ٦.

<sup>٣٩٤</sup> دا ٩: ٧.

<sup>٣٩٥</sup> يوثيل ٣: ١٤.

## الخطابات

جالسًا على عرشٍ عالٍ ومرتفع. أيضًا (ويمكن أن نضيف شيئًا آخر)، عندما أتأمله بعين العقل، يملك على العروش، والرئاسات، والملائكة، وكل الطغمت الأخرى،<sup>٣٦٦</sup> سوف أرى عرشه العالي. ولكن عندما أفكر في معاملاته مع جنس البشر وقد قيل مرارًا إنه نزل إلى الأرض من أجل خلاصنا، سوف أعين عرشه منخفضًا وقريبًا جدًا من الأرض.

(٤)

ثم يقول: "رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ، وَأَذْيَالُهُ تَمَلَأُ الْهَيْكَلَ. السَّرَافِيمُ وَأَقْفُونَ فَوْقَهُ." قليلون من قبلي فسروا هذا النص، سواء من اليونانيين أو الرومانيين، قائلين إن السيد الجالس على العرش هو الله الأب، والسيرافيم الإثنتين الواقفين من كل ناحية هما ربنا يسوع المسيح والروح القدس.

أنا لا أتفق مع رأيهم، بالرغم من أنهم على درجة عالية من العلم.<sup>٣٦٧</sup> في الواقع إن تقديم الحق بطريقة أفضل كثيرًا من عرض الأخطاء بأسلوب منمق. وأخالفهم الرأي خاصة لأن يوحنا الإنجيلي كتب إنه لم يكن الله الأب بل المسيح هو من شوهد في هذه الرؤيا. لأنه عندما كان يكلم غير المؤمنين من اليهود، ذكر مباشرة أسباب عدم إيمانهم: "هَذَا لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُؤْمِنُوا. لِأَنَّ إِشْعِيَاءَ قَالَ أَيْضًا: «قَدْ أَعْمَى عْيُونُهُمْ، وَأَغْلَظَ قُلُوبَهُمْ، لِئَلَّا يُبْصِرُوا بِعْيُونِهِمْ، وَدَشَعُرُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَيَرْجِعُوا فَأَشْفِيَهُمْ». قَالَ إِشْعِيَاءُ هَذَا حِينَ رَأَى مَجْدَهُ [الابن الوحيد] وَتَكَلَّمَ عَنْهُ."<sup>٣٦٨</sup>

في هذا السفر يصرح إشعيا معلنًا أن الجالس على العرش يقول "اسمَعُوا

<sup>٣٦٦</sup> أف ١: ٢١، كو ١: ١٦.

<sup>٣٦٧</sup> هنا نرى استقلالية آراء جيروم وهو يقصد نعلامة أوريجانوس (انظر هامش سابق).

<sup>٣٦٨</sup> يو ١٢: ٣٩-٤٠.

سَمْعًا وَلَا تَفْهَمُوا، وَأَبْصُرُوا إِبْصَارًا وَلَا تَعْرِفُوا.<sup>٣٩٩</sup> والآن من يصدر هذا الأمر، كما فهم الإنجيلي، هو المسيح. ومن ثم نذكر أن السيرافيم لا يمكن أن يشير إلى المسيح، حيث أن المسيح هو اجنس على العرش.

وبالرغم من أنه في سفر أعمال الرسل يقول بولس لليهود وهم غير متفقين مع بعضهم البعض: ”إِنَّهُ حَسَنًا كَلَّمَ الرُّوحَ الْقُدُسَ آبَاءَنَا بِإِسْعِيَاءَ النَّبِيِّ. فَأَيُّهَا: أَذْهَبَ إِلَى هَذَا الشَّعْبِ وَقُلْ: سَتَسْمَعُونَ سَمْعًا وَلَا تَفْهَمُونَ، وَسَتَنْظُرُونَ نَظْرًا وَلَا تُبْصِرُونَ. لِأَنَّ قَلْبَ هَذَا الشَّعْبِ قَدْ غَلِظَ، وَبَادَانَهِمْ سَمِعُوا ثَقِيلًا، وَأَعْيُنُهُمْ أَعْمَضُوهَا. لِئَلَّا يُبْصِرُوا بِأَعْيُنِهِمْ وَيَسْمَعُوا بِأَذَانِهِمْ وَيَفْهَمُوا بِقُلُوبِهِمْ وَيَرْجِعُوا، فَأَشْفِيَهُمْ.“<sup>٤٠٠</sup> ولكن بالنسبة إلى فإن تمايز الأقوم لا يسبب مشكلة، طالما أعلم أن كل من المسيح والروح القدس من جوهر واحد، وأن كلام الروح ليس كلامًا آخر غير كلام الابن، وأن الابن لم يصدر أمرًا من دون الروح.

(٥)

ثم ”وَأَذْيَالُهُ تَمَلَأُ الْهَيْكَلِ.“ هيكل الرب الذي هو فوق شوهده مملوء بمجدي. ولكنني غير موقن من أن هيكل الرب الذي هو على الأرض مملوء هو الآخر أم لا. إلا ربما بحسب المرنم حينما قال: ”لِلرَّبِّ الْأَرْضُ وَمِلْؤُهَا.“<sup>٤٠١</sup> وهكذا يمكننا أن نقول نحن أيضًا عن الساكنين على الأرض القائلين، ”وَمِنْ مِلْئِهِ نَحْنُ جَمِيعًا أَخَذْنَا“<sup>٤٠٢</sup> بأنهم مملوون من المجد. هذا البيت تبنيه حكمة المرأة والحماقة تهدمه بيدها،<sup>٤٠٣</sup> وقال عنه أيضًا إشعياء: ”وَيَكُونُ فِي آخِرِ الْأَيَّامِ أَنَّ

<sup>٣٩٩</sup> إيش ٦: ٩.

<sup>٤٠٠</sup> أع ٢٨: ٢٥.

<sup>٤٠١</sup> مز ٢٤: ١.

<sup>٤٠٢</sup> يوا ١٦: ١.

<sup>٤٠٣</sup> أم ١٤: ١.

## اخضابت

جَبَلَ بَيْتَ الرَّبِّ يَكُونُ ثَابِتًا فِي رَأْسِ الْجِبَالِ، وَيَرْتَفِعُ فَوْقَ التَّلَالِ.<sup>٤٠٤</sup>

هذا هو البيت الذي شهد له بولس المذكور سابقًا في موضع آخر بالصوت الإلهي قائلاً: "وَمُوسَى كَانَ أَمِينًا فِي كُلِّ بَيْتِهِ كَخَادِمٍ، شَهَادَةً لِلْعَتِيدِ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِهِ. وَأَمَّا الْمَسِيحُ فَكَابِنٌ عَلَى بَيْتِهِ. وَبَيْتُهُ نَحْنُ إِنْ تَمَسَّكْنَا بِثِقَةِ الرَّجَاءِ وَافْتِحَارِهِ ثَابِتَةً إِلَى النَّهَائَةِ."<sup>٤٠٥</sup> وقال عنه أيضًا لتيموثاؤس: "هَذَا أَكْتُبُهُ إِلَيْكَ . . . كَيْ تَعْلَمَ كَيْفَ يَجِبُ أَنْ تَتَصَرَّفَ فِي بَيْتِ اللَّهِ، الَّذِي هُوَ كَنِيْسَةُ اللَّهِ الْحَيَّةِ."<sup>٤٠٦</sup>

(٦)

ثم، "السَّرَافِيمُ واقِفُونَ فَوْقَهُ، لِكُلِّ وَاحِدٍ سِتَّةُ أَجْنَحَةٍ، بِإِثْنَيْنِ يُعْطِي وَجْهَهُ، وَبِإِثْنَيْنِ يُعْطِي رِجْلَيْهِ، وَبِإِثْنَيْنِ يَطِيرُ. وَهَذَا نَادَى ذَاكَ وَقَالَ: «قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الْأَرْضِ»." نود أن نعرف من هما السيرافيم الواقفان أمام الرب، وما هي ستة الأجنحة التي لكل منهما، والاثنا عشر جناحًا مجتمعان؟ وكيف بجناحين يغطيان وجهه وبجناحين رجليه ويطيران بإثنين حيث إنه قيل إنهما واقفان حول الله؟ وكيف يقفان حوله وهما إثنين فقط؟ بماذا ينادي كل واحد الآخر، وتكرار كلمة 'قدوس' ثلاث مرات؟ كيف يكون البيت الذي فوق ممتلئ بالمجد، والآن الأرض أيضًا كذلك؟

بما أن تلك الأسئلة أثارت سحابة من الغبار ليست بصغيرة، ومن البدء نصطدم بصعوبات في التفسير، لنصل معًا إلى الرب كي ترسل لي أنا أيضًا حجرة من فوق المذبح، وهكذا عندما تُنزع مني كل أدناس آثمِي، ربما

<sup>٤٠٤</sup> إيش ٢٤:٢.

<sup>٤٠٥</sup> عب ٣:٦٥.

<sup>٤٠٦</sup> تي ٣:١٥، ١٤.



يمكنني حينها أولاً أن أتأمل في الأسرار الإلهية، وثانياً أن أخبر بما رأيته.

إن كلمة 'سيرافيم'، كما وجدنا في اللغة العبرية إما أنها تعني: 'وهجاً' أو 'بداة الكلام'، ونحن نتساءل ماذا يمكن أن يكون هذا 'الوهج'؟ يقول المخلص: "جِئْتُ لِأُلْقِي نَارًا عَلَى الْأَرْضِ، فَمَاذَا أُرِيدُ لَوْ اضْطَرَمَّتْ"<sup>٤٧</sup>، والتلميذان اللذان فتح الرب لهما الكتب المقدسة وهما في الطريق مبتدأ من موسى وجميع الأنبياء، وبعدما انفتحت أعينهما عرفاه وقالوا: "أَلَمْ يَكُنْ قَلْبُنَا مُلْتَهَبًا فِينَا إِذْ كَانَ يُكَلِّمُنَا فِي الطَّرِيقِ وَيُوضِحُ لَنَا الْكُتُبَ؟"<sup>٤٨</sup> وفي سفر التثنية قيل عن الرب إنه "نَارٌ آكِلَةٌ"<sup>٤٩</sup>، وأيضاً في حزقيال، "فَنَظَرْتُ وَإِذَا شَبَهُ كَمَنْظَرِ نَارٍ مِنْ مَنْظَرِ حَقْوَيْهِ إِلَى تَحْتِ نَارٍ"<sup>٥٠</sup>، أيضاً، "كَلَامُ الرَّبِّ كَلَامٌ نَقِيٌّ، كَفِضَّةٍ مُصَفَّاءَةٍ فِي بُوْطَةِ فِي الْأَرْضِ، مَمْحُوصَةٍ سَبْعَ مَرَّاتٍ"<sup>٥١</sup>، وهناك نصوص عديدة، إن ذكرتها كلها فسوف نستغرق وقتاً طويلاً.

لذلك، دعنا نسأل، أين هي تلك النار المخلصة؟ بلا شك إنها الأقوال الإلهية الموجودة في الكتب المقدسة، والتي بقراءتها يُنقَى الإنسان من جميع خطاياها. لكن بالنسبة إلى المعنى الثاني 'بداة الكلام' كيف يمكن تطبيقها على الأسفار الإلهية؟ أخشى أنه لو بدأت الشرح سأبدو وكأنني أحمل على النص لا أستند عليه.

بداية الكلام والمحادثات العامة أو كل ما نقوله، هي اللغة العبرية والتي كُتِبَ بها العهد القديم.<sup>٥٢</sup> هذا ما يجبرنا به التقليد العام، لكن بعد بلبلة

<sup>٤٧</sup> لوقا ١٢: ٤٩.

<sup>٤٨</sup> لوقا ٢٤: ٣٢.

<sup>٤٩</sup> تث ٤: ٢٤.

<sup>٥٠</sup> حز ٨: ٢.

<sup>٥١</sup> مز ١٢: ٦.

<sup>٥٢</sup> جيروم يعتقد أن اللغة العبرية لغة الانسان الأول (م).

## الخطابات

الألسنة التي فُرِضت جراء التعدي على الرب ببناء البرج (بابل)، انتشر اختلاف اللغات في سائر الأمم.<sup>١٣</sup> لذلك كل من 'النار' و'بداة الكلام' يمكن أن نراهما في العهدين. وليس غريباً أنهما يقفان حول الرب، طالما أنه من خلالهما يمكن التعرف على الرب.

"لِكُلِّ وَاحِدٍ سِتَّةُ أَجْنِحَةٍ." يُفسَّر فيكتورينوس<sup>١٤</sup> الاثنا عشر جناحاً بأنهم الاثنا عشر تلميذاً. يمكننا أيضاً قبول تفسيرها على أنها الاثنا عشر حجراً التي تم بناء المذبح بها،<sup>١٥</sup> والتي لم تُرفع عليها حديداً.<sup>١٦</sup> أو الاثنا عشر حجر كريم<sup>١٧</sup> المصنوع منها صدرة الكاهن، والتي ذكرها حزقيال ولم يغفل أيضاً عنها سفر الرؤيا.<sup>١٨</sup> أي من هذه التفسيرات صحيح؟ لندع الحكم للرب. وأينها أرجح؟ هذا ما سنوضحه فيما يلي.

## (٧)

"بِاثْنَيْنِ يُعْطَى وَجْهَهُ، وَبِاثْنَيْنِ يُعْطَى رِجْلَيْهِ، وَبِاثْنَيْنِ يَطِيرُ." هما يغطيان ليس وجههما بل وجه الرب. لأنه من يستطيع أن يدرك بدايته، التي هي أزلية من قبل تأسيس هذا العالم (الصغير)، عندما خلق العروش، والرئاسات، والقوات، والملائكة، وكل الأجناد السمائية؟!

"وَبِاثْنَيْنِ يُعْطَى رِجْلَيْهِ،" ليس أرجلهما بل رجلي الرب. لأنه من يعرف حدوده؟ ماذا سيحدث بعد انقضاء هذا الزمن؟ وماذا بعد دينونة البشر؟ وما هي الحياة الآتية؟ وهل سيكون هناك أرض أخرى وعناصر أخرى مرة

<sup>١٣</sup> تكم ١:١١-٩.

<sup>١٤</sup> فيكتورينوس أسقف بيتوفيو، اشتهر ككاتب واستشهد عام ٣٠٤م.

<sup>١٥</sup> امل ٣١:١٨.

<sup>١٦</sup> تث ٥:٢٧.

<sup>١٧</sup> خر ٢٨:١٧-٢١، ٣٩:١-١٤.

<sup>١٨</sup> حز ٢٨:١٣، رؤ ٢١:١٩.

ثانية بعد التغيير أم ستخلق أرض جديدة؟ وشمس جديدة؟ يقول إشعياء  
 "لِيَقْدُمُوهَا وَيُجْبِرُونَا بِمَا سَيَعْرِضُ. مَا هِيَ الْأَوْيَاتُ؟ . . . وَنَعْرِفَ آخِرَتَهَا...  
 أَخْبِرُوا بِالْآيَاتِ فِيمَا بَعْدُ فَتَعْرِفَ أَنَّكُمْ آيَةٌ،"<sup>١٩٩</sup> مشيراً إلى أنه لا يمكن  
 لأحد أن يقول ما كان قبل خلق العالم وما سيكون بعده.

"وَبِاثْنَيْنِ يَطِيرُ." نحن ندرك فقط الأحداث التي بينهما كما تعلنها لنا  
 الأسفار الإلهية، متى خلق العالم، ومتى عمِل الإنسان، وزمن حدوث  
 الطوفان، ووقت نزول الشريعة، وكيف امتلأت الأرض من البشر من إنسان  
 واحد وكيف في ملء الزمان أخذ ابن الله جسداً لأجل خلاصنا. أما كل  
 الأمور الأخرى الباقية التي ذكرناها فيحجبها السيرافيم الإثنان بتغطيتهما  
 وجه الرب ورجليه.

"وَهَذَا نَادَى ذَاكَ،" هذا واضح جيداً أنه من واحد لآخر. فأياً كان ما  
 نقرؤه في العهد القديم سنجدّه أيضاً في العهد الجديد، وما تم جمعه في العهد  
 الجديد مستمد من سلطان العهد القديم، ليس هناك اختلاف أو تناقض  
 بينهما.

"وَقَالَ: قُدُوسٌ، قُدُوسٌ، قُدُوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ (الصاباؤوت)."<sup>٢٠٠</sup> في كلا  
 العهدين تم التعريف بالثالوث. ولكن حتى مخلصنا دعي أيضاً الصاباؤوت،  
 ولناخذ مثلاً هو المزمور الثالث والعشرين (٢٤). إن القوات التي تخدم  
 الرب نادى القوات السمائية الأخرى كي تفتح الأبواب أمام الرب العائد:  
 "افتحوا أيها الملوك أبوابكم" أو بحسب ترجمة أكويلا<sup>٢٠١</sup>: "ارْفَعْنَ آيَّتَهَا  
 الْأَرْتَاجُ رُؤُوسَكُنَّ، وَارْفَعْنَهَا آيَّتَهَا الْأَبْوَابُ الدَّهْرِيَّاتُ، فَيَدْخُلَ مَلِكُ

<sup>١٩٩</sup> إيش ٤١:٢٣، ٢٤.

<sup>٢٠٠</sup> أكويلا: يهودي من القرن الثاني ترجم العهد القديم من العبرية إلى اليونانية ترجمة حرفية.

## الخطابات

الْمَجْدِ.<sup>٤٢١</sup> وبعد ذلك، لأنهم رأوه متخذ جسداً، اندهشوا لهذا السر الجديد، فسألوا: "مَنْ هُوَ هَذَا مَلِكُ الْمَجْدِ؟" وكانت الاجابة التي تلقوها هي: "رَبُّ الْجُنُودِ هُوَ مَلِكُ الْمَجْدِ". وجاءت في العبرية "رب الصباؤوت". يجب أن نعلم أنه في كل مرة استخدم السبعون مترجماً<sup>٤٢٢</sup> تعبير 'رب القوات' *dominum virtutum* أو 'الرب كي القدرة' *dominum omnipotentem* نجد أنها موجودة في العبرية 'رب الصباؤوت'، وأكويلا يترجمها 'رب الجنود'. وكلمة الرب 'יהוה' هنا مكونة من أربعة حروف (Tetragrammaton) خاصة بالله هي: يود (י)، هي (ה)، يود (ו)، هي (ה)، أي المقطع יה (يه) مكرراً مرتين. فعند مضاعفة هذا المقطع يكون الاسم المجيد الذي لا ينطق به.<sup>٤٢٣</sup>

"مَجْدُهُ مِلءُ كُلِّ الْأَرْضِ". قال السيرافيم هذا عن مجيء ربنا المخلص، وعن كيف بلغت الكرازة به إلى كل المسكونة، وخرجت أصوات الرسل إلى أقاصي الأرض.

### (٨)

ثم، "فَاهْتَزَّتْ أَسَاسَاتُ الْعَتَبِ مِنْ صَوْتِ الصَّارِيخِ". نقرأ في العهد القديم أن الرب دائماً ما كان يكلم موسى وهارون عند باب خيمة الاجتماع وكأنه قبل العهد الجديد لم يقدم بعد إلى داخل قدس الأقداس.<sup>٤٢٤</sup> مثلما أُدخِلت الكنيسة فيما بعد قائلة: "أَدْخَلَنِي الْمَلِكُ إِلَى

<sup>٤٢١</sup> مر٢٤:٩.

<sup>٤٢٢</sup> هم الشيوخ الذين قاموا بالترجمة السبعينية نحو عام ٢٥٠ ق م وعددهم ٧٢ شيخاً.

<sup>٤٢٣</sup> هذا هو اسم يهوه أحد أسماء الرب، ولا أحد يعرف كيف ينطقه. ويترجم في السبعينية 'kyrios' أي 'الرب'.

<sup>٤٢٤</sup> خر٩:٣٣.

حِجَالِهِ. ٤٢٥

لذا، عندما نزل ربنا إلى الأرض، أزيل عتب هذا الباب - وهو عائق من نوع ما - من أمام الذين يريدون الدخول. وكل العالم امتلاً بالدخان الذي هو مجد الرب. لكن ما نقرأه في اللاتينية elevatum (يرتفع) نجده في اليونانية sublatum (يزيل). إلا أن عدم وضوح الكلمة يجعلها تحمل كلا المعنيين، وعلمائنا<sup>٤٢٦</sup> ترجموها elevatum بمعنى 'أزيل' (ablato).

”وَأَمْتَلَأَ الْبَيْتُ دُخَانًا.“ كما قلنا سابقاً أن الرب نار. فعندما نزل إلى موسى على جبل سيناء، شوهدت بمجيئه بروق، وكل الجبل امتلاً بالدخان.<sup>٤٢٧</sup> وكما قيل في المزامير: ”يَمَسُّ الْجِبَالَ فَتَدَخَّنُ.“<sup>٤٢٨</sup> ولذلك، حيث إننا لا نقدر أن ندرك كامل جوهر النار، لذا انتشر منها في المكان دخان خفيف من نوع نادر. وكمثال على هذا يمكننا أن نقول: ”لَأَنَّنَا نَعْلَمُ بَعْضَ الْعِلْمِ وَنَتَنَبَّأُ بَعْضَ التَّنَبُّؤِ.“<sup>٤٢٩</sup> و”فَإِنَّنَا نَنْظُرُ الْآنَ فِي مِرْآةٍ، فِي لُغْزٍ.“<sup>٤٣٠</sup>

(٩)

”السَّرَافِيمُ وَاقِفُونَ فَوْقَهُ (حوله)، لِكُلِّ وَاحِدٍ سِتَّةُ أَجْنِحَةٍ.“ أحد اليونانيين، وهو رجل دارس الكتاب المقدس باقتدار،<sup>٤٣١</sup> فسّر السرافيم على أنها قوتان خاصتان يقفان في السماء أمام عرش الرب. يسبحانه ويُرسلان لمهام متنوعة، وخاصة لمن هم في حاجة إلى التطهير و في حاجة (بسبب

<sup>٤٢٥</sup> نش ١:٣

<sup>٤٢٦</sup> أي من قاموا بالترجمة من اليونانية إلى اللاتينية قبل فولجاتا القديس جيروم.

<sup>٤٢٧</sup> خر ١٩:١٦-١٩.

<sup>٤٢٨</sup> مز ١٠٤:٣٢.

<sup>٤٢٩</sup> ١كو ١٣:٩.

<sup>٤٣٠</sup> ١كو ١٣:١٤.

<sup>٤٣١</sup> لا ندرك بالضبط من هو المقصود قد يكون غريغوريوس النيزينزي إن لم يكن أوريجانوس.

## الخطابات

خطاياهم السالفة) إلى عقوبة نوعًا ما. وأيضًا قال: ”بما أنه قيل إن عتب الباب رُفِعَ والبيت قد امتلأ من الدخان، فهذه علامة على خراب هيكل اليهود واحتراق أورشليم بالكامل.“

لكن البعض بينما يوافق على التفسير السابق إلا أنه يمتعض من الجزء الأخير (من التفسير). لأنهم يقولون إن عتب البيت رُفِعَ في الوقت الذي انشق فيه حجاب الهيكل،<sup>٤٣٢</sup> وكل بيت إسرائيل كان متحيرًا بسبب غيمة (الدخان) من الأخطاء عندما، بحسب وصف يوسيفوس المؤرخ،<sup>٤٣٣</sup> سمع الكهنة صوت الأجناد السمائية من المقدس في الهيكل وهي تقول: ”لنرحل من هذا المسكن.“

(١٠)

ولكن يوجد شخص يسرني أنني تعلمت منه الكثير، كان متضلعا في اللغة العبرية حتى أنه بين الكتب اليهود كان يُعَدُّ كلدانيا.<sup>٤٣٤</sup> تناول الأمر من وجهة مختلفة تمامًا. فيقول إنه لا يوجد أحد من الأنبياء غير إشعيا رأى السيرافيم واقفين أمام الرب، ولا نقرأ عن السيرافيم في أي موضع آخر. بالإضافة إلى أن هذا كان إنذارا نبويا لسبي أورشليم ونهايتهم التي تمت على يد نبوخذنصر.

والآن من عزيا، الذي بدأ إشعيا النبوة في عهده، إلى صدقيا،<sup>٤٣٥</sup> آخر من مَلَكْ وهو مَنْ سُبِيَ إلى بابل مَقْلُوعِ العَيْنَيْنِ، يوجد أحد عشر ملكًا. والثاني

<sup>٤٣٢</sup> مت ٥١: ٢٧.

<sup>٤٣٣</sup> أول مرة يذكر جيروم اسم أشهر مؤرخ يهودي في القرن الأول.

<sup>٤٣٤</sup> ربما يقصد اليهودي المنتصر الذي أخبرنا عنه في خطاب ١٢: ١٢٥، وطلب منه أن يعلمه العبرية.

<sup>٤٣٥</sup> مل ٢: ١٧، ٢٤، ١٧: ٢٥، ٤٧: ٣٩، ٧: ٣٩.

عشر يدعى جدليا،<sup>٣٦</sup> الذي أقامه ملك بابل ملكًا على الأرض. وقتله إسماعيل بن نثنيا وسط الوليمة، وقتل الذين معه من بقية بني وطنه.<sup>٣٧</sup> فقال إن هؤلاء الملوك هم الاثنا عشر جناحًا، بأربعة يغطون وجوههم (كما هو مكتوب في بعض النسخ) وبأربعة يطرون وبأربعة يغطون أرجلهم.

وفي الحقيقة أربعة من الاثنا عشر ملكًا كانوا أبرارًا: عزيا، ويوثام، وحزقيا، ويوشيا. هؤلاء وسط الحصار تشددوا وأعطوا المجد للرب: قدوس، قدوس، قدوس، رب الصباؤوت. لكن البعض الآخر بسبب آثامهم يغطون وجوههم، والبعض الآخر بسبب سقوطهم في يغطون أرجلهم. غير أنه قد فسّر اهتزاز عتب الباب والبيت الذي امتلأ دخان (كما قلنا سابقًا) بهلاك أورشليم وحرق الهيكل.

(١١)

وبما أنني قد بدأت بالإشارة إلى رأي هذا الشخص، سوف أتطرق أيضًا إلى تلك النقاط التي لم أشر إليها بعد: فقال بأن الملقط الذي أخذت به الجمرة من فوق المذبح والقم الذي تَطَهَّرَ إشارة إلى عذابات إشعياء نفسه. فلقد حكم عليه بالموت تحت حكم منسى.<sup>٣٨</sup> عندها تطهر فمه بالفعل، حتى أنه قال للرب: "هَانَدًا أَرْسَلْنِي"، وقال: "وَيْلٌ لِي!" (لأنني شعرت بالندم).

آه يا إشعياء! طوال حياة عزيا، لم تُدرك أنك شرير، ولم يُبكتك ضميرك، ولم تتحرك. لكن عندما مات، أيقنت أنك نجس الشفتين، وحينها عرفت أنك غير مستحق لرؤية الرب! يا ليت ضميري يبكتني بالأكثر أنا أيضًا! وبعد أن أندم أكون عندئذ مستحقًا أن أكرز بالله، لأنني أنا أيضًا إنسان

<sup>٣٦</sup> مل ٢٢:٢٥؛ أر ٤:٧.

<sup>٣٧</sup> مل ٢٥:٢٥؛ أر ٤:١٠.

<sup>٣٨</sup> هذه المعلومة ليست من الكتاب المقدس بل بحسب تقليد اليهود ورواياتهم.

## الخطابات

نجس الشفتين وأسكن وسط شعب نجس الشفتين.

إشعياؤه كونه رجلاً باراً، أخطأ في الكلام فقط لذلك شفتاه فقط هي النجسة. أما أنا، فقد سخرت عيني للاشتهاء، ويدي وقدمي يلحقهما الخزي<sup>٤٣٩</sup> وأخطأت بكل أعضائي وليس في شيء طاهر البتة، وبسبب أنني لوّثت ثيابي بعدما اعتمدت بالروح، أحتاج للتطهير بالمعمودية الثانية التي هي بالنار.<sup>٤٤٠</sup>

(١٢)

كلام الوحي ليس بسيطاً كما يظن البعض، فالكثير مستور فيه. الحرف قد يعني شيئاً والروح يعني شيئاً آخر. فعلى سبيل المثال ربنا في الإنجيل ائثرز بمنشفة وصب ماء في مغسل ليغسل أرجل تلاميذه، وقام بخدمة العبد.<sup>٤٤١</sup> لكي يُعَلِّم الاتضاع لكي نخدم بعضنا البعض بدورنا، وأنا لا أنكر هذا ولا أرفضه. ما الذي قاله لبطرس عندما امتنع؟ "إِنْ كُنْتُ لَا أَغْسِلُكَ فَلَيْسَ لَكَ مَعِيَ نَصِيبٌ"، فأجاب بطرس: "يَا سَيِّدُ، لَيْسَ رِجْلِي فَقَطْ بَلْ أَيْضًا يَدَيَّ وَرَأْسِي."<sup>٤٤٢</sup> لأن تلاميذه، كأنا، يمشون على الأرض، لا تزال أرجلهم ملوثة بالخطية. الرب، وقد أوشك على الصعود إلى السموات، يريد أن يجرهم تماماً من الخطايا، حتى تنطبق عليهم كلمات النبي: "مَا أَجْمَلَ عَلَى الْجِبَالِ قَدَمِي الْمُبَشِّرِ، الْمُنْخِرِ بِالسَّلَامِ."<sup>٤٤٣</sup> وحتى يكون بمقدورهم أن يتشبهوا بالكنيسة حين تقول: "قَدْ غَسَلْتُ رِجْلِي، فَكَيْفَ

<sup>٤٣٩</sup> مت ٥: ٣٠، ١٨: ٨، مر ٩: ٤٢-٤٦.

<sup>٤٤٠</sup> بخصوص تلميح جيروم عن خطاياها انظر خطاب (٢).

<sup>٤٤١</sup> يو ١٣: ٤.

<sup>٤٤٢</sup> يو ١٣: ٨.

<sup>٤٤٣</sup> إش ٥٢: ٧.



أَوْسَّخُهُمَا؟<sup>٤٤٤</sup> لذلك، حتى لو تعلق بـرجلهم بعض الغبار بعد القيامة (المسيح) يمكنهم حينها أن ينفضوه ثم يندبنة العاصية كدليل على تعيهم.<sup>٤٤٥</sup> فإلى هذه الدرجة جاهدوا من أجل خلاص الجميع، لليهود كيهود،<sup>٤٤٦</sup> وللأمم كأمة، لذلك تلوثت نعل أقدامهم بدرجة ما.

من أجل هذا، ولنعد إلى النقطة الرئيسة، فإن التلاميذ قد احتاجوا إلى غسل أقدامهم، هكذا إشعياء أيضاً وقد أخطأ فقط في الكلام فتنجست شفاهه. وفي اعتقادي شفاهه نجسة لأنه لم يمنع عزيا عندما اندفع إلى داخل الهيكل، مثلما فعل إيليا بجرأة معلنا أنه غير مستحق.<sup>٤٤٧</sup>

”وَأَنَا سَاكِنٌ بَيْنَ شَعْبٍ نَجِسٍ الشَّقَاتَيْنِ.“ إشعياء من أجل أنه نُحَس في قلبه ودعا الناس ليشهدوا على خطيته، صار مستحقاً للتطهير. أما الناس، لم يظهروا الندم فحسب بل أيضاً لم يعوا بأن شفاههم نجسة، لذا لم يكونوا مستحقين للعلاج المطهر. ولناخذ لنا هذا مثلاً، فعلياً ألا نهتم بأن نكون أبراراً فقط، بل أيضاً لا نخالط الخطاة. لأن النبي اعتبر هذا جزء من خطيته ويؤسه.

### (١٣)

ثم يقول: ”عَيِّي قَدْ رَأَى الْمَلِكَ رَبَّ الْجُنُودِ.“ يقول اليهود،<sup>٤٤٨</sup> إنه من أجل هذا السبب قتل أسلافنا إشعياء. فبرغم أن موسى قد رأى وراء الرب فقط،<sup>٤٤٩</sup> كتب هذا الإنسان يقول إنه بعينه الجسدية رأى رب الجنود. في

<sup>٤٤٤</sup> نش ٣٠٥.

<sup>٤٤٥</sup> مت ١٤:١٠.

<sup>٤٤٦</sup> ١كو ٩:٢٠.

<sup>٤٤٧</sup> ١مل ٢١:١٧-٢٦.

<sup>٤٤٨</sup> في هذا الخطاب انظر فصل (١١).

<sup>٤٤٩</sup> خر ٣٣:٢٠-٢٣.

حين قال الرب عن هذا الأمر: "لَأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَرَانِي وَيَعِيشُ."<sup>٤٥٠</sup>

وسوف نستفسر منهم عن كيف أن الرب يقول في الناموس إنه يستعلن للأنبياء الآخرين في الرؤيا وفي الحلم، لكنه يتكلم مع موسى وجهًا لوجه.<sup>٤٥١</sup> وما معنى الآية التي تقول: "لَأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَرَانِي وَيَعِيشُ." مادام الله قد قال إنه يتكلم إلى موسى وجهًا لوجه. بالتأكيد سوف يجيبون بأن موسى رأى الرب بالقدر الذي تسمح به امكانياته البشرية، وليس كما هو، لكن كما يريد أن يُرى. وعلى هذا نجيب قائلين إن تلك هي الطريقة التي رآه بها إشعياء. ويبقى واقع الأمر وهو إما أن يكون موسى قد رأى الله أو لم يره.

هو رآه. إذن باطلاً قتلتم إشعياء لقوله إنه رآه، لأن الرب يمكن أن يُرى. هو لم يره. إذن احكموا على موسى أيضًا بالموت مع إشعياء، لأنه مدان بنفس الادعاء الكاذب بأنه رأى من لا يُرى. فأى رأي قالوه في تفسير النص الذي يخص موسى، نحن أيضًا سنطبقه على رؤيا إشعياء.

(١٤)

ثم، "فَطَارَ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنَ السَّرَافِيمِ وَبِيَدِهِ جَمْرَةٌ قَدْ أَخَذَهَا بِمِلْقَطٍ مِنْ عَلَى الْمَذْبُوحِ، وَمَسَّ بِهَا فَمِي وَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ قَدْ مَسَّتْ شَفَتَيْكَ، فَانْتَرَعَ إِثْمُكَ، وَكُفِّرَ عَنْ خَطِيئَتِكَ»". الآن علينا أن نفهم السيرافيم بحسب كل التفسيرات التي أشرنا إليها في الأعلى: سواء كنت ترغب في أن تفسرهما على أنهما العهدان القديم والجديد، أو قوتان تبرزان نفسيهما وسط القوات السماوية، أو كإشارة استباقية لرؤية مستقبلية، أي علامة على السبي.<sup>٤٥٢</sup>

لأننا مع الرأي الأول نقول إن ما أرسل إلى النبي هي شهادة البشارة،

<sup>٤٥٠</sup> خر ٢٠:٣٣.

<sup>٤٥١</sup> عدد ١٢:٦، خر ١١:٣٣.

<sup>٤٥٢</sup> الرجوع إلى (٩).

لأنها تحمل في داخلها المجموعتين من الوصايا - أي وصايا العهد الجديد ووصايا العهد القديم - اللتين تشتملان على كلمة الله النقية<sup>٤٥٣</sup> مثل ذراعي الملقاط. فعندما مسّت الشفاه، لُفِظ كل ما كان فيها من جهل (لأننا هكذا فسرنا نجس الشفتين) بواسطة تطهير الحق الذي قبّله.

وبالنسبة إلى الملقط، فهو ما رآه يعقوب في السّلم.<sup>٤٥٤</sup> وهذا هو السيف الماضي ذو الحدين.<sup>٤٥٥</sup> وهو الفيلسان اللذان ألقتهما الأرملة كتقدمة لله.<sup>٤٥٦</sup> وهو الإستار الذي يساوي دينارين الموجود في فم السمكة، ودُفِع كجباية عن الرب وعن بطرس.<sup>٤٥٧</sup> فهذه القوة الثنائية التي تكوّنت من اتحادهما، أمسكت الجمرة وأرسلت إلى النبي. في المزمور المائة والتاسع عشر، عندما تضرع النبي إلى الله قائلاً: "يَا رَبُّ نَجِّ نَفْسِي مِنْ شِفَاهِ الْكُذِبِ مِنْ لِسَانِ غِيْشٍ."<sup>٤٥٨</sup> بعد أن سأل الروح القدس، "مَاذَا يُعْطِيكَ وَمَاذَا يَزِيدُ لَكَ لِسَانَ الْغِيْشِ؟" قيل، "سِهَامَ جَبَّارٍ مَسْنُونَةٍ مَعَ جَمْرِ الرَّتَمِ."<sup>٤٥٩</sup> ونحن نعلم أن هذه الجمرة أُعْطِيَتْ كذلك للنبي، حيث أن جمر الرّتم، التي تجعل اللسان نقيًا من الخطية هي الكلمة الإلهية، التي قيل عنها أيضًا في إشعياء: "لَيْسَ هُوَ جَمْرًا لِلْإِسْتِدْقَاءِ وَلَا نَارًا لِلْجُلُوسِ تُجَاهَهَا. هَكَذَا صَارَ لِكَ الَّذِينَ تَعَبَّتْ فِيهِمْ."<sup>٤٦٠</sup>

(١٥)

<sup>٤٥٣</sup> أم ٣٠:٥.

<sup>٤٥٤</sup> تارك ٤٨:١٢.

<sup>٤٥٥</sup> رؤا ١٦:١.

<sup>٤٥٦</sup> مر ١٢:٤٤-٤٤.

<sup>٤٥٧</sup> مت ١٧:٢٤.

<sup>٤٥٨</sup> مز ١٢٠:٢.

<sup>٤٥٩</sup> مز ١٢٠:٣.

<sup>٤٦٠</sup> إش ٤٧:١٤.

## الخطابات

”ثُمَّ سَمِعْتُ صَوْتَ السَّيِّدِ: «مَنْ أُرْسِلُ وَمَنْ يَذْهَبُ مِنْ أَجْلِنَا؟» فَأَجَبْتُ: «هَائِنْدَا أُرْسِلْنِي». فَقَالَ: «اذْهَبْ وَقُلْ لِهَذَا الشَّعْبِ: اسْمَعُوا سَمْعًا وَلَا تَفْهَمُوا.» هذه هي كلمات الرب، هو يطلب ولا يأمر، من الذي سيرسله ومن سيذهب إلى هذا الشعب. فأجابه النبي المطيع: هَائِنْدَا أُرْسِلْنِي. وبعد تعهده هذا أخذ أمرًا بأن يتكلم: اذْهَبْ وَقُلْ لِهَذَا الشَّعْبِ: اسْمَعُوا سَمْعًا وَلَا تَفْهَمُوا وَأَبْصِرُوا إِبْصَارًا وَلَا تَعْرِفُوا. والباقي كما يتضح من سياق نبوة نفسها. ولقد سمعت مقارنة ليست بسيطة من معلمي اليهودي على هذا النص. وسوف أورد القليل منها حتى يمكنك أن تفهم تفسير هذا الرجل. لقد اعتاد أن يقول: ”لنسأل، أي من موسى وإشعياى فعل الأفضل؟ هل هو موسى الذي قال عندما أرسله الله إلى الشعب: ”اسْمَعِ أَيُّهَا السَّيِّدُ لَسْتُ أَنَا صَاحِبُ كَلَامٍ،“ وأيضًا قال: ”أُرْسِلْ بِيَدِ مَنْ تُرْسِلُ،“<sup>١٦٦</sup> أم إشعياى الذي ظنَّ منه أنه ليس المختار قدَّم نفسه طواعية قائلاً: هَائِنْدَا أُرْسِلْنِي؟“

واعتاد أن يقول: ”أنا لا أعرف هل من الخطورة البحث في فضائل القديسين، والرغبة في ادعاء أمرٍ ما سواء أقل أو أكثر على من كلَّه الرب. لكن بما أنه هو نفسه قال: أُطَلِّبُوا تَجِدُوا. اِقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ.“<sup>١٦٧</sup> لذا يجب علينا نحن أيضًا أن نستفسر عن هذه المسائل. لا بهدف الانتقاص من أي أحد، بل من أجل معرفة ما يعنيه الكتاب المقدس، حتى يمكننا أن نطبِّق وصاياه بأنفسنا.“

وقال: ”هو عصَّد موسى ورفعَه لأنه حكم على نفسه بأنه غير مستحق لخدمة الله عندما تكلم بتواضع ووداعة. أمَّا إشعياى فلأنه قدَّم نفسه باختياره، بدأت مهمته النبوية باللعنات: اسْمَعُوا سَمْعًا وَلَا تَفْهَمُوا وَأَبْصِرُوا

<sup>١٦٦</sup> خر ١٠:٤، ١٣٠.

<sup>١٦٧</sup> مت ٧:٧.

إِبْصَارًا وَلَا تَعْرِفُوا.“

”وبسبب هذا عانى أكثر واعتبره الجميع مجنونًا. لذلك عندما قال له الصوت الإلهي للمرة الثانية: «نَادِ». لم يقل هاتذًا أُرْسِلِنِي، عالمًا بما عاناه جراء التسرع في تقديم نفسه لكنه سأل عمًا سينادي به قائلاً: ”بِمَاذَا أُنَادِي؟“<sup>٤٦٣</sup>

”وهذا مثل ما قيل لإرميا: «خُذْ كَأْسَ خَمْرٍ هَذَا السَّخَطِ مِنْ يَدِي وَاسْقِ جَمِيعَ الشُّعُوبِ الَّذِينَ أُرْسَلُكَ أَنَا إِلَيْهِمْ إِيَّاهَا. فَيَشْرَبُوا وَيَتَرَحَّحُوا وَيَتَجَنَّنُوا مِنْ أَجْلِ السَّيْفِ الَّذِي أُرْسَلُهُ أَنَا بَيْنَهُمْ».<sup>٤٦٤</sup> لَمَّا سَمِعَ النَّبِيَّ هَذَا، لَمْ يَرْفُضْ. وَلَمْ يَقُلْ مِثْلَ مُوسَى: اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ لَسْتُ أَنَا صَاحِبَ كَلَامٍ، أَوْ أُرْسَلُ بِيَدٍ مَنْ تُرْسِلُ. وَلَكِنْ، لِأَنَّهُ كَانَ مَحَبًّا لِشَعْبِهِ وَاعْتَقَدَ أَنَّ الْأُمَّمَ الْمُعَادِيَةَ سَتَهْلِكُ وَتَسْقُطُ إِذَا مَا شَرِبْتَ مِنَ الْكَأْسِ، لَذَا فَقَدْ قَبِلَ بِسُرُورٍ كَأْسَ الْخَمْرِ دُونَ أَنْ يَدْرِي أَنَّ أُورُشَلِيمَ أَيْضًا مِنْ ضَمَنِ هَذِهِ الْأُمَّمِ.“

”أخيراً، ومن بين باقي الأمم، قال: فَأَخَذْتُ الْكَأْسَ مِنْ يَدِ الرَّبِّ وَسَقَيْتُ كُلَّ الشُّعُوبِ الَّذِينَ أُرْسَلَنِي الرَّبُّ إِلَيْهِمْ. أُورُشَلِيمَ وَمُدُنَ يَهُودَا وَمُلُوكَهَا وَرُؤَسَاءَهَا لِجَعْلِهَا خَرَابًا وَدَهْشًا وَصَفِيرًا.<sup>٤٦٥</sup> وبخصوص هذه النبوة - برغم تغير الترتيب في عدة مخطوطات - اسمع ما يقوله في موضع آخر: قَدْ أَفْنَعْتَنِي يَا رَبُّ فَاقْتَنَعْتُ وَأَلْحَحْتُ عَلَيَّ فَغَلَبْتَنِي. صِرْتُ لِلضَّحِكِ كُلِّ النَّهَارِ. كُلُّ وَاحِدٍ اسْتَهَزَأَ بِي.<sup>٤٦٦</sup>

لقد اعتاد معلمي القول: ”ومن الناحية الأخرى، فمن يدافع عن إشعياء

<sup>٤٦٣</sup> إيش ٤٠: ٦.

<sup>٤٦٤</sup> أرم ٢٥: ١٥.

<sup>٤٦٥</sup> أرم ٢٥: ١٧.

<sup>٤٦٦</sup> أرم ٢٠: ٧. جاءت بالفلجاتنا ”لقد خدعتني يا رب فاخذعت.“

## الخطابات

يمكنه أن يقول: لم يثق النبي في جدارته بل في رحمة الله، بعد أن سمع السيرافيم يقول: "إِنَّ هَذِهِ قَدْ مَسَّتْ شَفَتَيْكَ فَانْتُرِعَ إِيْمُكَ وَكُفِّرَ عَنْ حَطِيئَتِكَ." وهو لم يكن يرغب في أن يظل بظلالاً كسولاً، لكنه كرّجّل انعتق من خطاياه، قدّم نفسه طواعية لخدمة الله في حرارة الإيمان.

"لكن موسى اعتذر بحجة أنه نشأ على التعاليم الدنيوية، وضميره ملوث قليلاً بعد قتل المصري<sup>٤٦٧</sup> (حيث قال أيضاً الصوت الخارج من العليقة: "لَا تَقْتَرِبْ إِلَى هَهُنَا. اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ لِأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ.")<sup>٤٦٨</sup> ولأنه علم بأن معركته ستكون ضد السحرة وضد فرعون، الملك الأكثر شراً. لذا قال: "اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ لَسْتُ أَنَا صَاحِبَ كَلَامٍ."<sup>٤٦٩</sup> من أجل هذا نقرأ العبرية تقول: شفتاي ليست محتونة. ونقل السبعون مترجماً المعنى بدلاً من الترجمة الحرفية.

"من هنا يتضح الفهم بأن إشعياء أيضاً، بعد أن اختنتت شفتيه، قدّم نفسه لخدمة الله، أمّا موسى، والذي لم تحتتن شفاه بعد، فقد امتنع عن هذه الخدمة الجليلة."

(١٦)

"اسْمَعُوا سَمْعًا وَلَا تَفْهَمُوا وَأَبْصُرُوا إِبْصَارًا وَلَا تَعْرِفُوا." هذا النص كله كما أشار إليه المخلص في الانجيل، ينطبق على الزمن الذي فيه تفضّل ونزل على الأرض وصنع آياتٍ لم يفهمها اليهود.<sup>٤٧٠</sup>

وحيث إن الشرح كثير الأوجه يستمر حتى نهاية الإصحاح، ونظرًا لأننا

<sup>٤٦٧</sup> خر ١١: ١٥.

<sup>٤٦٨</sup> خر ٣: ٥.

<sup>٤٦٩</sup> خر ٤: ١٠.

<sup>٤٧٠</sup> مت ١٣: ١٤؛ مر ٤: ١٢؛ لو ١٠: ٨؛ يو ١٢: ٣٩؛ ٢٥: ٢٨-٢٥؛ رو ١١: ٨.

قد ملأنا الألواح الشمعية بكلماتنا، لنكتف إذن بهذا القدر.<sup>٤٧١</sup> لأن الحديث الذي أمليه دون أن يُنقَح بقلم المرء نفسه لن يكون فظًا في حد ذاته، لكنه أكثر ازعاجًا متى تضاعف السأم منه بسبب الإطناب. ولأن آلام العين تُعدِّبنا، فنحن حاضرون فقط بآذاننا ولساننا.

### الجزء الثاني<sup>٤٧٢</sup>

(١٧)

تقول السبعينية، "فَأرسل إِلَيَّ وَاحِدٌ (unum) مِنَ السَّرَافِيمِ." أما ترجمة اكويلا وثيودوتيون تقول، "فَطَارَ إِلَيَّ وَاحِدٌ (unum) مِنَ السَّرَافِيمِ."<sup>٤٧٣</sup> وترجمة سيماخوس تقول: "وواحد (unus) من السيرافيم طار إليّ." كل يوم يُرسل الساروف إلينا، وكل يوم تتطهر شفاه الذين يثنون قائلين، وَيُلِّ لي! (لأني أشعر بالندم). ومتى يتحررون من خطاياهم، يُعدُّون أنفسهم لخدمة الله.

لكن بخصوص استعمال كلمة "طار" بدلاً من كلمة المفسرين الأخرى "أرسل" فهي تُفهم على أنها [تشير إلى] سرعة مجيء كلمة الرب إلينا نحن المعتبرين مستحقين للانضمام إليه. وهناك اختلاف من جهة الجنس أيضًا فكل من السبعينية وأكويلا وثيودوتيون قد جعلوا كلمة سيرافيم

<sup>٤٧١</sup> من أسلوب هذه الفقرة يبدو واضحًا أن هناك توفيقًا مفاجئًا حدث نهاية الجزء الأول من الخطاب ١٨.

<sup>٤٧٢</sup> هنا يتغير أسلوب التفسير حيث يعتمد بالأكثر على المقارنة بين ترجمات النص (م).

<sup>٤٧٣</sup> إش ٦:٦. كل من ثيودوتيون وسيماخوس وترجم الاسفار العبرية إلى اليونانية، ترجمة ثيودوتيون ترجع إلى نحو عام ١٨٠م وسيماخوس ٢٠٠م. وكل من ترجمات أكويلا وسيماخوس والسبعينية وثيودوتيون موجودة في العمود الثالث والرابع والخامس والسادس على التوالي في الهكسابلا الشهيرة التي جمَّعها أوريجانوس نحو عام ٢٥٠م. والعمود الأول من الهكسابلا يشمل النص اليهودي بحروف يهودية، أما العمود الثاني فيشمل النص العبري ولكن بحروف يونانية.

## الخطابات

محايدة neuter، أمّا سيماخوس فجعلها مذكراً. وهو أمر غير مقبول أن يكون هناك أنواع من الجنس عند خدام الله. حيث إنه حتى الروح القدس نجده مؤنثاً بحسب العبرية ruach، ومحايداً في اليونانية to pneuma، ومذكراً في اللاتينية spiritus.

إذاً يجب أن ندرّك أنه عندما يكون هناك حديث حول المذكور أعلاه [أي كلمة السيرافيم] وكتب شيء بصيغة مذكر أو المؤنث، فهذا ليس إشارة عن الجنس كما يظهره صضلاح نغمة. لأن الله نفسه، غير المرئي وغير الفاني، يعبر عنه في كل نغمة تقريباً بصيغة المذكر، إذ إن الجنس لا ينطبق عليه.

من يتجرؤون ويقولون في صلواتهم وقرابينهم: "أنت الجالس على الشيروبيم والسيرافيم." يخطئون خطأ غير مقصود. لأنه مكتوب أن الله جالس على الشيروبيم فقط كما يقول الكتاب، "يَا جَالِسًا عَلَى الْكُرُوبِيمِ أَشْرِقْ."<sup>٤٧٤</sup> لكن لم يقل الكتاب إن الله يجلس على السيرافيم. بل حتى أننا لا نجد في كل الأسفار أي ذكر للسيرافيم الواقفين حول الله إلا في هذا النص.

(١٨)

تقول السبعينية: "وَيَبِيدِهِ جَمْرَةٌ قَدْ أَخَذَهَا بِمِلْقَظِ (forcipe) مِنْ عَلَى الْمَذْبُوحِ وَمَسَّ بِهَا فَمِي." ونقرأها في أكويلا: "وَيَبِيدِهِ حِصَاةٌ قَدْ أَخَذَهَا بِمِلْقَظِ (forcipe) مِنْ عَلَى الْمَذْبُوحِ وَمَسَّ بِهَا فَمِي." وتقول ترجمة ثيودوتيون: "وَيَبِيدِهِ حِصَاةٌ قَدْ أَخَذَهَا بِمِلْقَظِ (forcipibus) مِنْ عَلَى الْمَذْبُوحِ وَمَسَّ بِهَا فَمِي." أمّا سيماخوس: "وَيَبِيدِهِ حِصَاةٌ فِي الْمِلْقَظِ قَدْ أَخَذَهَا مِنْ عَلَى الْمَذْبُوحِ وَحَمَلَهَا إِلَى

<sup>٤٧٤</sup> من ٨٠:١.



فَمَعِي.

بالنسبة إلى القصة، يظهر أن الله جالس في هيكل أورشليم، وأمامه (بحسب السبعينية) تؤخذ جمره من المذبح لأجل إشعياء؛ أي من على مذبح البخور أو من مذبح كل التقدّمات المحروقة. أمّا فيما يتعلق بالتفسير الروحي، فتلك النار أرسلت إليهم والتي لم يستطع إرميا احتمالها.<sup>٤٧٥</sup> عندما اخترقت مخابئ أرواحنا السرية، تُصهرنا وتُطهرنا فتتغيّر من الإنسان العتيق إلى الجديد، حتى نستطيع أن نصرخ هاتفين: فَأَحْيَا لَأَنَا بَلِ نِعْمَةُ اللَّهِ، التي

فِي.<sup>٤٧٦</sup>

وبحسب المفسرين الآخرين، يجب أن نفهم الملقط أيضًا (على الرغم من أنه موجود دائمًا ضمن عدة الكهنة) على أنه نِعَمَ اللَّهِ المتنوعة، التي بها في أزمنة مختلفة وبطرق متعددة، تكلم الله قديمًا مع الآباء بواسطة الأنبياء.<sup>٤٧٧</sup> لأنه في العبرية تأتي كلمة حصة *pebble* بدلًا من جمره *a live coal*، كما تتفق باقي الترجمات على ذلك. ويبدو لي أن كلمة حصة تشير إلى الكلمة الإلهية؛ لأنه كما أن الحصة نوع من الحجر شديد الصلابة ومستدير وناعم بسبب نقاوته الكاملة. هكذا هي كلمة الله، والتي لا يمكن أن تطوّعها تناقضات الهراطقة والمضادين؛ لذا تسمى حصة.

بهذا النوع من الحجر ختنت صفورة ابنها.<sup>٤٧٨</sup> وبها ينقي يسوع شعبه من خطاياهم.<sup>٤٧٩</sup> وفي سفر الرؤيا وعد الرب الذي يغلب بأنه سيُعطي حصة

<sup>٤٧٥</sup>أر.٢٠:٩.

<sup>٤٧٦</sup>غل ٢:٢٠ ("فَأَحْيَا لَأَنَا بَلِ الْمَسِيحِ بَحْيَا فِيَّ")، ١كو ١٥:١٠ ("وَلَكِنْ لَأَنَا بَلِ نِعْمَةُ اللَّهِ الَّتِي مَعِي"). راجع كو ٩:٣ ("أَدْ خَلَعْتُمْ الْإِنْسَانَ الْعَتِيقَ مَعَ أَعْمَالِهِ، وَلَيْسْتُمْ الْجَدِيدَ...").

<sup>٤٧٧</sup> راجع عب ١:١.

<sup>٤٧٨</sup> راجع خر ٤:٢٥.

<sup>٤٧٩</sup> راجع يو ٣:١٥.

## الخطابات

عليها اسم جديد مكتوب: "علاوة على أنه يظهر لي أن السبعين شيخًا عندما ترجموها بجمرة anthraka. كانوا يقصدون نفس المعنى مثل الآخرين، وذلك لأن anthrax. ولتي نترجمه carbuncle<sup>٨٠</sup> هي نوع من الحجر البراق المضيء، والذي نراه أيضًا ضمن الأحجار الاثني عشر.

لذلك، سواء قبلنا أن حجر حصاة أو جمرة، ففي الحصاة نرى الكلمة الإلهية حقًا وصلابة، وفي الجمرة نجد العقيدة النقية والبراقة، "كَلَامُ الرَّبِّ كَلَامٌ نَقِيٌّ كَفِضَّةٌ مُصَفَّاءَةٌ فِي بُوْطَةِ فِي الْأَرْضِ مَمْخُوصَةٍ سَبْعَ مَرَّاتٍ."<sup>٨١</sup> وفي موضع آخر نجد: "أَمْرُ الرَّبِّ ظَاهِرٌ يُبَيِّرُ الْعَيْنَيْنِ."<sup>٨٢</sup>

لكنه بحسب قوله: "وَبِيَدِهِ جَمْرَةٌ"، لنفهم ما حدث بواسطة اليد. فكما يقول الكتاب: "الْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ فِي يَدِ (manu) اللِّسَانِ،"<sup>٨٣</sup> وفي المزامير يقول: "يُدْفَعُونَ إِلَى يَدِي (manu) السَّيْفِ."<sup>٨٤</sup> أو أن اليد بالتأكيد كانت مرثية، وهذا التشبه بهيئة البشر كان سببًا في عدم خوف النبي عندما رأى يدًا ممدودة. بالضبط كما رأينا أن الله والملائكة يظهرون في شكل إنسان كي يبعدوا الخوف عن الناظرين.

(١٩)

تقول السبعينية: "وَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ قَدْ مَسَّتْ شَفَتَيْكَ فَانْتَرِعْ إِثْمَكَ وَكُفِّرْ عَنْ خَطِيئَتِكَ.»" وأكويلا: "وَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ قَدْ مَسَّتْ شَفَتَيْكَ فَسَوْفَ يَفَارِقُكَ إِثْمُكَ وَسَوْفَ تُنْسَى خَطِيئَتِكَ.»" وكل الترجمات الأخرى تتفق مع

<sup>٨٠</sup> راجع رؤ٢:١٧.

<sup>٨١</sup> راجع خر١٨:٢٨ وخر١١:٣٩.

<sup>٨٢</sup> مز٦:١٢.

<sup>٨٣</sup> مز٨:١٩.

<sup>٨٤</sup> أم٢١:١٨.

<sup>٨٥</sup> مز١٠:٦٣.

ترجمة أكويلا.

قبل كل شيء يجب أولاً أن تُمس شفاهنا. وبعد أن تُمس سينزع الإثم، وبعد أن ينهزم الإثم، سيكون الله راضياً، لأن من عنده المغفرة.<sup>٤٨٦</sup> فهو بحسب الرسول، "كفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا."<sup>٤٨٧</sup> والآن بعد أن تنقينا من خطايانا، سنسمع صوت الرب يقول: "مَنْ أُرْسِلُ؟" حينها سنجيب: "هَآنَذَا أُرْسِلُنِي."

(٢٠)

تقول السبعينية: "ثُمَّ سَمِعْتُ صَوْتَ السَّيِّدِ: «مَنْ أُرْسِلُ وَمَنْ يَذْهَبُ إِلَى هَذَا الشَّعْبِ؟»" وأكويلا وثيودوتيون وسيماخوس: "ثُمَّ سَمِعْتُ صَوْتَ السَّيِّدِ: «مَنْ أُرْسِلُ وَمَنْ يَذْهَبُ مِنْ أَجْلِنَا؟»" ولقد ناقشنا في موضع سابق المقارنة بين إشعياء وموسى، وكيف رفض واحد الدعوة بينما عانى الآخر الذي قدّم نفسه طواعية من الشدائد.

ولكن حتى لا يبدو أننا نغض الطرف عن أي من تلك العبارات التي يسميها اليهود δευτερώσεις<sup>٤٨٨</sup> والتي يقضون فيها كل تعليمهم. لنتناول الآن باختصار هذه المسألة، لماذا في العبرية مكتوب (بصيغة الجمع): "وَمَنْ يَذْهَبُ مِنْ أَجْلِنَا؟" لأنه في سفر التكوين يقول: "تَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا."<sup>٤٨٩</sup> لذا هنا أيضاً أعتقد أن قوله، "مَنْ يَذْهَبُ مِنْ أَجْلِنَا؟" لا يقصد به إلا الآب والابن والروح القدس. ومن يطع إرادتهم يذهب من أجلهم. وبالنسبة لحقيقة أن شخص المتحدث واحد فهي موجودة، فالله واحد.

<sup>٤٨٦</sup> مز ١٣٠: ٤.

<sup>٤٨٧</sup> ١ يو: ٢: ٢.

<sup>٤٨٨</sup> من الواضح أن الإشارة هنا على التقاليد اليهودية، وكلمة δευτερώσεις هي المرادف لكلمة المشنا *misnah* في العبرية، ومعناها الحرفي هو تثنية أو إعادة. وفي خطاب رقم ١٠١٢١. نبحرنا جيروم بأن اليهود يسمون تقليدهم تثنية

δευτερώσεις.

<sup>٤٨٩</sup> تك ١: ٢٦.

لكن بالنسبة لعبارة "مِنْ أَجْلِنَا"، فهي تدل على تمايز الأقسام *persons*. بالنسبة لمعاناة إشعياء من الشدائد، نقرأ في سفر نشيد الأنشاد صوت العريس وهو يقول لعروسته: "قُومِي يَا حَبِيبَتِي يَا جَمِيلَتِي وَتَعَالِي. لِأَنَّ الشَّتَاءَ قَدْ مَضَى وَالْمَطَرُ مَرَّ وَزَالَ."<sup>٩٠</sup> لأنه عندما تتأصل النفس في هدوء الفكر، ويتأسس إيمانها على الصخر،<sup>٩١</sup> ويضرب بمجذوره في العمق، فكل أمواج التجارب تلاشي بعضها البعض ولا تؤثر على النفس المجربة. لنلاحظ رد النبي على ما قاله الرب: "مَنْ أُرْسِلُ وَمَنْ يَذْهَبُ مِنْ أَجْلِنَا؟" والذي كان، "هَأَنْدَا أُرْسِلُنِي". ثم صمت مثل الباقين، عارفاً أنه لا أحد مستحق للذهاب من أجل الرب ويجعل كل رحلته رحلة الذي أرسله. بعد أن لاحظ الرب اتضاع إشعياء في أنه اعتبر نفسه غير مستحق للجزء الثاني من المهمة أعطى الوصية التالية قائلاً: "أَذْهَبْ".

(٢١)

تقول السبعينية: "هَأَنْدَا أُرْسِلُنِي". وأكويلا وثيودوتيون: "ها أنا موجود أرسلني". وسيماخوس: "ها، أرسلني". إن الله الذي يدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة،<sup>٩٢</sup> والذي قال: "أَهْيَيْهِ الَّذِي أَهْيَيْهِ" ثم قال: "أَهْيَيْهِ أُرْسِلُنِي إِلَيْكُمْ"،<sup>٩٣</sup> هو يثبت من يدعوه، لأن كل ما هو بعيد عنه غير موجود.

بالتالي تجرأ النبي بعد أن تنقى من خطاياها أن يقول: "هَأَنْدَا." (*Ecce ego sum*) بالرغم من أن المخطوطات اللاتينية لا تضيف كلمة *sum* وذلك

<sup>٩٠</sup> نش ٢: ١٠.

<sup>٩١</sup> مت ٧: ٢٤، لوق ٦: ٤٨.

<sup>٩٢</sup> روم ٤: ١٧.

<sup>٩٣</sup> خر ٣: ١٤.

بسبب اختلاف آراء المترجمين، فالبعض يعتقد أننا يجب أن نتأمل في أي من الأنبياء ينطبق عليهم تعبير "ارسال" أو "يرسل" (حيث في اليونانية *apostolus*). وهم يدعون بأن هذا هو الفرق، وهو أن من يُرسلون هم أنبياء ورسول، لكن أولئك الذين لم يُقَلِّ لهم "اذهب"، هم مجرد أنبياء. وهذا إفراط لا لزوم له. وبما أننا ندرس هذه الكلمة، ليكن معلومًا أن اسم رفيق بولس "سيلا"، تعني بالعبرية "رسول". وقد كتب رسائل عديدة بالاشتراك مع بولس، واسم "سلوانس"<sup>٤٩</sup> هو قراءة غير صحيحة لاسم "سيلا" لأننا لم نقرأ عن سلوانس في سفر أعمال الرسل.

---

<sup>٤٩</sup> راجع اتس ١: ١٠٤-١٨

## الخطابات

### الخطاب التاسع عشر من داماسوس إلى جيروم<sup>٤٩٥</sup>

خطاب موجه من البابا داماسوس إلى القديس جيروم وفيه طلب البابا تفسير  
لكلمة (أوصنًا). كتب سنة ٣٨٣ م.

إلى الابن المحبوب جدًا جيروم، داماسوس الأسقف يرسل تحياته في  
الرب.

بينما كنت أقرأ باليونانية وباللاتينية ما كتبه رجال مشتركون معنا في  
الايان الأرثوذكسي في الماضي والحاضر في تفسير الأناجيل، وجدت أنهم لم  
يقدموا تفسيرات مختلفة فحسب، بل أيضًا تتعارض مع بعضها البعض  
وذلك عن عبارة: "أوصنًا لابن داودًا"<sup>٤٩٦</sup>؛

أتمنى أن تكتب، بالدافع المتقد الذي لحماستك المحبوبة - مع الابتعاد عما  
لا يعدو سوى أن يكون مجرد آراء وفرقات غامضة - موضحة المعنى في  
العبرية، بعبارات صريحة، حتى يشكرك ضعفي في المسيح يسوع على هذا،  
كما هو الحال في مواقف أخرى.

<sup>٤٩٥</sup> نص الرسالة مترجم من:

Mierow, 33. Letters of St. Jerome, Vol. 1, p. 103.

<sup>٤٩٦</sup> مت ٢١: ٩. راجع مر ١١: ٤١؛ يو ١٢: ١٣.

## الخطاب العشرون

إلى داماسوس<sup>٩٧</sup>

يجب فيه جيروم على الخطاب السابق للبابا وفيه يكشف خطأ القديس هيلاري أسقف بواتيه. الذي افترض أن كلمة "أوصنًا" تعني "خلاص بيت داود". وقد استمر يوضح هذا في الإنجيل، واستشهد بآية من مز ١١٨: ٢٥، "آه يارب خلص"، وأن معناها الحقيقي هو "خلص الآن". كتب سنة ٣٨٣ م.

(١)

لقد وضع العديدون تفسيرات متنوعة لهذه الكلمة. ومنهم هيلاري<sup>٩٨</sup> الذي منا،<sup>٩٩</sup> في تفسيره لإنجيل متى قال: "إن كلمة 'أوصنًا' تعني في العبرية 'خلاص بيت داود'". لكن في المقام الأول نجد أن كلمة "خلاص" في اللغة العبرية تعني 'فيدوث' *pheduth*، وكلمة "بيت" تعني "بيت" *beth*، إضافة إلى أنه واضح للكل أن اسم "داود" غير متضمن في هذه الفقرة. وافترض آخرون أن "أوصنًا" تعني 'مجد'. ولكن كلمة "مجد" في العبرية هي 'خابود' *chabod*. والبعض الآخر يترجمها 'نعمة'. برغم أن كلمة 'نعمة' تدعى 'ثودا' *thoda* أو 'أنه' *anna*.

(٢)

لذلك، يتبقى لنا الآن أن نترك مائة الجداول الصغيرة من التخمينات ونرجع مسرعين إلى أصل الينبوع الذي استقى منه البشيريون. وحيث إننا لا نستطيع أن نجد في المخطوطات اليونانية أو اللاتينية آيات مثل، "لِئَلَّا يَتِمَّ مَا

<sup>٩٧</sup> نص الرسالة مترجم من:

Mierow, 33. *Letters of St. Jerome, Vol. 1, p. 104.*

<sup>٩٨</sup> المقصود هو القديس هيلاري أسقف بواتيه، له العديد من الكتابات وقد تنيح عام ٣٦٧ م.

<sup>٩٩</sup> "منا" قد تعني أنه مسيحي وليس وثني أو لاتيني وليس يوناني.

قِيلَ بِالْأَنْبِيَاءِ: «إِنَّهُ سَيُدْعَى نَاصِرِيًّا».<sup>٥٠٠</sup> وأيضاً، «مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي».<sup>٥٠١</sup> لذا علينا الآن استخلاص الحق من الرقوق العبرية: كيف حدث أن الحشد المكوّن من الأطفال على وجه الخصوص، هتفوا صارخين كما قال متى: «الْجُمُوعُ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا وَتَبِعُوا نَبِيَّ تَبِعُوا كُنُوزَ مِصْرَ قَائِلِينَ: «أَوْصَنَا لِابْنِ دَاوُدَ! مُبَارَكُ الْآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! أَوْصَنَا فِي الْأَعَالِي!»».<sup>٥٠٢</sup>

غير أن مرقس عبّر عنها كنتي: «الَّذِينَ تَقَدَّمُوا، وَالَّذِينَ تَبِعُوا كَانُوا يَصْرُخُونَ قَائِلِينَ: «أَوْصَنَا مُبَارَكُ الْآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! مُبَارَكَةٌ مَمْلَكَةُ أَبِيْنَا دَاوُدَ الْآتِيَّةُ بِاسْمِ الرَّبِّ! أَوْصَنَا فِي لَأَعَنِي!»»<sup>٥٠٣</sup> ويوحنا كذلك متوافق معه بنفس الأسلوب: «وَكُنَّا يَصْرُخُونَ: «أَوْصَنَا! مُبَارَكُ الْآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! مَلِكُ إِسْرَائِيل!»»<sup>٥٠٤</sup>

لوقا فقط هو من لم يذكر كلمة «أَوْصَنَا» رغم اتفاق وصفه مع باقي العبارة: «مُبَارَكُ الْمَلِكِ الْآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! سَلَامٌ فِي السَّمَاءِ وَتَحْدٌ فِي الْأَعَالِي!»<sup>٥٠٥</sup> لذلك كما قلت، علينا تدوين الكلمات العبرية نفسها وتحليل آراء كل المفسرين. حتى من خلال دراستها جميعاً، يتمكن القارئ من اكتشاف معناها بنفسه.

(٣)

في المزمور المائة والسابع عشر، حيث نقرأ: «أِهْ يَا رَبُّ خَلِّصْ! أِهْ يَا رَبُّ

<sup>٥٠٠</sup> مت ٢٣: ٢، لقد كتب متى إنجيله بالعبرية (الآرامية).

<sup>٥٠١</sup> مت ٢: ١٥.

<sup>٥٠٢</sup> مت ٢١: ٩.

<sup>٥٠٣</sup> مر ٩: ١١، لكن الفولجاتا لا يوجد بها «باسم الرب».

<sup>٥٠٤</sup> يوح ١٢: ١٣.

<sup>٥٠٥</sup> لو ١٩: ٣٨.



أَنْقِذْ! مُبَارَكُ الْآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ.<sup>٥٠٦</sup> وهي تقرأ بالعبرية كالآتي: أَنَّهُ أَدُونَاي هَوْشَعَنَّا، أَنَّهُ أَدُونَاي أَشْلِيَانَّهُ، بَارُوخ أَبَا بَاشِيمِ أَدُونَاي.

*anna adonai, osianna, anna adonai, aslianna; baruch abba basem adonai.*

أكويلا وسيماخوس وثيودوتيون والترجمة الخامسة<sup>٥٠٧</sup> (كيلا يظهر أننا نَعْبِرُ أي شيء في اللاتينية) تترجم كالتالي: ὦ Κύριε, σῶσον δὴ, ὦ Κύριε, εὐλόδωσον δὴ. εὐλόγημένος ὁ ἐρχόμενος ἐν ὀνόματι Κυρίου

الترجمة السادسة فقط حتى الان هي الوحيدة المتفقة مع السبعينية، فحيث دَوَّنَ الآخرون ὦ δὴ، نجدها هنا مكتوبة ὦ. وكلمة 'أوصي أَنَّهُ' أو 'هوشعنا' *osianna* والتي نقولها بالخطأ 'أوصنَّا' *osanna* عن جهل، وتعني 'خَلَّصْ' أو 'جعله آمناً' معروفة عند جميع المفسرين. والسؤال الآن هو ماذا تعني كلمة 'أَنَّهُ' *anna* بمفردها دون إضافة كلمة 'خلاص'. يجب التأكد من أنه في هذا النص تم استخدام كلمة 'أَنَّهُ' ثلاث مرات، وأن كلمة 'أَنَّهُ' في الاستخدام الأول والثاني كتبت بنفس الأحرف: ألف، نون، هه. أمَّا في الاستخدام الثالث فقد كتبت هه، نون، هه (ههته). لذلك سيماخوس، الذي اتفق مع ترجمة الجميع في المزمور ١١٧، ترجم ما جاء في المزمور ١١٥: "أِه يَا

<sup>٥٠٦</sup> مز ١١٨: ٢٥.

<sup>٥٠٧</sup> الترجمة الخامسة *quinta editio*: في مقدمة جيروم لترجمة عظمتين (نحو عام ٣٨٣م) على نشيد الأنشاد لأوريجانوس والتي أرسلها إلى البابا داماسوس، ذكر ترجمات كل من السبعينية وأكويلا وسيماخوس وثيودوتيون من الاسفار العبرية، "وأخيراً الترجمة الخامسة، التي أخبرنا [أوريجانوس] أنه وجدها على ساحل بالقرب من أكتيوم *Actium*. وفي الفقرات التالية من هذه الرسالة يذكر جيروم الترجمة السادسة *sexta editio*، وهي أيضاً مجهولة. ذكر يوسابيوس (*Hist. eccl.* 6.16.2 f.) عن أوريجانوس قوله إنه وجد الترجمة الخامسة في نيكوبوليس، بالقرب من أكتيوم، وكما كتب في الهكسابلا عن سفر المزامير أن الترجمة السادسة *sexta* والسابعة *septima* التي استخدمهما وجد واحدة في جرة فخارية بالقرب من أريحا. وقال إبيفانيوس (*De mens. et pond.* 14 f.) أن الترجمة الخامسة اكتشفت في بعض الجرار بالقرب من أريحا والسادسة في بعض الجرار في نيكوبوليس.

Cf. the remarks and additional references cited by R. P. Lawson. ACW 26.359 f.

## الخطابات

رَبُّ نَجِّ نَفْسِي،<sup>٥٠٨</sup> بما يلي: "أتوسل إليك يارب نج نفسي." وذلك كي يقدم لنا فهمًا أوضح.

بالإضافة إلى أن ما ترجمته السبعينية بحرف ω، وسيماخوس بعبارة 'أتوسل إليك' (obsecro). في حين ترجمها أكويلا وباقي المترجمين إلى ω δῆ نجد أنها في العبرية تُكْتَب anan. لكن تُكْتَب بحرف ألف في البداية وليس بحرف هه. ومن هنا نلاحظ أنه لو أن كلمة 'أنه' anna تبدأ بحرف الألف فهي تعني "أتوسل إليك" (obsecro)، أمّا لو بدأت بحرف هه، فهي تكون علامة عطف أو صيغة تعجب وهي تترجم باليونانية δῆ كما توجد في العبارة σωσον δῆ، والتي ليس لها معنى في اللاتينية.

(٤)

لكن لأن هذه النقاط الدقيقة والمعنى الباطني لهذا النوع من النزاع يُنْقَرُّ القارئ على اعتبار بربرية كل من لغتنا وآدابنا، لذا فقد لجأت إلى شرح موجز. وسوف أتكلم عن المزمور ١١٧، والذي هو نبوءة واضحة عن المسيح وعادة ما يُقرأ في مجامع اليهود. ولهذا فقد كانت هذه الآيات معروفة للناس جيدا حيث تم اختيارها لأن الموعود به ليخلص إسرائيل سوف يأتي من نسل داود. كما قال داود: "الْحَجْرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّائِيَةِ. مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ كَانَ هَذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا. هَذَا هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي صَنَعَهُ الرَّبُّ. نَبْتَهِّجُ وَنَفْرَحُ فِيهِ. آه يَا رَبُّ خَلِّصْ! آه يَا رَبُّ أَنْقِذْ! مُبَارَكُ الْآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ. بَارَكْنَاكُمْ مِنْ بَيْتِ الرَّبِّ. الرَّبُّ هُوَ اللَّهُ وَقَدْ أَنَارَ لَنَا."<sup>٥٠٩</sup>

من أجل ذلك أيضًا روى البشيريون أن الفريسيين والكتبة قد غضبوا؛

<sup>٥٠٨</sup> مز ١١٦: ٤.

<sup>٥٠٩</sup> مز ١١٨: ٢٢-٢٧.

وذلك لأنهم رأوا الشعب قد فهم أن نبوءة المزمور قد تحققت كاملة في المسيح. ولأن الأطفال كانوا يهتفون: "أوصنَّا لابن دَاوُد!"<sup>٥١</sup> فقالوا له: "أَتَسْمَعُ مَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ؟" فأجابهم يسوع قائلاً: "أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ: مِنْ أَفْوَاهِ الْأَطْفَالِ وَالرُّضْعِ هَيَّاتَ تَسْبِيحًا؟"<sup>٥٢</sup> وهكذا أكد مزمور ١١٧ ما أعلن في مزمور ٨.

بالإضافة إلى ما هو يسير شرحه، نجد أن "مُبَارَكُ الْآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ"، متفق عليها عند كل البشيريين. لكن فيما يخص كلمة 'هوشعنا' أو 'أوصنَّا' *osianna*، فلأنهم لم يستطيعوا ترجمة المصطلح - كما هو الحال أيضًا في مصطلح 'الليلويا' و'آمين' وكلمات أخرى عديدة - كتبوا الكلمة العبرية نفسها 'أوصنَّا' *osianna*.

لكن لوقا، الذي كان الأكثر إلمامًا باليونانية بين البشيريين<sup>٥٣</sup> - لأنه كان طبيبًا وكاتب الإنجيل باليونانية - فلأنه رأى عدم إمكانية ترجمة المعنى الاصطلاحي للكلمة، وجد أنه من الأفضل إغفالها عن أن يكتب شيئًا يثير التساؤل في عقل القارئ.

### (٥)

وباختصار، فكما يوجد عندنا في اللاتينية صيغ تعجب، فنحن نقول عند الشعور بالارتفاع *va* وعند الاعجاب *papae*، وعند الحزن *heu*، وعندما نرغب في فرض الهدوء نضم أسناننا ونحصر زفيرنا ثم نخرجه مصدرًا صوتًا *ssst*. كذلك في العبرية، فلدى لغتهم أيضًا خصوصياتها من صيغ التعجب. لذلك عندما يريد اليهود أن يعبروا عن الإلحاح في طلبهم إلى

<sup>٥١</sup> مت ٢١:١٥.

<sup>٥٢</sup> مت ٢١:١٦، مر ٨:٢.

<sup>٥٣</sup> يؤكد جيروم هنا على بلاغة اللغة اليونانية في إنجيل لوقا وسفر الأعمال مقارنة بباقي كتابات الآباء الرسل.

## الخطابات

الرب، يكتبون كلمة تدل على 'تَضَرُّعٌ قَائِنِينَ': أَنَّهُ يَا رَب *anna domine*، والتي ترجمتها السبعينية: "يَا رَب" O LXXXI.

وتبعًا لذلك فكلمة 'وصي' *os* تترجم "خَصَّصَ" و"أَنَّهُ" هي صيغة تفيده التوسل. فإن رغبت في دمج نكمتين مع بعضهما، سوف تقول 'أوصي أَنَّهُ' *osianna* أو كما ننطقها "وصدًا" *osanna*، بحذف الحرف اللين الأوسط، تمامًا كما اعتدنا أن نفعل في الشعر، فعندما نقرأ *mene incepto desistere victam*،<sup>٥٣</sup> نقرأه *men incepto* - لأن حرف 'a' الألف<sup>٥٤</sup> *Aleph*، أول حرف في الكلمة التالية، يقابل الحرف الأخير من الكلمة الأولى لذا يدغمه.

تبعًا لذلك - عودة إلى المسألة الأصلية - عندما نقرأ في اللاتينية:

*o domine, salvum fac, o domine, bene conplace; benedictus, qui venti in nomine domini,*

آه يَا رَبُّ حَلِّصْ! آه يَا رَبُّ أَنْقِذْ! مُبَارِكُ الْآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ.<sup>٥٥</sup>

يمكننا، تماشيًا مع المعنى في العبرية، أن نقول:

*obsecro domine, salvum fac, obsecro domine, prospera, obsecro; benedictus, qui venit in nomine domini.*

برغم أنه مكتوب *salvum fac* إلا أننا يمكننا أن نقرأ بين السطور "شعبك إسرائيل" أو بصورة أعم، "العالم".

<sup>٥٣</sup> الاقتباس من فيرجيل *Aen. 1.37*.

<sup>٥٤</sup> حرف الألف *Aleph*: هو أول حرف في ابجدية اللغات السامية التي هي الفينيقية، والعبرية، والعربية، والآرامية، والفارسية، والسريانية. (م)

<sup>٥٥</sup> مز ١١٨: ٢٥.

أخيراً، متى الذي كتب إنجيله بالعبرية قالها هكذا: *osianna barrama*، أي "أوصنا في الأعالي!"<sup>١١٦</sup> لأنه عندما وُلد المخلص، عمّ الخلاص حتى بلغ السماء، أي؛ في الأعالي، فالسلام لم يأت على الأرض فقط بل في السماء أيضاً، فالآن توقّف أخيراً القول: "رَوِيَ فِي السَّمَاوَاتِ سَبْنِي."<sup>١١٧</sup>

لديك الآن شرح مؤقت كتبته بإيجاز واختصار، على قدر استطاعتي. لكن لتعلم غببتكم أن الدراسة من هذا النوع، لا يجب أن يسأم منها القارئ؛ لأننا نحن أيضاً قد سمعنا حكايات غير صحيحة لحل المسألة بكلمة واحدة تماماً كما أوضحنا ما فعله الآخرون. لكن يجب علينا بذل الجهد في سبيل الحق وتكليف آذاننا للاستماع إلى اللغات الأجنبية، أفضل من اختراع معنى من لغة الآخرين.

<sup>١١٦</sup> مت ٢١:٩.

<sup>١١٧</sup> إش ٣٤:٥.

## الخطابات

### الخطاب الحادي والعشرون

إلى البابا داماسوس<sup>٥١٨</sup>

في هذا الخطاب بحسب طلب البابا داماسوس قَدَمَ جِروم شرحًا دقيقًا ومفصلاً  
لمثل الابن الضال (لوه: ١١: ٣٢). وقد أجاب على عدد من أسئلة البابا. كتب في  
روما نحو عام ٣٨٣ م.

(١)

إن سؤال غبظتكم كن محل نقاش، وطرحكم للأسئلة على هذا النحو  
هو ما فتح محاور للإجابة. حقًا "الحكمة لمن يسأل بحكمة." <sup>٥١٩</sup> أنتم قلتم: من  
هو هذا الأب الذي قَسَمَ معيشته لابنيه كما ذُكر في الإنجيل؟ ومن هما  
الابنان؟ ومن هو الأكبر ومن يكون الأصغر؟ بأي منطق بَدَّر الأصغر  
القسم الذي ناله مع الزواني؟ وكيف كَلَّفَه أمير هذه البلاد برعاية الخنازير  
عندما حَلَّت المجاعة؟ وكيف أكل الخرنوب، ورجع إلى أبيه، ولبس خاتمًا  
وحلَّة، وذُبج له العجل المسمن؟ ومن هو هذا الأخ الأكبر؟ وكيف عند  
عودته من الحقل حقد على استقبال أخيه؟ وباقي الأحداث كما هي مشروحة  
بالتفصيل في الإنجيل.

وأنتم أضفتم بجانب ذلك: "أنا أعلم أن كثيرين قالوا كلامًا كثيرًا عن  
هذا النص وافترضوا أن الابن الأكبر يشير إلى اليهود، أما الأصغر فهم الأمم.  
لكني أتساءل كيف يمكن تطبيق هذا القول على اليهود: "هَا أَنَا أَخْذِمُكَ  
سِنِينَ هَذَا عَدْدَهَا، وَقَطُّ لَمْ أَتَجَاوَزْ وَصِيَّتَكَ، وَجَدِيًا لَمْ تُعْطِنِي قَطُّ لِأَفْرَحَ مَعَ

<sup>٥١٨</sup> نص الرسالة مترجم من:

Mierow, 33. Letters of St. Jerome, Vol. 1, p. 109.

<sup>٥١٩</sup> ربما تلميح لأم ١٧: ٢٨ "الأحمق إذا سَكَتَ يُحْسَبُ حَكِيمًا وَمَنْ صَمَّ شَقِيئُهُ قَهِيمًا؟"

أَصْدِقَائِي. <sup>٥٢٠</sup> هذا بالإضافة إلى: ”يَا بُنَيَّ أَنْتَ مَعِيَ فِي كُلِّ حِينٍ، وَكُلُّ مَا لِي فَهُوَ لَكَ.“ <sup>٥٢١</sup> لكنك تقول: ”إن أردنا أن نجعل المثل يشير إلى البار والخطيء، فلا يصح مطلقاً أن نقول إن البار يتضايق لخلاص الآخرين بخاصة أخوه. لأنه لو كان الموت قد دخل إلى العالم بحسد إبليس، <sup>٥٢٢</sup> ومن معه يكونون على شاكلته، فمثل هذا الحسد الشديد لا يتناسب إطلاقاً مع صفات الإنسان البار، حتى يظل خارجاً معترضاً بعناد. وبسبب تملك خطية الحسد عليه، يصبح هو الوحيد الراض للاشترك في فرح البيت.“

(٢)

لذلك، كما اعتدنا في الأمثلة الأخرى والتي لم يفسرها المخلص، أن نتساءل عن سبب ما قيل. كذلك يجب علينا أن نفعل المثل في هذه الحالة. لماذا تكلم الرب بهذا؟ وبسبب أي سؤال جاءت هذه الإجابة؟

لقد تدمر الكتبة والفريسيون قائلين: ”هَذَا يَقْبَلُ خُطَاةً وَيَأْكُلُ مَعَهُمْ“ <sup>٥٢٣</sup> فقد قالت الآية السابقة كمقدمة: ”وَكَانَ جَمِيعُ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ يَدْنُونَ مِنْهُ لِيَسْمَعُوهُ.“ <sup>٥٢٤</sup> لذلك، كل حسدهم كان مصدره هذا؛ أي السؤال لماذا لم يتحاش الرب الكلام والحديث مع أولئك الذين تدينهم وصايا الناموس. هذا ما سجّله لوقا. لكن إنجيل متى قال الآتي: ”وَبَيْنَمَا هُوَ مُتَّكِيٌّ فِي الْبَيْتِ، إِذَا عَشَّارُونَ وَخُطَاةٌ كَثِيرُونَ قَدْ جَاءُوا وَاتَّكَأُوا مَعَ يَسُوعَ وَتَلَامِيذِهِ. فَلَمَّا نَظَرَ الْفَرِّسِيُّونَ قَالُوا لِتَلَامِيذِهِ: «لِمَاذَا يَأْكُلُ مَعَكُمْ مَعَ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ؟» فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعَ قَالَ لَهُمْ: «لَا يَحْتَاجُ الْأَصِحَّاءُ إِلَى

<sup>٥٢٠</sup> لوقا ١٥: ٢٩.

<sup>٥٢١</sup> لوقا ١٥: ٣١.

<sup>٥٢٢</sup> روم ٥: ١٢، صلاة الصلح - القديس الباسيلي.

<sup>٥٢٣</sup> لوقا ١٥: ٢، مت ١١: ٩، مر ٢: ١٦.

<sup>٥٢٤</sup> لوقا ١٥: ١.

## الخطابات

طَيْبِ بَلِ الْمَرْضَى. فَادْهَبُوا وَتَعَلَّمُوا مَا هُوَ: إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لَا ذَيْبِحَةً، لِأَنِّي لَمْ آتِ لِأَدْعُو أَبْرَارًا بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ».<sup>٥٢٥</sup>

وهذا الأسلوب يتوافق مع ما جاء في إنجيل مرقس.<sup>٥٢٦</sup> لهذا كما سبق وقلنا: كل سؤال كان مصدره من الناموس. ولأن هدف الناموس الرئيس هو العدل، لذا فقد كان بلا رحمة، لذلك كل زانٍ أو قاتلٍ أو حانثٍ بقسمه أو - باختصار - كل من هو مذنب بجرم يستوجب الموت، لن يتبرأ بالتوبة. فلقد أمر أن سن بسن وحياة بحياة.<sup>٥٢٧</sup> ونتيجة لهذا، "الْكُلُّ قَدْ زَاغُوا مَعًا فَسَدُوا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا نَيْسَ وَلَا وَاحِدٌ."<sup>٥٢٨</sup> ولكن "حَيْثُ كَثُرَتِ الْخَطِيئَةُ زَادَتِ النَّعْمَةُ جِدًّا."<sup>٥٢٩</sup> و"أَرْسَلَ اللَّهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنْ امْرَأَةٍ،" الذي نقض الحاجز المتوسط<sup>٥٣٠</sup> جاعلاً الاثنين واحداً، ومحا صك الناموس بنعمة الانجيل.

من أجل ذلك قال بولس للكنايس التي كتب لها: "نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنْ اللَّهِ أَبِيْنَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ."<sup>٥٣١</sup> النعمة التي ليست أجرة على سبيل استحقاق، قد مُنحت كهبة. والسلام تصالحنا به مع الله، ولنا الرب يسوع كفارة الذي غفر لنا خطايانا ومحا صك الموت الذي كان علينا، مسماً إياه على الصليب، والرِّيَاسَاتِ وَالسَّلَاطِينِ اشْهَرَهُمْ جِهَارًا، ظَافِرًا بِهِمْ عَلَى

<sup>٥٢٥</sup> مت ١٠: ٩-١٣.

<sup>٥٢٦</sup> مر ١٥: ٢.

<sup>٥٢٧</sup> خر ٢١: ٢٣.

<sup>٥٢٨</sup> مز ١٤: ٣، مقتبسة في رو ٣: ١٢.

<sup>٥٢٩</sup> رو ٢٠: ٥.

<sup>٥٣٠</sup> غل ٤: ٤.

<sup>٥٣١</sup> أف ٢: ١٤.

<sup>٥٣٢</sup> رو ٧: ١.



الخشبة. ٥٣٣

لكن؛ أية رحمة أعظم من أن ابن الله وُلد كابن إنسان، وتحمل طيلة عشرة أشهر حمل،<sup>٥٣٤</sup> منتظرًا وقت الولادة، وُلّف بأقمطة، وخضع لوالديه،<sup>٥٣٥</sup> ومر بمراحل نمو متتابعة، وبعد الإهانات واللطمات والجلد صار لعنة من أجلنا على الصليب، لكي يحررنا من لعنة الناموس<sup>٥٣٦</sup> وأطاع الآب حتى الموت؟ وقد أكمل بالفعل ما قد سبق وصلّى من أجله كشفيع قائلاً: "أَيُّهَا الْآبُ، ... لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ."<sup>٥٣٧</sup> تبعًا لذلك، وصل الأمر لهذه الدرجة، فما كان الناموس عاجزًا عنه،<sup>٥٣٨</sup> حيث لم يتبرر أحد قط تحته، يجب أن تحقّقه رحمته غير الموصوفة. فهو قد دعا العشارين والخطاة إلى التوبة، حتى أنه طلب مجالستهم، حتى يمكنهم أن يتعلّموا أيضًا أثناء ولائهم، ويكون واضحًا أمام قارئ الإنجيل بعناية، كيف أن طعامه وشرابه وخروجه وكل ما فعله قد أدى إلى خلاص الإنسان. ولمّا رأى الكتبة والفريسيون ذلك، قالوا إنه يخالف الناموس، "هُودًا إِنْسَانٌ أَكُولٌ وَشَرِّيبٌ حَمْرٍ، مُحِبٌّ لِلْعَشَّارِينَ وَالْحَطَّاءَةِ."<sup>٥٣٩</sup> حتى أنهم قبل ذلك قد انتهروا الرب مستنكرين أنه يشفي في السبت.<sup>٥٤٠</sup>

لذلك، لكي يمكنه أن يدحض اتهاماتهم هذه بواسطة الرحمة، وضع أمامهم ثلاثة أمثلة؛ واحدًا منهم عن التسعة والتسعين خروفاً الذين تركهم

<sup>٥٣٣</sup> كوز: ١٣.

<sup>٥٣٤</sup> حك: ٢٠٧.

<sup>٥٣٥</sup> لوقا: ١٢: ٥١ و.

<sup>٥٣٦</sup> غل: ٣: ١٣.

<sup>٥٣٧</sup> يوحنا: ١٧: ٢١.

<sup>٥٣٨</sup> روم: ٣: ٨.

<sup>٥٣٩</sup> مت: ١١: ٤٩؛ راجع لوقا: ١٥: ٢٠.

<sup>٥٤٠</sup> مت: ١٢: ١٠.

## الخطابات

على التلال وعن الواحد الذي ضل ثم رجع محمولاً على كتفي الراعي،<sup>٤١</sup> وآخر عن الدرهم الذي فتشت عنه المرأة باجتهاد، وأوقدت سراجاً. وعندما وجدته دعت جيرانها قائلة: "أَفْرَحَنَّ مَعِيَ لِأَنِّي وَجَدْتُ الدَّرْهَمَ الَّذِي أَصْعَتُهُ."<sup>٤٢</sup> والثالث عن الابنين وهو الذي أمرتني بأن أقدم عنه شرحاً موجزاً.

### (٣)

وبالنسبة إلى الحروف والدرهم، مع أنهما يشيران إلى الفكرة ذاتها، فهذا ليس وقت مناقشتها. فقط نكتفي بقول إن هذين المثليين قد قيدا لهذا الغرض: كما أن الملائكة والجيران فرحوا عندما وُجد كل من الحروف والدرهم، كذلك أيضاً عندما يتوب العشارون والخطاة يجب أن يكون هناك فرح لدى جميع الذين لا يحتاجون إلى التوبة.

ومن ثم، فإني مندهش جداً أن ترتليان في كتابه عن التعفف<sup>٤٣</sup> يقاوم التوبة ويستبدل بالقناعة القديمة بدعة جديدة. فهو تمنى أن يصدق هذا؛ أن العشارين والخطاة الذين أكلوا مع الرب هم الوثنيون؛ كما يقول الكتاب: لا يكون في إسرائيل جابي ضرائب.<sup>٤٤</sup> كما لو أن متى العشار ليس حقاً من الختان.<sup>٤٥</sup> والذي لم يجرؤ أن يرفع عينيه نحو السماء عندما صلى مع الفريسي في الهيكل<sup>٤٦</sup> ليس عشاراً من إسرائيل، وكأن لوقا لم يقل: "وَجَمِيعُ الشَّعْبِ إِذْ

<sup>٤١</sup> لوقا ١٥: ٤-٧.

<sup>٤٢</sup> لوقا ١٥: ٩.

<sup>٤٣</sup> وهو كتاب 'التعفف' *De pudicitia* (ACW 28 [1959] 53-125) قال عنه W. P. Le Saint (ACW 28.41) "أحد أعنف مقالات ترتليانوس المونتانية. حماسي ومتعصب وبه هجوم حاد على عقيدة وتلمذة الكنيسة الأرثوذكسية."

<sup>٤٤</sup> تلميحاً لما جاء في تث ١٩: ٢٣.

<sup>٤٥</sup> راجع مت ٩: ٩؛ مر ٢: ١٤؛ لوقا ٥: ٢٧.

<sup>٤٦</sup> راجع لوقا ١٨: ١٣.

سَمِعُوا وَالْعَشَارُونَ بَرَّرُوا اللَّهَ مُعْتَمِدِينَ بِمَعْمُودِيَّةِ يُوَحَنَّا.<sup>٥٧٧</sup> أو أنه كان يمكن أن يكون مقبولاً أن الوثني دخل الهيكل أو أن الرب أكل مع الوثنيين! لأنه كان حذرًا جدًا من أن يظهر أنه يكسر الناموس.<sup>٥٤٨</sup> وأنه قد جاء أولاً إلى خراف بيت إسرائيل الضالة.<sup>٥٤٩</sup> وأجاب أيضًا على المرأة الكنعانية التي توسلت إليه من أجل شفاء ابنتها: "لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُؤَخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلَابِ." وفي موضع آخر أمر تلاميذه: "إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لَا تَمْضُوا، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لَا تَدْخُلُوا."<sup>٥٥١</sup>

من كل هذا نتعلم أن "العشارين" لم يكونوا كلهم من الأميين، مثلهم مثل كل الخطاة عمومًا، أي إنه كان من الأميين وأيضًا اليهود. ولكن لأن ترتليانوس كان يدافع عن هذا الضلال أمام المرأتين المجنونتين،<sup>٥٥٠</sup> حاول باطلاً أن يبرهن على أن "العشارين" تفهم على أنها تشير إلى الأميين فقط (وذلك لأنه لم يُرد قبول المسيحيين التائبين). لهذا، وحتى لا أطيل القصة، سوف أورد كلمات الإنجيل ذاتها وكمفسر سوف أرفق كل فقرة بتفسيري.

#### (٤)

"إِنْسَانٌ كَانَ لَهُ ابْنَانِ." توجد أمثلة كثيرة تبرهن على أن الله يمكن أن يدعى إنسان، مثل ما يلي: "شَهَادَةٌ رَجُلَيْنِ حَقٌّ. أَنَا هُوَ الشَّاهِدُ لِنَفْسِي، وَكَشَهَدُ لِي الْآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي."<sup>٥٥٣</sup>

<sup>٥٧٧</sup> لوقا ٢٩:٧.

<sup>٥٤٨</sup> راجع مت ١٧:٥.

<sup>٥٤٩</sup> راجع مت ٢٤:١٥-١٥.

<sup>٥٥٠</sup> مت ٢٦:١٥.

<sup>٥٥١</sup> مت ٥:١٠.

<sup>٥٥٢</sup> ربما يقصد بريسكا وماكسيميليا نبيتين المونثانية.

<sup>٥٥٣</sup> يوحنا ١٧:٨-١٨.

## الخطابات

في أحد الأمثلة دُعي راعياً،<sup>٥٥٥</sup> وفي آخر رب بيت.<sup>٥٥٥</sup> في مثل: كان يزرع كرمًا،<sup>٥٥٦</sup> وفي آخر؛ يدعو إلى عرس.<sup>٥٥٧</sup> ومع تنوع المسميات إلا أن المقصود أمر واحد، وهو رفضه لكبرياء اليهود وقبوله لكل التائبين على حد سواء أممًا كانوا أو يهودًا. لكن بالنسبة إلى قوله "لَهُ ابْنَانِ"، فكل الكتاب تقريبًا مليء بدعوة شعبين إلى الأسرار.

(٥)

"فَقَالَ أَصْغَرُهُمَا لِأَبِيهِ: يَا أَبِي أَعْطِنِي الْقِسْمَ الَّذِي يُصِيبُنِي مِنَ الْمَالِ." كل شيء مملوك لله: الحياة، والعقل، والفكر، والكلام. وقد أنعم به علينا كلنا وبالتساوي. كما يقول البشير: "كَانَ الثَّوْرُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُبْنَى كُلُّ إِنْسَانٍ آتِيًا إِلَى الْعَالَمِ."<sup>٥٥٨</sup>

فهو العين اليمنى التي يجب أن تُحفظ من العثرات.<sup>٥٥٩</sup> وسراج الجسد.<sup>٥٦٠</sup> والمنا الذي يجب ألا يوضع في منديل،<sup>٥٦١</sup> أي حياة الراحة والرفاهية، وألا يدفن في الأرض، أي يتبدل بالمشاغل الأرضية.

(٦)

"فَقَسَمَ لَهُمَا مَعِيشَتَهُ." في اللغة اليونانية الصورة حية أكثر:  $\delta\iota\epsilon\iota\lambda\epsilon\nu\ \alpha\upsilon\tau\omicron\iota\varsigma\ \tau\omicron\nu\ \beta\iota\omicron\nu$ . بمعنى؛ أعطاهم حرية الاختيار، واعطاهما

<sup>٥٥٥</sup> مت ١٢: ١٨؛ لو ١٥: ٤.

<sup>٥٥٥</sup> مت ١٢: ١٦-١٧.

<sup>٥٥٦</sup> مت ٢٣: ٢١؛ مر ١٢: ١٢؛ لو ٢٠: ٩.

<sup>٥٥٧</sup> مت ٢٢: ٢٢-١٤.

<sup>٥٥٨</sup> يوا: ٩.

<sup>٥٥٩</sup> راجع مت ٢٩: ٥.

<sup>٥٦٠</sup> راجع مت ٢٢: ٦؛ لو ١١: ٣٤.

<sup>٥٦١</sup> راجع لو ١٩: ٢٠.

سؤل قلبهما، حتى يعيش كل منهما لإرضاء ذاته وليس بحسب وصايا الرب. أي؛ ليس على سبيل الاضطرار بل بإرادة حرة،<sup>٦٢</sup> وذلك حتى تصبح للفضيلة منزلتها، فتكون لدينا ميزة أن نفعل ما نريد، مثل الله، بخلاف باقي الكائنات. ومن ثم تكون دينونة الخطاة عادلة، وينال القديسون والأبرار مجازاة.

(٧)

”وَبَعْدَ أَيَّامٍ لَيْسَتْ بِكَثِيرَةٍ جَمَعَ الابْنُ الْأَصْغَرَ كُلَّ شَيْءٍ وَسَافَرَ إِلَى كُورَةَ بَعِيدَةٍ.“ إن كانت السماء في كف الله، والأرض بين أصابعه،<sup>٦٣</sup> وكما يقول إرميا: ”أَلَعَلِّي إِلَهٌ مِنْ قَرِيبٍ يَقُولُ الرَّبُّ وَلَسْتُ إِلَهًا مِنْ بَعِيدٍ.“<sup>٦٤</sup> وقد قيل أيضًا على فم داود أنه لا يوجد مكان خال منه،<sup>٦٥</sup> فكيف للابن أن يسافر بعيدًا منفصلًا عن أبيه؟

لذا، علينا أن نعي أنه ليس بُعدًا مكانيًا، بل على أساس الحب يمكن أن نكون إيمًا في معية الرب أو متغربين عنه. لأنه كما يقول لتلاميذه: ”وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ.“ وقال أيضًا لمن فضّلوا أن يسيروا وراء رياءهم ولم يستحقوا أن يكونوا مع الرب: ”إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الْإِثْمِ!“<sup>٦٦</sup>

(٨)

وتبعًا لذلك، ترك الابن الأصغر أبيه، مع معيشته، وسافر إلى كورة غريبة.

<sup>٦٢</sup> راجع فل ١٤.

<sup>٦٣</sup> راجع إش ٤٠: ١٢.

<sup>٦٤</sup> أر ٤٣: ٢٣.

<sup>٦٥</sup> راجع مز ٤٤: ١١؛ ١٣٩: ٧-١٢.

<sup>٦٦</sup> مت ٢٣: ٧.

## خضات

هكذا قايين أيضاً، خرج من بين يديّ الربّ وسكن في أرض نود، والتي يمكن أن تعني 'الشروق'. فمن يتردد بعيداً عن الله، تتقاذفه في الحين أمواج هذا العالم وتُزَلّ قدمه.<sup>٥٦٦</sup>

لأنه بعدما ترك نوح شرق وبتعمد عن نور الحقيقي، بنوا بعد ذلك برج آثامهم ضد وجه الربّ. وحينئذٍ أُردو في فضولهم وبأفكار ابتدعها كبرياؤهم، أن يخترقوا مديح السماء مُحَرِّمَةً نَفْسِهَا. ودُعي هذا المكان بابل أي "ببليلة".<sup>٥٦٧</sup>

(٩)

"وَهُنَاكَ بَدَّرَ مَالَهُ بِعَيْشٍ مُسْرِفٍ." الحياة المسرفة ضد الرب. ومحاربة الفضائل تبديد لممتلكات الأب، والافتتان بالمتعة اللحظية، لا يترك مجالاً للتفكير في الشقاء الآتي.

(١٠)

"فَلَمَّا أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ، حَدَثَ جُوعٌ شَدِيدٌ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ." لقد نال من آيبه قدراته، لذا عرف صفاته غير المنظورة من خلال مصنوعاته المدركة.<sup>٥٦٧</sup> وبالتالي يعي الخالق من جمال خليقته. ومن يحجز الحق بالإثم<sup>٥٦٨</sup> ويعبد الأصنام بدلاً من الله، يستهلك خيرات الطبيعة. وبعد أن استنفذها كاملة بدأ في الاحتياج إلى الفضائل وذلك لأنه تخلى عن ينبوع الفضائل.

<sup>٥٦٧</sup> راجع تك:٤:١٦.

<sup>٥٦٨</sup> راجع مز:٧٣:٤٢-٩٤:١٨.

<sup>٥٦٩</sup> راجع تك:١١:٩-١١.

<sup>٥٧٠</sup> راجع روا:٢٠.

<sup>٥٧١</sup> راجع روا:١٨.

”حَدَّثَ جُوعٌ شَدِيدٌ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ.“ كل مكان نَسكن فيه من دون الأب هو موضع جوع، وقفر، وعوز. إضافة إلى أن هذه الأرض هي أرض المجاعة العظيمة μετὰ ἐκτάσεως والتي قال عنها النبي: ”الشَّعْبُ السَّالِكُ فِي الظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا. الجَالِسُونَ فِي أَرْضِ ظِلَالِ الْمَوْتِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ.“<sup>٥٧٢</sup> لكن من الناحية الأخرى، توجد كورة أخرى نمتلكها عن طريق نقاوة القلب حتى في حياتنا الحاضرة، والتي يتمناها الإنسان البار قائلاً: ”آمَنْتُ بِأَنَّ أَرَى جُودَ الرَّبِّ فِي أَرْضِ الْأَحْيَاءِ.“<sup>٥٧٣</sup>

(١١)

”قَابِتَدًا يَحْتَّاجُ. فَمَضَى وَالتَّصَقَ بِوَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ Princes تِلْكَ الْكُورَةِ.“  
بعدما هجر حافظه الذي أنعم عليه بكل ما هو صالح عند أول طلب، التصق برئيس هذا العالم،<sup>٥٧٤</sup> أي الشيطان، أمير الظلام،<sup>٥٧٥</sup> الذي يسميه الكتاب المقدس عدوًّا،<sup>٥٧٦</sup> وقاضي الظلم،<sup>٥٧٧</sup> والتنين،<sup>٥٧٨</sup> والشيطان،<sup>٥٧٩</sup> ومطرقة،<sup>٥٨٠</sup> وَحَجَلَةٌ،<sup>٥٨١</sup> وبليعال،<sup>٥٨٢</sup> وأسدًا زائرًا،<sup>٥٨٣</sup> ولويathan،<sup>٥٨٤</sup> ورؤوس

<sup>٥٧٢</sup> إيش ٩: ٤.

<sup>٥٧٣</sup> مز ٢٧: ١٣.

<sup>٥٧٤</sup> راجع يوحنا ١٤: ٣٠.

<sup>٥٧٥</sup> راجع أف ٦: ١٢.

<sup>٥٧٦</sup> راجع مت ١٣: ٣٩.

<sup>٥٧٧</sup> راجع لوقا ١٨: ٦.

<sup>٥٧٨</sup> راجع رؤ ١٢: ٣.

<sup>٥٧٩</sup> راجع أي ٦: ٨-٨.

<sup>٥٨٠</sup> راجع أرم ٥٠: ٢٣.

<sup>٥٨١</sup> راجع أرم ١٧: ١١.

<sup>٥٨٢</sup> راجع ٢ كو ٦: ١٥.

<sup>٥٨٣</sup> راجع ابط ٥: ٨.

<sup>٥٨٤</sup> راجع أي ٣: ٨.

## الخطابات

التَّانِينِ،<sup>٥٨٥</sup> وألقابًا أخرى عديدة.

ولكن بالنسبة إلى قوله "بِوَاجِدٍ مِنْ أَهْلِ Princes تِلْكَ الْكُورَةِ." فيفهم من ذلك أن هناك (شبهتين) كثيرين يجنون في الهواء، وبخداع الرذيلة ذات الاشكال المتنوعة يأسرون جنس البشر.

(١٢)

"فَأَرْسَلَهُ إِلَى حُقُوبِهِ يَبْرَعَى حَنَازِيرَ." الخنزير هو حيوان قذر، لأنه يسر في القمامة والحماة. وهذه هي حشود الشياطين التي من خلال الأصنام، صنعة الأيدي، تتغذى على دماء الحيوانات ولا تشبع أبدا إلا ببذائح أسمن ألا وهي موت الإنسان نفسه. ولهذا فقد أرسله إلى ممتلكاته أي استعبده، حتى يرعى خنازيره مقدما لها روحه الخاصة.

(١٣)

"وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَمَلَأَ بَطْنَهُ مِنَ الْخُرُوبِ الَّذِي كَانَتْ الْخَنَازِيرُ تَأْكُلُهُ، فَلَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ." وما قاله حزقيال لأورشليم موجهاً: "وَصَارَ فِيكَ عَكْسُ عَادَةِ النِّسَاءِ فِي زِنَاكِ، إِذْ لَمْ يُزَنَّ وَرَاءَكَ، بَلْ أَنْتِ تُعْطِينَ أُجْرَةً وَلَا أُجْرَةَ تُعْطَى لَكَ، فَصِرْتَ بِالْعَكْسِ!"<sup>٥٨٦</sup> نراه محققا في حالة الابن الأصغر.

لقد بدد معيشته في كورة الرئيس، وبعد أن أضاع ثروته، وأرسل إلى الخنازير، أنهكه الاحتياج. إن طعام الشياطين هو السكر والرفاهية والزنى وكل الخطايا. وهي مُقْنَعَةٌ وشهوانية، فهي تدغدغ الحواس بالمتع، وفورا تُثِيرُ الإنسان فيجربها عندما تُعرض عليه. وهذا ما جعل الشاب ينغمس في الإسراف، ومع ذلك لم يشبع. فالمتع دائما ما تسبب جوعا لها، ومتى انغمس

<sup>٥٨٥</sup> راجع مز ٧٤: ١٣.

<sup>٥٨٦</sup> حز ١٦: ٣٤.



فيها المرء لا يشبع.

عندما يخدع الشيطان أحدًا بجيلته ويضع نيره عليه، لا يحرص على ارتكابه المزيد من الرذائل، عارفًا أن هذا الشخص قد مات بالفعل. حتى أننا نرى عبدة الأوثان في فقر مدقع، ومنهكين من الوبس والشقاء. وهؤلاء قد تمت فيهم كلمة النبي القائل: "لِكُلِّ الرَّوَائِي يُعْطَوْنَ هَدِيَّةً، أَمَّا أَنْتِ فَقَدْ أَعْطَيْتِ كُلَّ مُحِبِّكَ هَدَايَاكَ."<sup>٥٨٧</sup>

ويمكننا أيضًا تفسير الخرنوب بطريقة أخرى. طعام الشياطين هو الأغاني الشعرية، والحكمة الدنيوية، واستعراض الأسلوب البلاغي. وهي تُعجب الجميع بطراوتها، لكن عندما تأسر الآذان بالعبارات الفصيحة ذات التناغم الخلاب، تخرق حتى إلى النفس وتكبّل أعماق المشاعر. لكن متى قرئت بأقصى جهد وحماس، لا تقدم لقارئها سوى أصوات فارغة وكلمات طنانة. دون إشباع للحق، أو صحة للاستقامة. والمتحمسون لتلك الأشياء يستمرون في جوعهم للحق، وعوزهم للفضيلة.

مثل هذا النوع من الحكمة نجده موصوفًا في سفر التثنية تحت هيئة المرأة الأسيرة، فالصوت الإلهي يأمر بأنه إذا أراد أي إسرائيلي أن يتخذها زوجة فعليه أن يجعلها صلعاء، يَحْلِقُ رَأْسَهَا وَيُقَلِّمُ أَظْفَارَهَا. ومتى أصبحت طاهرة، تدخل إلى حضن المنتصر.<sup>٥٨٨</sup> فإن أخذنا بالمعنى الحرفي ألن يكون هذا مثيلاً للضحك؟ ومع ذلك فنحن أنفسنا قد اعتدنا أن نفعل هذا عندما نقرأ للفلاسفة، وعندما تقع كتب الحكمة الأرضية في أيدينا. إن وجدنا بها أي شيء مفيد، نستخدمه في عقيدتنا، أمّا لو رأينا ما يخص الأوثان أو المغازلة

<sup>٥٨٧</sup> حز ١٦: ٣٣.

<sup>٥٨٨</sup> راجع تث ٢١: ١٠-١٣.

أو الاهتمام بالأمر النبوية وحتى لا يمكن الاستعانة بها، فهذه نحلقتها ونحکم بصلعها ونقصها كما تم بحرف بشفرة حادة جدًا.

ومن ثم منع الرسول أني شخص من ذلكاء في هيكل الأوثان قائلاً،  
”لَكِنِ انظُرُوا لِلْأَلْأَلِ يَصِيرَ سَنَانِكُمْ هَذِهِ مَعْتَرَةً يَنْصَعَفَاءِ. لِأَنَّهُ إِنْ رَأَى أَحَدٌ  
يَا مَنْ لَهُ عِلْمٌ مُتَّكِنًا فِي هَيْكَلٍ وَثَنٍ فَلَا يَتَّقَوِي صَمِيرُهُ إِذْ هُوَ ضَعِيفٌ حَتَّى  
يَأْكُلَ مَا دُبِحَ لِلْأَوْثَانِ؟ فَيَهْبِكُ بِسَبَبِ عِلْمِكَ الْأَخِ الضَّعِيفِ الَّذِي مَاتَ  
الْمَسِيحُ مِنْ أَجْلِهِ.“<sup>٨٩٠</sup>

ألا يبدو أنه يقول، بكلمات أخرى، لا تقرأ للفلاسفة أو الخطباء أو الشعراء، لئلا تجد راحتك في القراءة لهم؟ دعونا لا نمدح أنفسنا إن كنا لا نصدق تلك الأشياء المكتوبة. لأن ضمير الآخرين يمكن أن يُجرح، ويمكن أن يُظن أننا نوافق على أشياء لأننا لا ندينها ونحن نقرأها. وإلا فما هو الرأي الذي نقبله من الرسول عندما أقر بعلم الرجل الذي يأكل في مذبح وثن ودعاها كاملاً من عرف انه يأكل هذه الأشياء المذبوحة لوثن؟ لا تجعل شفاه المسيحي تنطق قط ”يا جوبيتر كلي القدرة“ أو ”باسم هرقل“ أو ”باسم كاستور“ أو القسم باسم أي من هؤلاء الوحوش وليس الآلهة.

لكن كما هو الحال الآن، فحتى كهنة الله نراهم يقرؤون الكوميديا الهزلية مهينين الأناجيل وأسفار الأنبياء، ويتلون أبيات غزلية من قصائد الرعاة، ويعظمون فرجيل، وبرغبتهم يذنبون فيما يُجبر عليه الأطفال (في مرحلة التعليم). لذا فلنحذر من أن نشتهي الزواج من امرأة أسيرة. ولا نتكئ في ملحمة هيكل وثن. وإن أخذنا مجها، فعل الأقل نظهرها ونحررها من كل الدنس المفرع. حتى لا يعثر الأخ الذي مات المسيح لأجله عندما

يسمع من شفاه مسيحي أغاني مؤلفة لتمجيد الأوثان.

(١٤)

”فَرَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَقَالَ: كَمَ مِنْ أَجِيرٍ لِأَبِي يَفْضُلُ عَنْهُ الْخُبْزُ وَأَنَا أَهْلِكُ جُوعًا“ بحسب إحدى التفاسير، يشير الأجراء إلى اليهود الذين يحفظون وصايا الناموس طلبًا للخيرات الحاضرة فقط. أي إنهم أبرار ورحماء، ليس لأن من اجل البر في حد ذاته أو لفضيلة الرحمة نفسها، بل حتى يضمنوا المجازاة من خصوبة الأرض وطول العمر.

لكن من يرغب في تلك الأمور يكون مُضطربًا أن يطيع الوصايا بدافع الخوف، لئلا يخسر ما يبتغيه بمخالفة ما هو مفروض. إضافة إلى أنه حيث يوجد الخوف لا يكون للمحبة موضع. ”بَلِ الْمَحَبَّةُ الْكَامِلَةُ تَطْرُحُ الْخَوْفَ إِلَى خَارِجٍ.“<sup>٩٠</sup> لأن من يجب أن يطيع الوصايا ليس لأنه مضطربًا خوفًا من العقوبة أو ابتغاءً للمكافأة، بل لأن كل ما أوصى به الرب هو الأصلح. لذلك، يكون المعنى كالتالي: ”كم من يهودي مطيع لوصايا الرب لأجل الخيرات الزمنية فقط، وأنا أهلك جوعًا“

(١٥)

”أَقُومُ وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي.“ كلمة أقوم وصف صحيح، وذلك لأنه في غياب الأب لا يقف المرء مرفوع الرأس. فالصفة المميزة للخاطيء هي الانبطاح، أما البار فالوقوف منتصبًا. فقد قيل لموسى: ”أَمَّا أَنْتَ فَقِفْ هُنَا مَعِي“<sup>٩١</sup> وفي مزمو (١٣٤) ١٣٣: ”هُوَذَا بَارِكُوا الرَّبَّ يَا جَمِيعَ عِبِيدِ الرَّبِّ الْوَاقِفِينَ فِي بَيْتِ

<sup>٩٠</sup> ايو: ١٨.

<sup>٩١</sup> تث: ٣١:٥.

## الخطابات

الرَّبِّ. ٥٩٢“ وهكذا يحث النبي كل من في بيت الرب أن يقفوا وباركوا الرب.

(١٦)

”وَأَقُولُ لَهُ: يَا أَبِي، أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا.“ لقد أخْطأَ بنو نساء حين هجر أورشليم السماوية التي هي أمه، ٥٩٣ وأخطأ قدام أبيه في تركه لخالقه وتعبده للأوثان المصنوعة من الخشب. هوليس مستحق أن يدعى ابن الله، حيث إنه قد فضّل أن يكون عبدًا للأوثان؛ لأن كل من يفعل الخطية فهو مولود من أبيه الشيطان. ٥٩٤

(١٧)

”إِجْعَلْنِي كَأَحَدِ أَجْرَاكَ.“ لقد قال، ”إِجْعَلْنِي كَأَحَدِ الْيَهُودِ الَّذِينَ يَكْرُمُونَكَ مِنْ أَجْلِ أَنْتَظَارِ الْخَيْرَاتِ الزَّمْنِيَّةِ فَقَطْ. اقْبَلْ ابْنًا تَائِبًا يَا مَنْ كَثِيرًا مَا تَعْفُو عَنْ عِبِيدِكَ الْأَجْرَاءِ عِنْدَمَا يُخْطِئُونَ.“

(١٨)

”وَجَاءَ إِلَى أَبِيهِ.“ نحن نأتي إلى الآب عندما نترك رعاية الخنازير، كما قيل: ”بِالرُّجُوعِ وَالسُّكُونِ تَخْلُصُونَ.“ ٥٩٥

(١٩)

”وَإِذْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بَعِيدًا رَأَاهُ أَبُوهُ، فَتَحَنَّنَ.“ قبل أن يرجع إلى أبيه الأول بالأعمال الصالحة والتوبة الصادقة. الله، الذي رأى جميع الأحداث الآتية

٥٩٢ مز ١٣٤: ١.

٥٩٣ راجع عب ١٢: ٢٢، غل ٤: ٢٦.

٥٩٤ راجع اي ٣: ٨.

٥٩٥ إش ١٥: ٣٠. في نص جبروم يقول: ”بالرجوع والنجيب تخلصون“

وكأنها ماض ويعرف سلفًا كل ما سيحدث،<sup>٩٦</sup> ركض نحو الآتي إليه. وبكلمته الذي أخذ جسدًا من عذراء، سبق ورأى رجوع ابنه الأصغر.

(٢٠)

”وَرَكَّضَ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ.“ لقد جاء إلى الأرض قبل أن يدخل الخاطئ إلى بيت الاعتراف، ووقع على عنقه أي أخذ جسدًا بشريًا. وكما اتكأ يوحنا في حضنه،<sup>٩٧</sup> وكان مؤتمنًا على أسراره، هكذا وضع على الابن الأصغر (بالنعمة وليس عن استحقاق) نيره الهين، أي وصايا الخفيفة.<sup>٩٨</sup>

(٢١)

”وَقَبَّلَهُ.“ وفقًا لذلك، تصلي الكنيسة في نشيد الأنشاد بخصوص مجيء العريس قائلة: ”لِيَقْبَلْنِي بِقُبُلَاتٍ فِيهِ.“ فهي تقول: ”لا أرغب في أن يكلمني بموسى أو بالأنبياء، بل ليلبس جسدي، وليقبلني بالجسد.“

لذا يمكن أيضًا أن نطبق هذا الفكر على ما قيل في إشعياء: ”صَرَخَ إِلَيَّ صَارِخٌ مِنْ سَعِيرٍ: «يَا حَارِسُ، مَا مِنَ اللَّيْلِ؟ يَا حَارِسُ، مَا مِنَ اللَّيْلِ؟ قَالَ الْحَارِسُ: «أَتَى صَبَاحٌ وَأَيْضًا لَيْلٌ. إِنْ كُنْتُمْ تَطْلُبُونَ فَاطْلُبُوا. ارْجِعُوا، تَعَالَوْا.»“<sup>٩٩</sup> فقد كان على الكنيسة فعلاً أن تصرخ باكية من سعير،<sup>١٠٠</sup> لأن سعير تعني ”مشعر“ و”خشن“ لتدل بذلك على رعبهم القديم من السكنى وسط الأمم وبتشبيه مرادف قالت: ”أَنَا سَوْدَاءُ وَجَمِيلَةٌ يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ

<sup>٩٦</sup> راجع جاك ٤١٥:٣؛ حك ٨:٨.

<sup>٩٧</sup> راجع يوحنا ١٣:٢٣ و٢٥.

<sup>٩٨</sup> راجع مت ٣:١١.

<sup>٩٩</sup> راجع إش ٤١:١٢. يقتبسها جيروم: ”إِنْ كُنْتُمْ تَطْلُبُونَ فَاطْلُبُوا. واسكنوا بجاني في الأجمة.“

<sup>١٠٠</sup> راجع إش ٤١:١١.

(٢٢)

”فَقَالَ لَهُ الْإِبْنُ: يَا أَبِي. خَطَّأْتُ فِي السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا  
بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا.“ هُوَ يَقُولُ أَنَّهُ نَيْسٌ مُسْتَحِقًّا أَنْ يَدْعَى ابْنًا. غَيْرَ أَنَّهُ  
بِالِدَفَاعِ الطَّبِيعِيِّ، وَبِفَضْلِ النِّقْمَةِ الَّتِي سَبَقَ وَمُنَحَهُ لَهُ أَبُوهُ، ائِدْفَعُ بِقَلْبِ  
مُنْكَسِرِ أَلِيمٍ نَحْوِ الْإِسْمِ عَيْنِهِ صَارِحًا قَائِلًا: ”يَا أَبِي، أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ.“

لذلك، عبثًا يحاول بعض الأشخاص اثبات أن اسم ”أبي“ يليق بالقدسين  
فقط، إذ إن من اعترف بأنه غير مستحق لأن يدعى ابنًا يدعو الله ”أبًا.“  
وإن لم نر ذلك اندفاعًا طبيعيًا، فلم يكن يجرؤ أن يدعو الله ”أبي“ إن لم  
يكن قد تغيرَ بالكامل.

(٢٣)

”فَقَالَ الْآبُ لِعَبِيدِهِ: أَخْرِجُوا الْحِلَّةَ الْأُولَى.“ هذه هي الحلة التي فقدها  
آدم لَمَّا أَخْطَأَ، الحلة التي دُعيت في مثل آخر ”ثياب العرس“<sup>٦١٥</sup> أي غطاء  
الروح القدس الذي بدونه لا يمكن لأي أحد أن يحضر وليمة الملك.

(٢٤)

”وَاجْعَلُوا خَاتَمًا فِي يَدِهِ.“ الخاتم هو سمة صورة المسيح بحسب ما قيل:  
”إِذْ آمَنْتُمْ خُتِمْتُمْ بِرُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُّوسِ“<sup>٦١٦</sup> وكما قيل للملك صور الذي فقد  
صورة خالقه: ”أَنْتَ خَاتِمُ الْكَمَالِ، مَلَأَنَّ حِكْمَةً وَكَامِلُ الْجَمَالِ. كُنْتُ فِي

<sup>٦١١</sup> نش: ٤:١.

<sup>٦١٢</sup> راجع مت ٢٢: ١١.

<sup>٦١٣</sup> أف: ١٣: ١.

عَدْنِ جَنَّةِ اللَّهِ.<sup>٦٠٤</sup>

تكلم إشعيا أيضاً عن هذه السمة قائلاً: "صَرَّ الشَّهَادَةَ. اِخْتِمِ الشَّرِيعَةَ بِتِلَامِيذِي."<sup>٦٠٥</sup> وهذه السمة تُعطى في اليد، وعندما يشير الكتاب المقدس إلى أعمال البر، كما يقول النص: "كَانَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ عَنْ يَدِ حَجِّي التِّي،"<sup>٦٠٦</sup> أيضاً يقول لأورشليم: "وَحَلَيْتِكَ بِالْحُلِيِّ، فَوَضَعْتَ أُسُورَةَ فِي يَدَيْكَ."<sup>٦٠٧</sup>

ويوجد مكان آخر للسمة أعلن عنه للرجل اللابس ثياباً طويلة (الكتان): "اعْبُرْ فِي وَسْطِ الْمَدِينَةِ أُورُشَلِيمَ، وَسِمِّ سِمَةً عَلَى جِبَاهِ الرَّجَالِ الَّذِينَ يَيْتُونُ وَيَيْتَهُدُونَ عَلَى كُلِّ الرَّجَاسَاتِ الْمَصْنُوعَةِ فِي وَسْطِهَا."<sup>٦٠٨</sup> لماذا؟ حتى يمكنهم أن يقولوا منذ الآن: "ارْفَعِ عَلَيْنَا نُورَ وَجْهِكَ يَا رَبُّ."<sup>٦٠٩</sup>

(٢٥)

"وَحِذَاءً فِي رِجْلَيْهِ." لأنه فقد كرامة العريس لذا فلا يستطيع أن يشترك في الفصح بأرجل حافية. إنه الحذاء الذي قال عنه الرب: "وَتَعْلُتُكِ بِالثُّخَيْسِ."<sup>٦١٠</sup> وقد وضع حذاء في رجليه، كيلا يهاجم ثعبان كامن باطن قدمه وهو يسير في أي مكان.<sup>٦١١</sup> ويكون في مقدوره أن يطأ الحيات والعقارب،<sup>٦١٢</sup> ومستعداً لإنجيل السلام.<sup>٦١٣</sup> ولا يسلك بعد بحسب الجسد بل

<sup>٦٠٤</sup> راجع حز ٢٨:١٤.

<sup>٦٠٥</sup> راجع إش ٨:١٦.

<sup>٦٠٦</sup> حج ١:٢ و٢:٢٠.

<sup>٦٠٧</sup> حز ١٦:١١.

<sup>٦٠٨</sup> حز ٩:٤.

<sup>٦٠٩</sup> مز ٤:٧.

<sup>٦١٠</sup> حز ١٦:١٠.

<sup>٦١١</sup> راجع تك ٣:١٥.

<sup>٦١٢</sup> راجع ١٠:١٩.

<sup>٦١٣</sup> أف ٦:١٥.

يسلك بالروح،<sup>٦١١</sup> ولكي ينطبق عليه القول النبوي: "مَا أَجْمَلَ عَلَى الْجِبَالِ قَدَيْ الْمُبَشِّرِ الْمُخْبِرِ بِالسَّلَامِ الْمُبَشِّرِ بِالْخَيْرِ."<sup>٦١٥</sup>

(٢٦)

"وَقَدَّمُوا الْعِجْلَ الْمُسَمَّرَ وَادْبَحُوهُ فَنَأْكُلُ وَنَفْرَحُ، لِأَنَّ ابْنِي هَذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالًّا فَوُجِدَ." إن لعجرا المسمن المقدم ذبيحة من أجل حماية التائبين هو المخلص ذاته. نذني نتغذى على جسده ونشرب دمه يوميا.

أيها القارئ المؤمن، أنت تفهم معي بأي غنى قد امتلأنا حتى صحننا هاتفين بتسيحه قائلين: "فَاصْ قَلْبِي بِكَلَامِ صَالِحٍ. مُتَكَلِّمٌ أَنَا بِإِنْسَائِي لِلْمَلِكِ."<sup>٦١٦</sup> برغم أن البعض، مخرفين وليسوا محقين، غير مدركين لمعنى نص المزمور يظنون أنه يعود على الآب.

إضافة إلى أنه حسب القول: فَنَأْكُلُ ... ، لِأَنَّ ابْنِي هَذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالًّا فَوُجِدَ، تدل على نفس التفسير للمثل السابق الذي قيل فيه: "أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ هَكَذَا يَكُونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَطِيئَةٍ وَاحِدَةٍ يَتُوبُ."<sup>٦١٧</sup>

(٢٧)

"قَابَتَدَأُوا يَفْرَحُونَ." تُقام هذه الوليمة يوميا، يقبل الأب ابنه كل يوم. والمسيح دائما يبذل نفسه من أجل مؤمنيه.

(٢٨)

"وَكَانَ ابْنُهُ الْأَكْبَرُ فِي الْحُقْلِ." بهذا نكون قد تكلمنا عن صفات الابن

<sup>٦١١</sup> راجع غل ١٦:٥.

<sup>٦١٥</sup> إش ٥٢:٧.

<sup>٦١٦</sup> مر ١:٤٥.

<sup>٦١٧</sup> لو ١٠:١٥.



الأصغر، وبحسب المثل الذي أمامنا، علينا أن نعي أنه واحد من العشارين والخطاة الذين دعاهم الرب إلى التوبة. لكن بحسب التفسير الروحي، فيعتبر أيضاً نبوة عن دعوة الأمم في المستقبل.

الآن انتقلت القصة إلى الابن الأكبر، الذي يفسره كثيرون بسداجة على أنه يُمثّل جميع القديسين، لكن كثيرين أيضاً يفسرونه، وهم على صواب تماماً، على أنه يُشير إلى اليهود. بالنسبة إلى القديسين، فالدلالة ليست عسيرة لأنه قال: "قَطُّ لَمْ أَتَجَاوَزُ وَصِيَّتِكَ." برغم أن حقيقة الغيرة من رجوع أخيه قد تبدو أنها تتعارض مع ذلك. لكن بينما الحسد من خلاص أخيه يناسب اليهود، إلا أنه لا ينسجم مع قوله إنه لم يتجاوز وصيته قط.<sup>٦٨</sup> وسوف نحاول في وقت ملائم أن نوضح رأينا في هذه النقاط.

نرى الآن أن الابن الأكبر كان في الحقل، يعرق مجهداً في الأعمال الأرضية، لكنه غائب عن نعمة الروح القدس، مبتعداً عن مشورة أبيه. فهو الذي قال: "إِنِّي اشْتَرَيْتُ حَقْلًا، وَأَنَا مُضْطَرٌّ أَنْ أَخْرَجَ وَأَنْظُرَهُ. أَسْأَلُكَ أَنْ تُعْفِيَنِي."<sup>٦٩</sup> وهو الذي اشترى خمسة أزواج بقر،<sup>٧٠</sup> وثقل نفسه بنير الناموس ليتمتع بسعادة الحواس (الخمسة) الأرضية. وهو الذي تزوج بامرأة ولم يستطع أن يذهب إلى الوليمة: فلأنه جسدي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون واحداً مع الروح.<sup>٧١</sup> ففي شخصه نجد تشابه مع الفعلة في ذاك المثل الذي قيل عن الذين أرسلوا للعمل في الكرم في الساعة الأولى والثالثة والسادسة والتاسعة، أي كانت دعوتهم في أوقات مختلفة، وتذمروا

<sup>٦٨</sup> راجع لوقا ١٥: ٢٩، و٣٤ أسفل.

<sup>٦٩</sup> لوقا ١٤: ١٨.

<sup>٧٠</sup> راجع لوقا ١٤: ١٩.

<sup>٧١</sup> راجع لوقا ١٤: ٢٠.

## الخطابات

لأن من أرسلوا في الحادية عشر قد تساوا بهم.<sup>٦٢٢</sup>

(٢٩)

”فَلَمَّا جَاءَ وَقُرْبَ مِنْ نُبَيْتِ. سَمِعَ صَوْتَ آيَاتِ طَرْبٍ وَرَقْصًا.“ يوجد عنوان لبعض المزامير، ”قصيدة“ for Meheleth وهي تتفق مع هذا المعنى لأن *meleth* تطلق على خورس انتناسق.<sup>٦٢٣</sup> ومن الخطأ أن يظن أي من المترجمين اللاتين أن السيمفونية هي نوع من الآلات، وذلك لأن الإيقاع المتناغم في تسبيح الرب يُعبّر عنه بكلمة سيمفونية *symphonia* ويترجم باللاتينية إلى *consonantia*.<sup>٦٢٤</sup>

(٣٠)

”فَدَعَا وَاحِدًا مِنَ الْعِلْمَانِ وَسَأَلَهُ: مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ هَذَا؟“ والآن إسرائيل يسأل أيضًا لماذا يفرح الرب بتبني الأمم. وفي سعيهم للتحريف لا يستطيعوا أن يفهموا مشيئة الآب.

(٣١)

”فَقَالَ لَهُ: أَخُوكَ جَاءَ فَذَبَحَ أَبُوكَ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ، لِأَنَّهُ قَبِلَهُ سَالِمًا.“ إن سبب الابتهاج الذي نتغنى به في تسبيح الرب بنفس الحماس في كل المسكونة هو خلاص الخطاة. تفرح الملائكة، وتجتمع كل الخليقة على الفرح، إسرائيل وحدها هي من قيل عنها:

<sup>٦٢٢</sup> راجع مت ١:٢٠-١٦.

<sup>٦٢٣</sup> راجع مز ١:٥٣ ومز ١:٨٨.

<sup>٦٢٤</sup> الكلمتان اليونانية واللاتينية لهما معنى واحد *sounding together*، لكن في اللاتينية المتأخرة صارت الكلمة تستخدم لنوع معين من الآلات الموسيقية.

(٣٢)

”فَعَضِبَ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَدْخُلَ.“ هو غاضب لأن أخاه قُبل أثناء غيابه، هو غاضب لأن الذي ظنه مات ما زال حيًا. والآن يقف إسرائيل خارجًا. وبينما يسمع التلاميذ البشارة المفرحة داخل الكنيسة، يقف أمه وإخوته خارجًا يطلبونه.<sup>٦٢٥</sup>

(٣٣)

”فَخَرَجَ أَبُوهُ يَطْلُبُ إِلَيْهِ.“ يا له من أب طيب ورحوم! يتوسل إلى ابنه كي يشترك في فرح البيت، وهو يطلب إليه عن طريق الرسل، والمبشرين بالانجيل. الذي يقول بولس عنهم: ”تَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ: تَصَالِحُوا مَعَ اللَّهِ.“<sup>٦٢٦</sup> وفي موضع آخر: ”كَانَ يَجِبُ أَنْ تُكَلِّمُوا أَنْتُمْ أَوْلًا بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَلَكِنْ إِذْ دَفَعْتُمُوهَا عَنْكُمْ وَحَكَمْتُمْ أَنْكُمْ غَيْرَ مُسْتَحِقِّينَ لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ هُوَذَا نَتَوَجَّهُ إِلَى الْأُمَمِ.“<sup>٦٢٧</sup>

(٣٤)

”فَأَجَابَ وَقَالَ لِأَبِيهِ: هَا أَنَا أَخْدِمُكَ سِنِينَ هَذَا عَدَدُهَا.“ الأب المتوسل ترجاه لكي يتصالح. إلا أنه رفض بر الله متبعا بر الناموس.<sup>٦٢٨</sup> وبجانب هذا، ماذا يمكن أن يكون أعظم من بر الله، وأعظم من الصبح عن التائب وخلص الابن العائد؟ هَا أَنَا أَخْدِمُكَ سِنِينَ هَذَا عَدَدُهَا، وَقَطُّ لَمْ أَتَجَاوَزْ وَصِيَّتَكَ. كما لو أن هذا الأمر تحديدًا ليس تجاوزًا للوصية، أي الانزعاج من خلاص الآخرين، والتفاخر بالبر الذاتي أمام الرب، في حين أنه لا يوجد من

<sup>٦٢٥</sup> راجع مت ١٤: ٤٦.

<sup>٦٢٦</sup> ٢ كو ٥: ٢٠.

<sup>٦٢٧</sup> أع ١٣: ٤٦.

<sup>٦٢٨</sup> راجع رو ١: ٣٠.

هو طاهر أمامه.<sup>٦٢٩</sup> لأنه من يستطيع أن يتباهى بأن له قلبًا طاهرًا، حتى لو كانت حياته يومًا واحدًا؟<sup>٦٣٠</sup> لقد اعترف داود قائلاً: "هَأَنْدَا بِالْإِثْمِ صُوِّرْتُ وَبِالْحَطِيئَةِ حَبَلْتُ فِي نَفْسِي."<sup>٦٣١</sup> وفي موضع آخر: "إِنْ كُنْتُ تُرَاقِبُ الْآثَامَ يَا رَبُّ يَا سَيِّدُ فَمَنْ يَقِفُ؟"<sup>٦٣٢</sup> ثم يأتي هذا الشخص ويقول أنه لم يتجاوز الوصية قط، بعد أن تم سببه مرات هذه عددها لعبادته للأوثان!

هَا أَنَا أَخْدِمُكَ سِنِينَ هَذَا عَدَدُهَا، وَقَطُّ لَمْ أَتَجَاوَزْ وَصِيَّتَكَ. هذا ما يتكلم عنه بولس: "فَمَاذَا نَقُولُ؟ إِنَّ الْأُمَّمَ الَّذِينَ لَمْ يَسْعَوْا فِي أَثَرِ الْبِرِّ أَدْرَكُوا الْبِرَّ، الْبِرَّ الَّذِي بِالْإِيمَانِ. وَلَكِنَّ إِسْرَائِيلَ وَهُوَ يَسْعَى فِي أَثَرِ نَامُوسِ الْبِرِّ لَمْ يُدْرِكْ نَامُوسَ الْبِرِّ! لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ لَيْسَ بِالْإِيمَانِ بَلْ كَانَهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ."<sup>٦٣٣</sup>

وقد يقال هذا أيضًا عن الذي، بكلمات الرسول ذاته، بلا لوم من جهة البر الذي في الناموس.<sup>٦٣٤</sup> بالرغم من أنه يبدو لي أن اليهودي يتباهى أكثر مما يقول الحقيقة، على مثال الفريسي القائل: "اللَّهُمَّ أَنَا أَشْكُرُكَ أَنِّي لَسْتُ مِثْلَ بَاقِي النَّاسِ الْحَاطِفِينَ الظَّالِمِينَ الزُّنَاةَ، وَلَا مِثْلَ هَذَا الْعَشَّارِ."<sup>٦٣٥</sup> وأنا أسألك ألا يبدو أن هذا الرجل قال عن أخيه ما قاله الفريسي عن العشار: "ابْنُكَ هَذَا الَّذِي أَكَلَ مَعِيشَتَكَ مَعَ الزُّوَانِي؟" أضف إلى أنه بالنسبة إلى قوله: قَطُّ لَمْ أَتَجَاوَزْ وَصِيَّتَكَ. لا يتماشى مع حديث الأب، لأن الأب لم يوافق على أن ما قاله الابن كان صحيحًا، فلطَفَ من غضب الابن بمعنى آخر قائلاً: "يَا بُنَيَّ

<sup>٦٢٩</sup> راجع أي: ١٧.

<sup>٦٣٠</sup> راجع أم: ٩٠.

<sup>٦٣١</sup> مز: ٥١.

<sup>٦٣٢</sup> مز: ١٣٠.

<sup>٦٣٣</sup> رو: ٣٠-٣٢.

<sup>٦٣٤</sup> راجع في: ٦٣.

<sup>٦٣٥</sup> لو: ١٨.

أَنْتَ مَعِيَ فِي كُلِّ حِينٍ.“ فهل قال: أنت تتكلم حسناً، ولقد نفذت كل ما أوصيت به؟ كلا بل قال: أَنْتَ مَعِيَ فِي كُلِّ حِينٍ. فأنت معي تحت الناموس الذي أنت مرتبط به، أنت معي حين أودبك، وحين كنت في السبي. أنت معي ليس لأنك أكملت الناموس، بل لأني لم أسمح لك أنت ترحل إلى كورة بعيدة. أنت معي في كل حين بحسب قولي لداود: ”إِنْ تَرَكْتُ بَنُوهُ شَرِيعَتِي وَلَمْ يَسْلُكُوا بِأَحْكَامِي. إِنْ نَقَضُوا فَرَائِضِي وَلَمْ يَحْفَظُوا وَصَايَايَ. أَفَتَقْدُ بَعْصًا مَعْصِيَتَهُمْ وَبِضَرَبَاتٍ إِيَّاهُمْ. أَمَّا رَحْمَتِي فَلَا أَنْزِعُهَا عَنْهُ.“<sup>٦٣٦</sup>

أيضاً هذه الشهادة التي تباهى بها الابن الأكبر قد ثبتت زيفها، حيث إنه لم يسلك بحسب أحكام الرب ولم يفعل وصاياه. فهكذا عرفنا كيف كان يعيش مع أبيه كل حين، بالرغم من أنه فشل في القيام بهذه الأمور، فكما يفعل السيئات يفتقده الرب بالعصا، ورغم افتقاده إلا أن الرحمة لم تُنزع عنه.

ولا عجب في أنه تجرأ وكذب على أبيه، هذا الذي استطاع أن يحسد أخاه. خاصة أنه حتى في يوم الدينونة نجد أن البعض يكذبون بوقاحة قائلين: ألم نأكل قدامك ونشرب باسمك وصنعنا آيات وأخرجنا شياطين؟<sup>٦٣٧</sup> أمّا معنى ”وَكُلُّ مَا لِي فَهُوَ لَكَ.“ فسوف نشرحه بأكثر دقة في موضعه.

### (٣٥)

”وَجَدِيًّا لَمْ تُعْطِنِي قَطُّ لِأَفْرَحَ مَعَ أَصْدِقَائِي.“ إن ما يقوله إسرائيل هو: دماء كثيرة سُفكت، وآلاف عدة من الناس نُحرت، ولا واحد منهم صار

<sup>٦٣٦</sup> مز ٣١:٨٩-٣٤.

<sup>٦٣٧</sup> راجع مت ٢٢:٧ ولو ١٣:٢٦.

## الخطابات

فادي خلاصنا. يوشيا نفسه الذي عمل المستقيم في عيني الرب،<sup>٦٣٨</sup> ومن بعده المكابيين الذين دافعوا عن ميراثك، دُبحوا بسيف أعدائهم، لرفضهم انتهاك حرمة المُقدَّسات، ولا أي من هذه الدماء التي سفكت أعاد لنا حريتنا. ويا للهول، فما زلنا نُستعبد للإمبراطورية الرومانية.<sup>٦٣٩</sup> لا نبي ولا كاهن ولا بار قُدِّم ذبيحة من أجلنا. من أجل ذلك، سُفك الدم الزكي المجيد لأجل هذا الابن الذي كان منغمساً في عيشٍ مسرفٍ، أي لأجل الأمم، خطاة العالم كله. ففي حين أنك لم تنقص من حق المستحقين، نجد أنك أعطيت بسخاء لغير المستحقين. ”وَجَدِيًّا لَمْ تُعْطِنِي قَطُّ لِأَفْرَحَ مَعَ أَصْدِقَائِي.“

أنت مخطئ يا إسرائيل. قل بالأحرى: ”لأفرح معك.“ هل يمكن أن يكون هناك فرح دون ان يحتفل الآب معك على المائة؟! على الأقل تتعلَّم من الطرف الحاضر. فعندما يرجع الابن الأصغر، يفرح كل من الأب والخدام. لذا قال: ”فَتَأْكُلُ وَتَفْرَحُ.“ ولم يقل ”كل وافرح.“ غير أنك بإصرارك على تصرفك الخطأ بسبب حسدك لأخيك، وبسبب ابتعادك عن عين أبيك وانشغالك دائماً في الحقل، الآن أيضاً ترغب في أن تقيم وليمة بدونه.

”وَجَدِيًّا لَمْ تُعْطِنِي قَطُّ.“ إن الأب لا يقدم أبداً عطايا تافهة. فما هو العجل المسنن مذبح، ادخل وكل مع أخيك. لماذا تطلب جدياً يا من من أجلك أرسل الحَمَل؟ ولماذا تتظاهر بأنك لم تعرف أنه أُرسِل، لذا فقد أعلنه لك يوحنا في البرية قائلاً: ”هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ حَظِيَّةَ الْعَالَمِ!“<sup>٦٤٠</sup> والأب لكونه رحيماً حقاً يمنحك فرصة للتوبة، فهو يدعوك للعجل ولم يذبح لك

<sup>٦٣٨</sup> راجع ٢مل ٢:٢٢.

<sup>٦٣٩</sup> راجع ١مكا، ٢مكا، وجيروم في آخر جملة يتكلم بلسان اليهودي.

<sup>٦٤٠</sup> يوا ٢٩.

الجدي الذي يعرف أن موضعه على اليسار.<sup>٦١١</sup> لكنك أنت هو الذي سوف تقدم جدياً عن نفسك حتى أنك ستقف ضد المسيح. وتتخمد مع أصدقائك، التي هي الأرواح النجسة، بلحمه مُحَقَّقًا النبوءة القائلة: "أَنْتِ رَضَضْتِ رُؤُوسَ لَوِيَّاتَانِ. جَعَلْتَهُ طَعَامًا لِلشَّعْبِ لِأَهْلِ الْبَرِّيَّةِ."<sup>٦١٢</sup>

(٣٦)

"وَأَكْنِ لَمَّا جَاءَ ابْنُكَ هَذَا الَّذِي أَكَلَ مَعِيشَتَكَ مَعَ الرُّوَانِي، دَبَّحْتَ لَهُ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ!" اسرائيل يقر حتى وقتنا هذا بأن الذي ذبح هو العجل المسمن. فهم يعرفون أن المسيح قد جاء، لكنهم والحسد يأكلهم رافضين أي خلاص إلا إذا هلك أخوهم.

(٣٧)

"فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ أَنْتَ مَعِيَ فِي كُلِّ حِينٍ، وَكُلُّ مَا لِي فَهُوَ لَكَ." لقد دعاه ابنه، رغم امتناعه عن الدخول. لكن كيف يكون كل ما هو للرب ملكاً لليهود؟ هل يقصد بهذا الملائكة والعروش والرتاسات وباقي القوات؟ قطعاً لا، أليس كذلك؟ لذا يفهم من كلمة "كل" على أنها تعني الناموس والأنبياء والكلمة الإلهية. وقد أعطاه هذا حتى يلهج بشريعته نهاراً وليلاً،<sup>٦١٣</sup> وبحسب قانون الكتاب المقدس الذي دائماً ما أوضحناه فإن كلمة "كل" لا يقصد بها مجموع الأشياء بل الغالبية، كما يظهر في النص: "الْكُلُّ قَدْ رَاغُوا مَعًا فَسَدُوا."<sup>٦١٤</sup> ونص آخر: "جَمِيعُ الَّذِينَ أَتَوْا قَبْلِي هُمْ سُرَّاقٌ وَأُصُوصٌ"<sup>٦١٥</sup> وقال

<sup>٦١١</sup> راجع مت ٢٥: ٣٣.

<sup>٦١٢</sup> مز ٧٤: ١٤.

<sup>٦١٣</sup> راجع يش ٨: ١ ومز ١: ٢٠.

<sup>٦١٤</sup> مز ١٤: ٣.

<sup>٦١٥</sup> يو ١٠: ٨.

بولس لأهل كورنثوس: "صِرْتُ لِلْكَلِّ كُلِّ شَيْءٍ لِأُحْلَصَ عَلَى كُلِّ حَالٍ قَوْمًا."<sup>٦٦</sup> وإلى أهل فيلبي: "إِذِ الْجَمِيعُ (الكل) يَظْلُبُونَ مَا هُوَ لِأَنْفُسِهِمْ لَا مَا هُوَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ."<sup>٦٧</sup> لكن علينا أن نؤمن أنه لم يجرمه من أي شيء، ذاك الذي دعاه لأكل العجل المسمن.

(٣٨)

"لَكِنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَفْرَحَ وَنُسَرَّ، لِأَنَّ أَحَاكَ هَذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ، وَكَانَ صَالًا فَوُجِدَ." لنا إيمان بأننا نحن الذين كنا أمواتًا في الخطية يمكن أيضًا أن نحيا وذلك بالتوبة. وهنا بالفعل يعود الابن من نفسه، أمّا في المثلين السابقين؛ أي الخروف الضال والدرهم المفقود، نجد أن الضال أُرْجِعَ والمفقود وُجِدَ. وهذه الأمثال الثلاثة تختم بنهايات متشابهة: "كان ضالًا فَوُجِدَ"، وذلك حتى يمكننا أن ندرك أنه مهما تختلف الظروف إلا أن النتيجة واحدة وهي قبول الخاطئ.

(٣٩)

وهذا بالفعل ما قيل عن الأمم واليهود. ولكن هيا بنا نرى كيف يمكن أن نفهم المثل بالنسبة للقديس والخاطئ عمومًا. ومن ناحية أخرى لا يوجد شك في أنه يمكن تطبيقه على الرجل البار. والنقطة التالية هي محل حيرة عند القارئ: لماذا يحسد رجل بار خلاص إنسان خاطئ ويمتلئ غيظًا لدرجة أنه لا يتأثر بعاطفة الأخوة أو بتوسلات الأب أو بفرح البيت كله؟

سوف نجيب على هذا باختصار بأن كل بر العالم ليس برًا بالمقارنة ببر

<sup>٦٦</sup> ١ كور ٩: ٢٢.

<sup>٦٧</sup> في ٢: ٢١.



الله.<sup>٦٤٨</sup> لأنه حتى سدوم كانت بارة مقارنة بخطايا أورشليم،<sup>٦٤٩</sup> ليس لكونها بارة بل لأن الخطايا القليلة تعد براً إذا ما قورنت بخطايا أعظم، وعلى هذا فإن بر أناس العالم كله ليس براً مقارنة بالله.

لذلك بولس الذي قال: "فَلْيُفْتَكِرْ هَذَا جَمِيعُ الْكَامِلِينَ مِنَّا"<sup>٦٥٠</sup> أيضًا في موضع آخر اعترف هاتفاً: "يَا لَعْمَقِ غِنَى اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَخِصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الْاسْتِقْصَاءِ!"<sup>٦٥١</sup> وفي موضع آخر: "لَأَنَّنَا نَعْلَمُ بَعْضُ الْعِلْمِ وَنَتَنَبَّأُ بَعْضَ التَّنْبُؤِ."<sup>٦٥٢</sup> و"إِنَّنَا نَنْظُرُ الْآنَ فِي مِرَاةٍ فِي لُغْزٍ"<sup>٦٥٣</sup> وإلى أهل رومية: "وَيَجِي أَنَا الْإِنْسَانُ الشَّقِيُّ! مَنْ يُنْقِذُنِي مِنْ جَسَدِ هَذَا الْمَوْتِ؟"<sup>٦٥٤</sup>

من خلال كل هذه النصوص نتعلم أن بر الله وحده هو الكامل، فهو الذي يشرق شمس على الصالح والشرير، ويرسل مطر المساء والصبح على المستحق وغير المستحق على حد سواء،<sup>٦٥٥</sup> وهو الذي يدعو إلى العرس من في الشوارع والزوايا والطرق،<sup>٦٥٦</sup> ويبحث عن الخراف، التي لن تستطيع أو تعود بمفردها كالابن الضال، وهو الذي عندما يجدها يحملها فرحاً على منكبيه.<sup>٦٥٧</sup> فهو تعب من أجل من شرد بعيداً.

<sup>٦٤٨</sup> راجع أي: ٤: ١٧.

<sup>٦٤٩</sup> راجع لوقا: ١٠: ١٢.

<sup>٦٥٠</sup> في ١٥: ٣.

<sup>٦٥١</sup> روم: ١١: ٣٣.

<sup>٦٥٢</sup> ١ كور: ١٣: ٩.

<sup>٦٥٣</sup> ١ كور: ١٣: ١٢.

<sup>٦٥٤</sup> روم: ٧: ٢٤.

<sup>٦٥٥</sup> راجع مت: ٥: ٤٥.

<sup>٦٥٦</sup> راجع مت: ٢٢: ٩-١٤.

<sup>٦٥٧</sup> راجع لوقا: ١٥: ٤.

بالإضافة إلى أننا نتعلم أن الحسد قد يُسقط حتى القديسين، وأن الرحمة الكاملة من صفات الله وحده دون سواه. لنضع أمام أعيننا موقف أم ابني زبدي التي عندما طلبت لابنيها الكثير جداً بدافع المحبة والعاطفة.<sup>٦٥٨</sup> اغتاز التلاميذ العشرة الباقون. "فَدَعَاهُمْ يَسُوعُ وَقَالَ: «أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رُؤَسَاءَ الْأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ، وَالْعُظَمَاءُ يَتَسَلَطُونَ عَلَيْهِمْ. فَلَا يَكُونُ هَكَذَا فِيكُمْ. بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ عَظِيمًا فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِمًا، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ أَوْلًا فَلْيَكُنْ لَكُمْ عَبْدًا، كَمَا أَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيُخْدَمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنِ كَثِيرِينَ».<sup>٦٥٩</sup>

لا يظن أحد أنه من قبل المجازفة أو التجديف القول بأن خطية الحسد قد يمكن أن تتسلل حتى إلى الرسل أنفسهم، إذ إننا نؤمن أنها تسللت إلى الملائكة. لأن النجوم ليست طاهرة قدامه، وإلى ملائكته ينسب حماقة.<sup>٦٦٠</sup> وقد قيل في المزامير: "فِيَّاتُهُ لَنْ يَتَبَرَّرَ قُدَّامَكَ حَيٌّ."<sup>٦٦١</sup>

هو لم يقل لن يتبرر قدامك إنسان، بل "حَيٌّ" بمعنى أنه لا إنجيلي ولا رسول ولا نبي، وسأرتفع إلى المراتب الأعلى، ولا ملاك ولا عروش ولا رئاسات ولا سلطات ولا أي قوات أخرى. فالله وحده هو الذي ليس فيه خطية.<sup>٦٦٢</sup> أما الباقي فطالما أن له إرادته حرة بسبب أن الإنسان مخلوق على صورة الله ومثاله،<sup>٦٦٣</sup> فيمكن أن يوجّه إرادته نحو طريق أو لآخر. لكن إن

<sup>٦٥٨</sup> راجع مت ٢٠: ٢٠-٢٨.

<sup>٦٥٩</sup> مت ٢٥: ٢٠-٢٨.

<sup>٦٦٠</sup> راجع أي ١٥: ١٥ و ١٨: ٤.

<sup>٦٦١</sup> مز ١٤٣: ٢.

<sup>٦٦٢</sup> راجع (يو ٥: ٣١، ٢٢: ٢، إش ٥٣: ٩).

<sup>٦٦٣</sup> راجع تك ١: ٢٦.

لم توافق على هذا الرأي، فعلى الأقل اقنع بما جاء في مثل الفعلة الذين أرسلوا إلى الكرم على مدار النهار كله،<sup>٦٦٦</sup> ففي الساعة الأولى دُعي آدم وهابيل وشيث، وفي الساعة الثالثة نوح وفي السادسة إبراهيم، وفي التاسعة موسى، وفي الحادية عشر شعوب الأمم الذين قيل لهم: "لِمَاذَا وَقَفْتُمْ هَهُنَا كُلُّ التَّهَارِ بَطَّالِينَ؟" فأجابوا: "لأنَّهُ لَمْ يَسْتَأْجِرْنَا أَحَدٌ."<sup>٦٦٥</sup> أما الساعة الأخيرة فهي التي يأتي فيها المخلص، وقد شهد يوحنا بهذا عندما قال: "أَيُّهَا الْأَوْلَادُ هِيَ السَّاعَةُ الْآخِرَةُ. وَكَمَا سَمِعْتُمْ أَنَّ ضِدَّ الْمَسِيحِ يَأْتِي، قَدْ صَارَ الْآنَ أَضْدَادٌ لِلْمَسِيحِ كَثِيرُونَ. مِنْ هُنَا نَعْلَمُ أَنَّهَا السَّاعَةُ الْآخِرَةُ."<sup>٦٦٦</sup> إن كان هذا التفسير لا يسرك، فسوف أساير ففكرك، بمفهوم أنك تقر بأن أولئك المدعويين أولاً هم الأبرار. عندما أحصل على هذا الإقرار، سوف أورد ما يلي عن هؤلاء الأبرار: "وَفِيمَا هُمْ يَأْخُذُونَ تَدْمَرُوا عَلَى رَبِّ الْبَيْتِ قَائِلِينَ: هَؤُلَاءِ الْآخِرُونَ عَمِلُوا سَاعَةً وَاحِدَةً، وَقَدْ سَاوَيْتَهُمْ بِنَا نَحْنُ الَّذِينَ احْتَمَلْنَا ثَقَلِ التَّهَارِ وَالْحُرِّ"<sup>٦٦٧</sup> يبدو أنهم يتكلمون بالعدل فعلاً وهو أن أجرة الذي كد من الساعة الأولى إلى المساء، يجب ألا تتساوى مع أجرة من تعب ساعة واحدة. لكن هذه العدالة عينها يشوبها عيب؛ فلماذا تحسد العدالة فرحة آخر؟ أخيراً، اتهمهم صاحب الكرم بأن أعينهم شريرة قائلاً: "أَمْ عَيْنُكَ شَرِيرَةٌ لِأَنِّي أَنَا صَالِحٌ؟"<sup>٦٦٨</sup> ومن ثم فالله وحده هو البار كما قال الرسول،<sup>٦٦٩</sup> وهو وحده المدعو غير المائت، ليس لأن الملائكة غير أبرار أو مائتين، بل لأنه هو نفسه غير مائت وبار. مقارنة بالذين كل برهم يحسب أمامه غير طاهر.

<sup>٦٦٤</sup> راجع مت ١٠: ١٦-١٧.

<sup>٦٦٥</sup> مت ٢٠: ٦.

<sup>٦٦٦</sup> (يو ١٨).

<sup>٦٦٧</sup> مت ٢٠: ١١.

<sup>٦٦٨</sup> مت ٢٠: ١٥.

<sup>٦٦٩</sup> راجع اتي ١٧: ١ و ١٦: ١٦.

## الخطابات

(٤١)

علاوة على ذلك، لكي تفهم من هذا المثل الذي قدمناه الآن عدم بر أولئك الفعلة، انتبه قليلاً. هذا الذي تم استنجره في الساعة الأولى يستحق أكثر ممن تم استنجره في ساعة نشئة.

وأيضاً عامل الساعة نشئة له أفضلية على عامل الساعة السادسة. فكيف يجتمعون جميعهم إذن على حسد عامل الساعة الأخيرة دون أن يطالبوا بتطبيق نفس هذه العدالة على أنفسهم؟! فأنت يا من استؤجرت في الساعة التاسعة، لماذا تحسد من أرسل إلى الكرم الساعة الحادية عشر؟ أيًا كانت ما تجيب به، ومهما ادعيت من اختلاف في التعب - على حسب اختلاف نوع العمل تختلف الأجرة - فنفس الانتقاد سيوجه إليك في رأي صاحب الساعة السادسة.

وأنت يا من استؤجرت في الساعة السادسة وتحسد صاحب الحادية عشر، مستنكرًا كيفية حصوله على دينار مثلك - أي خلاصًا مساويًا - برغم من أنه يوجد اختلاف في مجد الخلاص بحسب عملك، يمكن لصاحب الساعة الثالثة أن يقول الشيء ذاته عليك. كذلك صاحب الساعة الأولى أيضًا على صاحب الساعة الثالثة. إلا أنهم على التوالي قبلوا بفرح أجرة متساوية على عمل غير متساوٍ وساعات عمل ليست متماثلة. لقد اعترضوا فقط على أصحاب الساعة الأخيرة - أي، خلاص الأمم - وتحاملوا على سيدهم، وفي كل الامثال وجدوا مذنبين بالحسد.

(٤٢)

لا شك عندي في أن حديث حقارتي هذا يبدو غير مصقول بالنسبة إليك، لكني دائمًا ما أنادي بأنه لا يمكن أن يخرج أي موضوع في صورته الكاملة إلا بعد أن تقوم الايدي المناسبة بتنقيحه. لذلك سامحني على عيني

المتألّمة، أي ساحني على الإملاء بخاصة إنه في الأمور الكنسية ليست  
الكلمات هي المرادة بل المعانى. أي إنه يجب الحفاظ على الحياة بالخبز لا  
بالخرنوب.<sup>٦٧٠</sup>

## الخطاب الثاني والعشرون إلى استوكيوم

ربما يعد هذا الخطاب أشهر خطابات القديس جيروم. وفيه يعلن ويوضح بالتفصيل؛ (١) الدوافع التي يجب أن تحت أولئك الذين كرسوا أنفسهم للتبولية. (٢) القوانين الواجبة التي بها ينظمون تصرفاتهم، وسلوكهم اليومي. يحتوي الخطاب على صورة حية للمجتمع الروماني حينها، وما به من الفخامة والخلاعة ومظاهر النفاق المنتشرة بين الرجال والنساء ذاك الحين. بجانب بعض التفاصيل الدقيقة من السير الذاتية ويختتم بتقرير كامل عن ثلاثة الأنواع من الرهبنة التي كانت تُمارس حينها في مصر. وبعد ٣٠ سنة كتب جيروم خطابًا مشابهًا إلى ديمتريوس. يجب أن يقارن هذا الخطاب به. كتب في رومية عام ٣٨٤ م.

### (١)

”اسمعي يَا بِنْتُ وَاَنْظِرِي وَأَمِيلِي أُذُنَكَ وَأَنْسِي شَعْبَكَ وَبَيْتَ أَبِيكَ فَيَشْتَهِي الْمَلِكُ حُسْنَكَ.“<sup>٦٧١</sup> في هذا المزمور الـ٤٤<sup>٦٧٢</sup> يتكلم الرب مع النفس البشرية لكي تحذو حذو ابينا إبراهيم.<sup>٦٧٣</sup> فيجب أن تخرج من أرضها ومن عشيرتها وأن تفارق الكلدانيين الذين هم الشياطين، وتستقر في أرض الأحياء، هذه التي يشتاق إليها النبي في موضع آخر قائلا: ”أَمَنْتُ بِأَنْ أَرَى جُودَ الرَّبِّ فِي أَرْضِ الْأَحْيَاءِ.“<sup>٦٧٤</sup> لكن الخروج من أرضك ليس كافيًا إن لم تنسي شعبك وبيت أبيك وإن لم تزدري بالجسد وتمسكي العريس بعناق شديد. لذلك يقول: ”لَا تَنْظُرْ إِلَى وَرَائِكَ وَلَا تَقْفُ فِي كُلِّ الدَّائِرَةِ. اهْرُبْ إِلَى

<sup>٦٧١</sup> مز ٤٥: ١٠-١١.

<sup>٦٧٢</sup> بحسب الفولجاتا.

<sup>٦٧٣</sup> تك ٣١: ١١.

<sup>٦٧٤</sup> مز ٢٧: ١٣.

الجبل لِقَلًّا تَهْلِكُ،<sup>٦٧٥</sup> وأيضاً الذي يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمِجْرَاتِ يجب ألا يَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ،<sup>٦٧٦</sup> ولا يرجع من الحقل إلى المنزل. ومن لبس المسيح لا ينزل من السطح ليبحث عن ملابس أخرى.<sup>٦٧٧</sup> حَقًّا إِنَّهُ أَمْرٌ عَجِيبٌ، أَبُو يَوْصِي ابْنَتَهُ أَلَّا تَتَذَكَّرُ أَبُوهَا. "أَنْتُمْ مِنْ أَبِي هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَيْبِكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا."<sup>٦٧٨</sup> هكذا قيل لليهود، وفي موضع آخر يقول: "مَنْ يَفْعَلُ الْخَطِيئَةَ فَهُوَ مِنْ إِبْلِيسَ."<sup>٦٧٩</sup>

فنحن بالطبيعة ملطخون بالسواد لأننا مولودون من أب كهذا. حتى عندما تُبْنَا، وما دمنا لم نصل بعد في سلم الفضيلة إلى الأعلى نستطيع أن نقول، "أَنَا سَوْدَاءُ وَجَمِيلَةٌ يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ."<sup>٦٨٠</sup> ولكنك ستقولين لي: لقد تركت منزل طفولتي ونسيت أبي وولدت من جديد في المسيح.

أية مكافأة لي على هذا؟ سياق الكلام يقول: "فَيْشْتَهِي الْمَلِكُ حُسْنِكَ" وأيضاً هذا هو السر العظيم، "مِنْ أَجْلِ هَذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ الْاِثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا."<sup>٦٨١</sup> لكن ليس "جسدًا واحدًا" كما قال بل "روحًا واحدًا." إن عريسك ليس مُتَعَجِرِفًا أو مُزْدَرِيًّا، فلقد تزوج امرأة كوشية.<sup>٦٨٢</sup> ولو في مرة طلبت الحكمة من سليمان الحقيقي وأتيت له. سيعطيك كل حكمته. سوف يأخذك بيده الملكية إلى حجاله.<sup>٦٨٣</sup> وسوف يُعَيِّرُ مِنْ طَبِيعَتِكَ بِطَرِيقَةٍ إِعْجَازِيَّةٍ. لدرجة أنه سيقال عنك: "مَنْ

<sup>٦٧٥</sup> تك ١٧:١٩.

<sup>٦٧٦</sup> لو ٦٤:٩.

<sup>٦٧٧</sup> مت ١٨:١٧:٢٤.

<sup>٦٧٨</sup> يو ٨:٤٤.

<sup>٦٧٩</sup> (يو ٨:٨).

<sup>٦٨٠</sup> نش ١:٥.

<sup>٦٨١</sup> أف ٣١:٥-٣٢.

<sup>٦٨٢</sup> عد ١٢:١.

<sup>٦٨٣</sup> نش ١:٤.

## الخطابات

هَذِهِ الطَّالِعَةُ مِنَ الْبَرِّيَّةِ. ٦٨٤

(٢)

أكتب إليك أيتها السيدة إستكيوم، فأنا مُجبر أن أدعو عروس المسيح 'سيدة' هكذا، لكي أريك بكلمات الافتتاحية أن هدفي ليس أن أمدح البتولية التي تتبعينها والتي اخترت قيمتها. ولا حتى أن أحسب عيوب الزواج مثل الحمل وصراخ الأطفال والمعاناة الناتجة عن النزاعات، ورعاية أهل البيت وإدارته وكل هذه الميزات الفارغة التي يأتي عليها الموت. فليست النساء المتزوجات خارج نطاق الملكوت، ولكن لهن مكانتهن الخاصة، "لِيَكُنِ الزَّوْجُ مُكْرَمًا عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ، وَالْمُضْجَعُ غَيْرَ نَجِسٍ." ٦٨٥ لكن غرضي هو أن أريك إنك قد هربت من سدوم ويجب أن تأخذي حذرًا من تصرف امرأة لوط. ٦٨٦ وأنا أقول: لا يوجد أي إطرء في خطابي هذا، فكلمات المادح جميلة ولأجل هذا يُحسب عدوًا. ولا تنتظري أية عبارات منمقة تضعك بين مصاف الملائكة، وبينما يُمجّد خطابي البتولية المطوبة، تضع العالم تحت قدميك.

(٣)

أنا أريدك أن تكتسبي من نذر الرهينة المخافة لا الكبرياء. ٦٨٧ فعندما تسيرين مثقلة بالذهب، عليك أن تحذري اللصوص في الطريق. هذه الحياة بالنسبة لنا نحن البشر حلبة سباق، نجاهد هنا ونكلل هناك. فمن يمكنه أن يسير مطمئنًا وسط الحيات والعقارب.

٦٨٤ نش: ٨: ٥.

٦٨٥ عب: ١٣: ٤.

٦٨٦ تك: ١٩: ٢٦.

٦٨٧ رو: ١١: ٢.



إن كان الرب قد قال: "لأنه قد روي في السماوات سيفي."<sup>٦٨٨</sup> فهل تتوقعي أن تجدى السلام على الأرض؟! قطعاً لا، فالأرض لا تنبت إلا شوفاً وحسكاً، وترابها طعام الحية.<sup>٦٨٩</sup> "إِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤْسَاءِ، مَعَ السَّلَاطِينِ، مَعَ وُلَاةِ الْعَالَمِ، عَلَى ظُلْمَةِ هَذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ."<sup>٦٩٠</sup> فنحن محاطون بجيوش الأعداء.

خصوصاً نحن محيطون بنا من كل جانب. والجسد ضعيف سرعان ما يصبح رماداً. واحد ضد كثيرين، واحتمالات النصر ضعيفة. ولن تتوقف الحرب إلا عندما يتحلل الجسد ويأتي رئيس هذا العالم ولا يجد في الجسد أي خطية.<sup>٦٩١</sup> وحينها فقط سوف تسمعين قول النبي: "لَا تَحْشَى مِنْ خَوْفِ اللَّيْلِ وَلَا مِنْ سَهْمٍ يَطِيرُ فِي النَّهَارِ وَلَا مِنْ وَبَأٍ يَسْلُكُ فِي الدُّجَى وَلَا مِنْ هَلَاكِ يُفْسِدُ فِي الظَّهِيرَةِ. يَسْقُطُ عَنْ جَانِبِكَ أَلْفٌ وَرَبَوَاتٌ عَنْ يَمِينِكَ. إِلَيْكَ لَا يَقْرُبُ."<sup>٦٩٢</sup> عندما ترعجك أجناد الشر، ويلتهب جسدك وتثور عاطفتك وتقولين في قلبك ماذا أفعل؟ فإن كلمات الإشع النبي ستمنحك الإجابة: "لَا تَحْفَ، لِأَنَّ الَّذِينَ مَعَنَا أَكْثَرُ مِنَ الَّذِينَ مَعَهُمْ،"<sup>٦٩٣</sup> ويصل الإشع من أجلك قائلاً: يارب افتح أعين خادمك لكي ترى. وحينها عندما تنفتح عينيك سوف ترين مركبة نارية كتلك التي لإيليا تنتظر لتأخذك إلى السماء.<sup>٦٩٤</sup> وسوف تهتفين بفرح: "انْقَلَبْتُ أَنْفُسَنَا مِثْلَ الْعُصْفُورِ مِنْ فَخِّ الصَّيَّادِينَ."

<sup>٦٨٨</sup> إيش ٣٤:٥.

<sup>٦٨٩</sup> تك ١٨:١٤:٣.

<sup>٦٩٠</sup> أف ٦:١٢.

<sup>٦٩١</sup> يو ١٤:٣٠.

<sup>٦٩٢</sup> مز ٥٩:٥-٧.

<sup>٦٩٣</sup> مل ٦:١٦.

<sup>٦٩٤</sup> مل ٢:١١.

الْفَحْ أَنْكَسَرَ وَنَحْنُ أَنْفَلْتَنَا.”<sup>٦٩٥</sup>

(٤)

ما دمننا مقيدين في هذا الجسد الضعيف. ومادام لنا هذا الكنز في أوانٍ خزفية.<sup>٦٩٦</sup> ومادام الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد،<sup>٦٩٧</sup> لا يمكن أن يكون النصر مضمونا. ”لَأَنَّ إِبْلِيسَ خَصَمَكُمُ كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ.“<sup>٦٩٨</sup>. يقول داود: ”تَجْعَلُ ظُلْمَةً فَيَصِيرُ لَيْلٌ. فِيهِ يَدِبُّ كُلُّ حَيَوَانِ الْوَعْرِ. الْأَشْبَالُ تُزْجِرُ لِتَخْطَفَ“<sup>٦٩٩</sup> الشيطان لا يبحث عن غير المؤمنين، الذين هم من خارج، مَنْ يشوى الملك الأشوري أجسادهم في النار.<sup>٧٠٠</sup> بل كنيسة المسيح هي التي يريد سلبها ونهبها سريعا.<sup>٧٠١</sup> وكما جاء في حبقوق، ”طَعَامُهَا (طعامه) مُسَمَّنٌ.“<sup>٧٠٢</sup> كان أيوب ضحية لمكائد الشيطان. وبعد أن افترس يهوذا طلب سلطان لكي يغربل باقي الرسل.<sup>٧٠٣</sup>

لم يأت المخلص لكي يلقي سلامًا على الأرض بل سيفًا،<sup>٧٠٤</sup> لقد سقط لوسيفر نفسه، زهره بنت الصباح الذي اعتاد أن يضيء عند الفجر،<sup>٧٠٥</sup> والذي نشأ في فردوس النعيم، قد نال حُكْمًا مستحقًا: ”إِنْ كُنْتَ تَرْتَفِعُ كَالنَّسْرِ وَإِنْ

<sup>٦٩٥</sup> مز ١٢٤: ٧.

<sup>٦٩٦</sup> ٢ كو ٤: ٧.

<sup>٦٩٧</sup> غل ٥: ١٧.

<sup>٦٩٨</sup> ١ بط ٥: ٨.

<sup>٦٩٩</sup> مز ١٠٤: ٢٠.

<sup>٧٠٠</sup> أر ٢٩: ٢٢.

<sup>٧٠١</sup> معنى اسم 'مهير شلال حاش بز' الذي جاء في إش ١: ٨.

<sup>٧٠٢</sup> حبا ١: ١٦.

<sup>٧٠٣</sup> لو ٢٢: ٣١.

<sup>٧٠٤</sup> حبا ١: ١٦.

<sup>٧٠٥</sup> إش ١٤: ١٤.

كَانَ عُسْكَ مَوْضُوعًا بَيْنَ التُّجُومِ فَمِنْ هُنَاكَ أُحْدِرَكَ يَقُولُ الرَّبُّ.<sup>٧٠٦</sup> وذلك لأنه قال في قلبه "أَرْفَعُ كُرْسِيَّ فَوْقَ كَوَاكِبِ اللَّهِ،" و"أَصِيرُ مِثْلَ الْعَلِيِّ."<sup>٧٠٧</sup> بسبب هذا يقول الله كل يوم للملائكة وهم نازلون على السلم الذي رآه يعقوب<sup>٧٠٨</sup> في حلمه: "أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ إِلَهَةٌ وَبَنُو الْعَلِيِّ كُلُّكُمْ. لَكِنَّ مِثْلَ النَّاسِ تَمُوتُونَ وَكَأَحَدِ الرُّؤَسَاءِ تَسْقُطُونَ."<sup>٧٠٩</sup> فالشيطان سقط أولاً وبما أنه قيل: "اللَّهُ قَائِمٌ فِي مَجْمَعِ اللَّهِ. فِي وَسْطِ الْإِلَهَةِ يَقْضِي."<sup>٧١٠</sup> فقد كتب بولس الرسول إلى الذين توقفوا عن أن يكونوا آلهة "لَأَنَّكُمْ بَعْدُ جَسَدِيُونَ. فَإِنَّهُ إِذْ فِيكُمْ حَسَدٌ وَخِصَامٌ وَأَنْشِقَاقٌ أَلَسْتُمْ جَسَدِيِّينَ وَتَسْلُكُونَ بِحَسَبِ الْبَشَرِ؟"<sup>٧١١</sup>

(٥)

إذا كان الرسول بولس الذي كان آنية مختارة وأفرز للكراسة بإنجيل المسيح تاركا العالم، بسبب وَخَزَاتِ الْجَسَدِ وَإِعْرَاضَاتِ الشَّرِّ، أقمع جسده واستعبده. خشيه أنه بعدما كرز لآخرين يصير هو نفسه مرفوضاً. وما زال يرى ناموساً آخر في أعضائه يحارب ضد ناموس ذهنه ويسببه إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائه. وبعد العرى والصوم والسجن والجلد وكل هذا العذاب يرجع بولس الرسول إلى نفسه ويصرخ باكياً: "وَيْحِي أَنَا الْإِنْسَانُ الشَّقِيُّ! مَنْ يُنْقِذُنِي مِنْ جَسَدِ هَذَا الْمَوْتِ؟".

فهل تظني أنه يمكن أن تتخلي عن الخوف؟ لا، بل احذري حتى لا

<sup>٧٠٦</sup> عوبديا ٤.

<sup>٧٠٧</sup> إيش ١٤: ١٤.

<sup>٧٠٨</sup> تك ٢٨: ٢٨.

<sup>٧٠٩</sup> مز ٨٢: ٦.

<sup>٧١٠</sup> مز ٨٢: ١.

<sup>٧١١</sup> ١ كو ٣: ٣.

## الخطابات

يقول الله عنك: "سَقَطَتْ عَذْرَاءُ إِسْرَائِيلَ. لَا تَعُودُ تَقُومُ. انْطَرَحَتْ عَلَى أَرْضِهَا لَيْسَ مَنْ يُقِيمُهَا. . . . وَسَوْفَ أُجْرَى أَنْ أَقُولَ إِنَّ اللَّهَ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَقِيمَ عَذْرَاءَ حِينَ تَسْقَطُ. هُوَ يَقْدِرُ أَنْ يَعْفِيَ مَنْ فَسَدَتْ مِنْ عَقُوبَةِ سَقَطَتِهَا، وَكَانَ لَنْ يَعْطِيَهَا إِكْلِيلاً. لِنَخْفِ خَشِيئَهُ أَنْ تَنْطَبِقَ عَلَيْنَا الْآيَةُ الَّتِي تَقُولُ، "فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَذْبُلُ بِالْعَطَشِ الْعَذَارَى الْجُمَيْلَاتُ."<sup>٧١٣</sup> ولنلاحظ أنه تكلم عن العذارى الجميلات، لأنه توجد أيضاً عذارى شريرات. يقول الرب: "إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ."<sup>٧١٤</sup> فالبتولية إذن يمكن أن تفقد بمجرد الفكر، هؤلاء هن العذارى الشريرات، العذارى بالجسد وليس بالروح، والعذارى الجاهلات اللواتي فرغ الزيت من مصابيحهن لم يسمح لهن العريس بالدخول.<sup>٧١٥</sup>

### (٦)

ولكن إن لم تخلص البتولية الراهبات العذارى في الجسد في حال كان لهن ضعفات أخرى، فماذا سيحل بالأحرى باللواتي يدنسن أعضاء المسيح ويجولن الهيكل الذي للروح القدس إلى ماخور؟ فوراً سوف يسمعن هذه الكلمات "انزلي واجلسي على التراب أيتها العذراء ابنة بابل. اجلسي على الأرض بلا كرسي يا ابنة الكلدانيين لأنك لا تعودين تدعين ناعمة ومترفة، خذي الرحي واطحني دقيقا. اكشفي نقابك. شمري الذئيل. اكشفي الساق. اغبري الأنهار. تنكشفي عورتك وتري معاريك."<sup>٧١٦</sup> هل يصبح هذا

<sup>٧١٢</sup> عا: ٥٠.

<sup>٧١٣</sup> عا: ١٣.

<sup>٧١٤</sup> مت ٥: ٢٨.

<sup>٧١٥</sup> مت ٢٥: ١٠.

<sup>٧١٦</sup> إيش ٤٧: ١-٣.

حالتها، بعد أن كانت في حجال الله الابن، وبعد قبلاته، ذلك الذي كان لها قريب وزوج في آن واحد؟<sup>٧٧</sup> مع الأسف نعم. فالتى تغنت الكلمات النبوة من أجلها: "جُعِلَتِ الْمَلِكَةُ عَن يَمِينِكَ ... كُلُّهَا مَجْدُ ابْنَةِ الْمَلِكِ فِي خِدْرِهَا. مَنْسُوجَةٌ بِذَهَبٍ مَلَأِيسُهَا."<sup>٧٨</sup> سوف تصبح عارية وسوف ترفع تنورتها إلى وجهها.<sup>٧٩</sup> وسوف تجلس بجانب مياه الوحدة الموحشة وقوادها يجلس بجانبها.<sup>٨٠</sup> وتفتح رجلها لكل عابر، وسوف تدنس تاج رأسها.<sup>٨١</sup> كان خير لها أن تخضع لنير الزواج. وتسير في مستوى يناسبها بدلاً من أن تطمح في العلو الشاهق وتسقط في أعماق الجحيم. أتوسل اليك، لا تجعلي صهيون المدينة المؤمنة داعرة.<sup>٨٢</sup> لا تجعلي المكان الذي كان لذة للثالوث ملهى للشياطين، وموضع لأعشاش البوم، وبيت لابن آوى.<sup>٨٣</sup> ليتنا لا نُرخي الزنار الذي يمتطق الصدر. وعندما تدغدغ الشهوة أحاسيسنا، وتغرينا نار المتع الحسية بهريقها اللامع، نعود فوراً ونصرخ قائلين: "الرَّبُّ لِي فَلَا أَحَافُ. مَاذَا يَصْنَعُ فِي الْإِنْسَانِ (الجسد)."<sup>٨٤</sup> وحينما يظهر الإنسان الداخلي علامات التردد بين الرذيلة والفضيلة نقول: "لِمَاذَا أَنْتِ مُنْحَنِيَةٌ يَا نَفْسِي وَلِمَاذَا تَتَيْبَنَ فِي؟ ارْتَبِي اللَّهَ لِأَنِّي بَعْدُ أَحْمَدُهُ لِأَجْلِ خَلَاصِ وَجْهِهِ."<sup>٨٥</sup> لا يجب أبداً أن تتركي غوايات الشياطين تنمو بداخلك. ولا أفكار البلبلة الخاطئة تكتسب قوة داخل صدورك.

<sup>٧٧</sup> نش ٥: ٤.

<sup>٧٨</sup> مز ٤٥: ٩، ١٣.

<sup>٧٩</sup> أر ١٣: ٢٦.

<sup>٨٠</sup> حز ١٦: ٤٠.

<sup>٨١</sup> حز ١٦: ٢٥.

<sup>٨٢</sup> إش ١: ٢١.

<sup>٨٣</sup> إش ٣٤: ١٥، ١٣، ٢٢.

<sup>٨٤</sup> مز ١١٨: ٦، ٥٦: ٤.

<sup>٨٥</sup> مز ٤٤: ٥.

اذبحي العدو وهو ما يزال صغيراً. اقضي على الشيطان في مهده، فلا يصبح عندك محصول كبير من الزوان، ضعي في عقلك كلمات المزمور المحذرة: "يَا بِنْتَ بَابِلَ الْمُخْرَبَةَ طُوبَى لِمَنْ يُجَازِيكَ جَزَاءَكَ الَّذِي جَارَيْتِنَا! طُوبَى لِمَنْ يُمْسِكُ أَطْفَالَكَ وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ!"<sup>٢٦٦</sup> لأن الحرارة تدب بالطبيعة في عواطف الإنسان الحسية. وطوبى للذي عندما تهيج عليه العواطف الشريرة لا يعطيها مكاناً ولكن على الفور يضرب بها الصخرة، "وَالصَّخْرَةُ كَانَتْ الْمَسِيحَ."<sup>٢٦٧</sup>

(٧)

كم من المرات حينما كنت أعيش في الصحراء في قفر فسيح موحش، تجعل الناسك يعيش حياة بدائية صعبة، وبينما تلسعني الشمس المحرقة، أتخيل نفسي وسط رفاهية ومُتَمَع روما! لقد اعتدت أن أجلس بمفردي لامتلأني بالمرارة. المسوح تشوه أطرافي، وجلدي أصبح أسود مثل الكوشي بسبب الإهمال. الأنين والدموع نصيبي كل يوم. وإذا حاول الكسل يائساً أن يهزمني في معركتي ضده، فإن عظامي العارية التي بالكاد تتماسك ببعضها البعض بشدة تضرب الأرض. وبالنسبة إلى طعامي وشرابي فلن أقول شيئاً لأنه حتى في حالة المرض لا يجد الراهب شيئاً سوى الماء البارد، ولو أكل مرة طعام مطبوخ فهذا يعد انغماساً في اللذات. الآن بالرغم من خوفي من الجحيم أغلقت على نفسي في هذا السجن حيث لا يصاحبني فيه أحد سوى العقارب والحیوانات المفترسة، إلا أنني أحياناً كثيرة تخيلت نفسي وسط حشود من الفتيات. وجهي كان شاحباً وجسمي انكمش بالصوم ومع ذلك كان عقلي يشتعل بالشهوة، ولهب الرغبات يفور ويقدح أمامي رغم أن

<sup>٢٦٦</sup> مز ١٣٧: ٩.

<sup>٢٦٧</sup> ١ كو ١٠: ٤.

جسدي كان في حُكم الميت. كعاجز لا معين له، أطرَح نفسي عند قديمي المسيح، أبللها بدموعي وأمسحتها بشعر رأسي، وبعدها أخضع جسدي الثائر بأسابيع من الصوم والنسك. أنا لا أخجل بأن أعترف بالآلامي الحقيرة، ولكني أنتحب لأني الآن لست مثلما كنت قبلاً. إني أتذكر كيف كنت أصرخ باكياً طوال الليل، وإلى طلوع النهار، ولا أتوقف عن قرع صدري حتى ترجع إليّ الهدوء والسكينة بنعمة من الرب. لقد اعتدت أن أخشى صومعتي وكأنها تعرف كل أفكاري، وعندما أقسو وأثور على نفسي أهيم بمفردتي في الصحراء. أينما أرى أودية قاحلة وجبال صخرية وجرف شديد الانحدار، هناك أصنع مصلى لي. هناك يكون مكان لتقويم جسدي البائس. هناك أيضاً - الله هو شاهدي - عندما زرقت أنهار من الدموع ورفعت عيناي إلى السماء، شعرت أحياناً وكأنني وسط القوات الملائكية، و من الفرحة و السرور غنيت، "لِرَائِحَةِ أَدْهَانِكَ الطَّيِّبَةِ. . . أُجْدُبُنِي وَرَاءَكَ فَنَجْرِي".<sup>٧٢٨</sup>

(٨)

والآن، إن كان الرجال الذين هزل جسدهم من الأصوام ولا تحاربهم سوى أفكارهم يعانون من هذه التجارب، فكم بالأحرى يكون حال فتاة محاطة بكل أنواع الرفاهية والفضامة؟! بالتأكيد تنطبق عليها كلمة الرسول: "وَأَمَّا الْمُتَنَعِّمَةُ فَقَدْ مَاتَتْ وَهِيَ حَيَّةٌ".<sup>٧٢٩</sup>

لذا، إن كانت الخبرة تخول لي الحق في أن أسديك نصيحة، وتعطي وزناً لكلماتي، سوف أبدأ بأن ألح عليك وأحذرك كعروسة للمسيح أن تحذري

<sup>٧٢٨</sup> نش ١: ٤-٣.

<sup>٧٢٩</sup> ١ تي ٥: ٦.

## الخطابات

الخمر كما تحذري السم. لأن الخمر هو السلاح الأول الذي يستخدمه الشياطين ضد الشباب. لا نهم الطمع، ولا نفخة الغرور، ولا نشوة الكبرياء، تؤثر مثلما يؤثر الخمر في الإنسان. الرذائل الأخرى سهل أن نهرب منها، ولكن هذا العدو يكون كامناً داخلنا، وأينما ذهبنا نحمله معنا. ووسط حرارة الخمر وحمية الشباب تشتعل نيران الشهوة الجسدية. لماذا نلقي الزيت على اللهب؟! لماذا نضع وقوداً جديداً في جسد تعس مشتعل بطبيعته؟! بالفعل قال بولس لتلميذه تيموثاؤس: "لَا تَكُنْ فِي مَا بَعْدُ شَرَابَ مَاءٍ، بَلِ اسْتَعْمِلْ خَمْرًا قَلِيلاً مِنْ أَجْلِ مَعِدَتِكَ وَأَسْقَامِكَ الْكَثِيرَةِ."<sup>٧٣٠</sup> لكن لاحظي الأسباب التي من أجلها اعطى الإذن بشرب الخمر، وهو أن يعالج آلام المعدة وضعفاتها الكثيرة. وخشية أن نتساهل كثيراً مع أنفسنا في شرب خمر بحجة أمراضنا، أمر الرسول بكمية قليلة. وهو قد نصحه كضبيب وبس كرسول - على الرغم من أن الرسول هو ضبيب روحاني - وهو - تذكيره حتى أن يستسلم القديس تيموثاؤس للضعف. ويجعله هذا غير قادر على محي قدمًا في رحلاته المتعددة للتبشير بالإنجيل. وتذكر أنه يُضد ذكر: "وَلَا تَسْكُرُوا بِالْخَمْرِ الَّذِي فِيهِ الْخَلَاعَةُ"<sup>٧٣١</sup> فقل: "حَسْبُكَ يَا تَكُنْ حَسْبُكَ وَلَا تَشْرَبْ خَمْرًا"<sup>٧٣٢</sup>

نوح شرب الخمر وسكر. وربما لم يكن قد عرف قدرة الخمر على السكر ذلك لأنه عاش في العصر البدائي بعد الطوفان عندما زرع الكرم لأول مرة. ولكي اريك المعنى الخفي للوحى الإلهي في كل ملئه، لأن كلمة الله هي لؤلؤة، وكل جانب من جوانبها مثقول، فبعد أن سكر جاء عُرى الجسد.

<sup>٧٣٠</sup> ١ تي ٥: ٢٣.

<sup>٧٣١</sup> أف ٥: ١٨.

<sup>٧٣٢</sup> روم ١٤: ٢١.



مما يعني أن الانغماس في الملذات ينتهي بالشهوة.<sup>٧٣٣</sup> أولاً البطن تمتلئ بالطعام، ثم تثار باقي الأعضاء. تمامًا مثلما قيل بعده: "وَجَلَسَ الشَّعْبُ لِلْأَكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِللَّعِبِ."<sup>٧٣٤</sup>

لوط أيضًا صديق الله. الذي أنقذ على الجبال، وهو الوحيد الذي وُجد بارًا وسط الآلاف من أهل سدوم وعمورة، ابنتاه جعلتاه يسكر. وبالرغم من أنهما قد يكونا ارتكبتا هذا الفعل رغبة في النسل أكثر منها رغبة في المتعة الآثمة (لأنه بدا لهما أن الجنس البشري مُعرَّض للانقراض)، لكنهما أدركتا تمامًا أن الرجل البار لن يوافق على خطيتهما إلا إن كان في حالة سكر. في الحقيقة على الرغم من أنه لم يكن يدرك ما الذي فعله، وخطيته لم تكن بإرادة. مع ذلك فإن خطيته كانت شنيعة، لأنها جعلت منه أبًا لموآب وعمون، ألد أعداء إسرائيل<sup>٧٣٥</sup> الذين قيل عنهم: "لا يَدْخُلُ عَمُونِيٌّ وَلَا مُوآبِيٌّ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. حَتَّى الْجِيلِ الْعَاشِرِ لَا يَدْخُلُ مِنْهُمْ أَحَدٌ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ إِلَى الْأَبَدِ."<sup>٧٣٦</sup>

### (٩)

إيليا حينما هرب من إيزابيل جلس حزينًا ومكتئبًا تحت البلوط فأتاه ملاك وأقامه وقال له: "قُمْ وَكُلْ." ونظر فوجد "كَعَكَةً رَضْفٍ وَكُوزَ مَاءٍ"<sup>٧٣٧</sup> عند رأسه. لو أراد الله، لكان قد أرسل إلى نبيه خمرا جيدا وأطباقا دسمة ولحومًا شهية؟ وعندما استضاف إليشع بني الأنبياء على العشاء، أعطاهم فقط سليقة أعشاب ليأكلوا. وعندما صرخوا جميعًا بصوت واحد "فِي الْقَدْرِ

<sup>٧٣٣</sup> تك ٢٠:٩-٢١.

<sup>٧٣٤</sup> خر ٣:٦.

<sup>٧٣٥</sup> تك ١٩:٣٠-٣٨.

<sup>٧٣٦</sup> تث ٢٣:٣.

<sup>٧٣٧</sup> امل ١٩:٤-٦.

## الخطابات

مَوْتًا! لم يثر رجل الله على الطباخين (لأنه لم يكن معتادًا على الموائد الفخمة) بل طلب دقيقًا وألقاه في القدر،<sup>٧٣٨</sup> وأزال المرارة بقوة روحية، مثل موسى الذي أزال مرارة مياه آبار مارة.<sup>٧٣٩</sup> أيضًا عندما ذهب قوة من الرجال للقبض على النبي وضربوا بعنى عقلي وعضوي، لكي يسوقهم دون أن يدروا إلى السامرة. لاحظني ما هو الطعام الذي أمر به إيشع كي يوضع أمامهم حتى يَصْحُوا، فقد قال ”صَعَّ خُبْزًا وَمَاءً أَمَامَهُمْ فَيَأْكُلُوا وَيَشْرَبُوا ثُمَّ يَنْطَلِقُوا إِلَى سَيِّدِهِمْ“.<sup>٧٤٠</sup> ودانيال فضل أن يأكل من إفطار الحصادين الذي أحضره له حبقوق،<sup>٧٤١</sup> وهو طعام البسطاء، رغم أن في استطاعته أن يحصل على طعام شهي من مائدة الملك،<sup>٧٤٢</sup> لذلك أطلق عليه ”لَأَنَّكَ أَنْتَ مَحْبُوبٌ“،<sup>٧٤٣</sup> لأنه لم يأكل خبز الشهوات، ولم يشرب خمر الاهواء.

### (١٠)

توجد في الكتب المقدسة أجوبة إلهية لا تحصى، تدين الشره وتمدح الطعام البسيط. ولكن حيث أن الصيام ليس هو موضوعنا الحالي، فالحديث الذي يغطي موضوع الصوم يحتاج إلى مقالات كثيرة. وهذه الملاحظات القليلة كافية لتغطية السواد الأعظم من الموضوع الذي نناقشه. فبواسطتها سوف تدركين منذ إنسان الأول الذي أطاع بطنه لا الرب، طُرِحَ إلى أسفل من الجنة إلى وادي ندموع،<sup>٧٤٤</sup> ولماذا أيضًا استخدم الشيطان

٧٣٨ مل ٤: ١٨-٢٣.

٧٣٩ خر ١٥: ٢٣-٢٥.

٧٤٠ مل ٦: ١٨-٢٣.

٧٤١ تنمة دا ١٣: ٣٩.

٧٤٢ دا ١: ٨.

٧٤٣ دا ٩: ٢٣.

٧٤٤ مز ١٣٤: ٦.

سلاح الجوع ليجرب السيد المسيح نفسه في نبرية،<sup>٧٤٥</sup> ولماذا صرخ الرسول قائلاً: "الْأَطْعِمَةُ لِلْجَوْفِ وَالْجَوْفُ لِلْأَطْعِمَةِ وَاللَّهُ سَيَبِيدُ هَذَا وَتِلْكَ"،<sup>٧٤٦</sup> ولماذا أيضاً قال عن الناس المنغمسين في المذات أن، "إِلَهُهُمْ بَطْنُهُمْ"<sup>٧٤٧</sup> لأن الناس عموماً يعبدون ما يحبونه بالأكثر. لذا يجب أن تنتبهي جيداً، لأن التعفف سيعيد الإنسان مره أخرى إلى الفردوس الذي طرده الشره منه.

(١١)

ولأنك إنسانة عريقة النسب ترعرعت في الرفاهية واعتادت على أن تنام على أسرة ناعمة مريحة، فلربما تقولين لي إنك لا تستطيعين أن تستغني عن الخمر والأطعمة الشهية. وأن طريقة العيش الصارمة هذه لا تُحتمل. إذا كان هذا صحيحاً فلا أستطيع سوى أن أقول لك: عيشي إذًا بحسب قوانينك، مادامت وصايا الله عسيرة جداً عليك. فالخالق وسيد الكل لا يسر بالبطن الفارغة التي تصرخ طالبة طعاماً، ولا يهمه الصدر المحموم. لكن هذه القوانين لا غنى عنها كوسائل لحفظ العفة. أيوب كان عزيزاً لدى الله، وكاملاً، وباراً أمامه.<sup>٧٤٨</sup> ومع هذا اسمعي ما قاله عن الشيطان: "هَا هِيَ قُوَّتُهُ فِي مَتْنِيهِ loins وَشِدَّتُهُ فِي عَضْلِ بَطْنِهِ navel."<sup>٧٤٩</sup> هذه التعبيرات قد اختيرت لأجل الحشمة والأدب، ولكن المقصود هنا هو الأعضاء التناسلية لكلا الجنسين. ولهذا فقد قيل إن نسل داود الذي بحسب الوعد سوف يجلس على كرسيه، سوف يأتي "مِنْ ثَمَرَةِ بَطْنِكَ loins."<sup>٧٥٠</sup> وأيضاً الـ ٧٥ نفس من

<sup>٧٤٥</sup> مت ٤: ٣

<sup>٧٤٦</sup> ١ كو ٦: ١٣.

<sup>٧٤٧</sup> في ٣: ١٩.

<sup>٧٤٨</sup> أي ٢: ٣.

<sup>٧٤٩</sup> أي ٤٠: ١٦.

<sup>٧٥٠</sup> مز ١٣٢: ١١.

نسل يعقوب الذين جاءوا إلى مصر قيل إنهم جاءوا "مِنْ صُلْبِهِ thigh".<sup>٧٥١</sup> ولذلك أيضًا عندما تقصّ حق فخذ من الألم بعد أن صارعه الله، توقف عن الإنجاب.<sup>٧٥٢</sup> الإسرائيليين أيضًا أمروا أن يصنعوا الفصح وأحقاءهم loins من منطقة ومشدودة.<sup>٧٥٣</sup> والرب قال لأيوب: "أشدُّ الآن حَقْوَيْكَ loins كَرَجُلٍ".<sup>٧٥٤</sup> وكان يوحنا يلبس "عَلَى حَقْوَيْهِ مِنْطَقَةً مِنْ جِلْدٍ".<sup>٧٥٥</sup> وعلى الرسل أن يمنطقوا أحقاءهم loins لكي يحملوا مصابيح الإنجيل.<sup>٧٥٦</sup> عندما أخبرنا حزقيال كيف وجدت أورشليم في أرض التيه مغطاة بالدم استخدم الكلمات الآتية، "فَلَمْ تُقَطَّعْ سُرَّتُكَ navel".<sup>٧٥٧</sup>

ولهذا فعندما يهجم الشيطان على الرجال تكون قوته في حقويه loins. وعندما يهجم الشيطان على النساء تكون قوته في عضل بطنه navel.

(١٢)

هل تريدان دليلاً على كلامي هذا؟ إليك هذه الأمثلة، شمشون كان أشجع من الأسد، وأشد من الصخر. بمفرده وبدون سلاح طارد ألف رجل مسلح. وعلى الرغم من ذلك ففي حوض دليبه تبددت رباطة جأشه. داود كان رجل بحسب قلب الله، وشفته دائماً ما تغنتا للقدوس، أي المسيا المنتظر. ومع ذلك فعندما كان يتمشى على سطح بيته افتتن بعري بيتشبع وأضاف قتلاً على زنا.<sup>٧٥٨</sup> والان فكري ملياً في هذا، حتى في منزله لا يستطيع الإنسان

<sup>٧٥١</sup> تك ٤٦: ٢٦.

<sup>٧٥٢</sup> تك ٣٢: ٢٤ - ٢٥.

<sup>٧٥٣</sup> خر ١٢: ١١.

<sup>٧٥٤</sup> أي ٣٨: ٣.

<sup>٧٥٥</sup> مت ٣: ٤.

<sup>٧٥٦</sup> لو ١٢: ٣٥.

<sup>٧٥٧</sup> حز ٣٦: ٤ - ٦.

<sup>٧٥٨</sup> صم ٢: ٩.

أن يستخدم عينه بدون خطورة. وبعد التوبة قال للرب: "إِلَيْكَ وَحَدَاكَ  
أَخْطَأْتُ وَالشَّرَّ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ صَنَعْتُ."<sup>٧٥٩٠</sup> فلكونه ملكًا، لم يخش أي شخص  
آخر.

وأيضًا مع سليمان، الحكمة استخدمته لتنشد تسابيحها وتحدث عن كل  
النباتات. من الأرز الذي في لبنان إلى الزوفا النبات على الحائط.<sup>٧٦٠</sup> وبرغم  
هذا زاع عن السير وراء الرب لأنه كان محبًا للنساء.<sup>٧٦١</sup> وكأنما ليظهر أنه لا  
توجد وقاية حتى في صلة القرابة اللصيقة، كُتب أن أمنون اشتعل بعاطفة  
محرمة بأخته ثامار.<sup>٧٦٢</sup>

### (١٣)

لا أقوى على الحديث عن كم العذارى اللواتي يسقطن يوميًا ويضعن  
من حضن الكنيسة أمهن. كم من نجمة أقام العدو المتكبر عليها  
عرشه!<sup>٧٦٣</sup> كم من صخرة حفرت فيها الحية واستقرت بين شقوقها. يمكنك  
رؤية العديد من النساء أرامل من دون أن يتزوجن! يحاولن أن يخفين  
سقطاتهن المُقَرَّزة بأردية كاذبه. وفي حال لم تفضحن بطونهن المنتفخة، أو  
صراخ رضعانهن، يخرجن خارجًا بخطوات محتالة ورؤوسهن مرفوعة. ويصل  
الأمر بالبعض إلى شرب وصفات لضمان عدم الإنجاب. وبهذا يقتلن البشر  
حتى من قبل أن يُجبل بهم. والبعض حينما يجبلن جراء الخطيئة، يستخدمن  
عقاقير تسبب الإجهاض. وعندما يَمُتُنَّ مع الجنين -وهذا ما يحدث غالبًا -  
يؤخذن إلى العالم السفلي، مثقلات ليس فقط بخطية الزنا عن المسيح بل

<sup>٧٥٩</sup> مز ٥١: ٤.

<sup>٧٦٠</sup> امل ٤: ٣٣.

<sup>٧٦١</sup> امل ١١: ٤-١.

<sup>٧٦٢</sup> صم ١٣.

<sup>٧٦٣</sup> إيش ١٤: ١٣.

بخطية الانتحار وقتل الأطفال.

ومع ذلك هؤلاء هن من يقنن: "كُلُّ شَيْءٍ ظَاهِرٌ لِلظَّاهِرِينَ" <sup>٧٦٤</sup> يكفي ضميري ليكون مرشداً لي، ما يريد الله هو القلب النقي، ولماذا أحرم نفسي من لحوم خلقها الله لتأكلها مع الشكر؟ <sup>٧٦٥</sup> وعندما يُردن أن يظهرن مقبولات ومفرحات يغرقن أنفسهن أولاً في الخمر. ثم يضيفن على السكر استباحة، وتقول الواحدة منهن: "حاشا لي أن أمتنع عن دم المسيح"، وعندما يرون امرأة شاحبة وحزينة، يقولون عنها إنها محطمة أو من جماعة المانيين <sup>٧٦٦</sup> manichæan بأثمة. هم بالفعل في هذا محقين، فبحسب مبادئهم يُعد الصوم هرطقة. وعندما يخرجن إلى خارج يبذلن ما في وسعهن لكي يجذبن الأنظار، ويأماءتهن وغمزاتهن يشجعن حشود من الشباب الصغير أن يتبعهن. وعلى كل واحد منهن تنطبق كلمات النبي "وَجَبَّهُةُ امْرَأَةٍ زَانِيَةٍ كَأَنَّ لَكَ أَبِيتٌ أَنْ تَحْجَلِي." <sup>٧٦٧</sup>

أرديتهن ليس فيها إلا شريط أرجواني رفيع. <sup>٧٦٨</sup> وفي الحقيقة لا يربطن غطاء الشعر على رؤوسهن كي يتركن شعرهن يتدلى بحرية. وعلى أكتافهن يرفرف وشاح يسمونه 'مافورت' <sup>٧٦٩</sup> Ma-forte ويلبسن في أرجلهن شباشب رخيصة، وعلى أذرعتهن قمصان بأكمام ضيقه مُشمره. إن أضفت إلى كل هذه العلامات التي تميزهن طريقة مشيهن المتحررة ستصيرين مثلهن في بتوليتهن! قد يكون لهن معجبون، لذلك سيتكبدن ثمناً أفدح في سوق

<sup>٧٦٤</sup> تي ١: ١٥

<sup>٧٦٥</sup> تي ٤: ٣.

<sup>٧٦٦</sup> من أتباع هرطقة ماني الذي اعتبر أن المادة شر وحرم الخمر واستعمل الماء بدلاً منه في القداس. وقد انتشرت جماعات رهبانية منهم.

<sup>٧٦٧</sup> أر ٣: ٣.

<sup>٧٦٨</sup> هذا الشريط يميز ما بين العامة والنبلاء، فالعامة عندهم الشريط ضيق أما عند النبلاء فواسع.

<sup>٧٦٩</sup> Maforte: زي خاص كان يميز بين المتزوجات وغير المتزوجات.

الهلاك، لأنهن لُقبن راهبات. إن أمثال هؤلاء العذارى يثرن امتعاضِي.

(١٤)

إني أخجل من أن أتكلم عن هذه الفضيحة، ومع أنها شيء صادم جدًا إلا أنه أمر واقع. كيف انتشر هذا الوباء الذي يسمى الأجابيتا<sup>٧٧</sup> Agapetae (الاخوات المحبوبات - dearly beloved sisters) في الكنيسة؟ من أين أتت هؤلاء الزوجات بغير زواج، السراري الجدد، سوف أدعوهم بغايا على الرغم من أنهن يلتصقن برفيق واحد. لأن بيت واحد يأويهما، وغرفة واحدة تجمعهما، وغالبًا ما يشتركون في سرير واحد! ومع ذلك يسموننا شكاكين إذا تصورنا عنهم أي شيء خطأ!

أخ يترك أخته العذراء، وعذراء تزدرى بأخاها غير المتزوج وتطلب أخًا غريب عنها! كلاهما يتظاهران أنهما لا يريدان إلا شيء واحد، وهو التعزية الروحية ممن ليسوا أقرباء بالجسد. لكن هدفهما الحقيقي هو أن ينغمسا في علاقة جنسية. لقد استنكر سليمان في الأمثال مثل هذا الوضع قائلاً: "أَيَأْخُذُ إِنْسَانٌ نَارًا فِي حِضْنِهِ وَلَا تَحْتَرِّقُ ثِيَابَهُ؟ أَوْ يَمِشِي إِنْسَانٌ عَلَى الْجَمْرِ وَلَا تَكْتَوِي رِجْلَاهُ؟"<sup>٧٨</sup>

(١٥)

إذًا، دعينا نشيخ بوجهنا عن هؤلاء اللواتي يردن فقط أن يظهرن بمظهر

<sup>٧٧</sup> Agapetae: انتشر في ذلك الوقت هذه الظاهرة في الكنيسة في بعض المناطق، حيث تعيش العذراء مع شخص غريب عنها علماني (layman) ليس من الكليروس وهذا العلماني يكون أيضًا قد نذر البتولية. ويكون عمله هو الاهتمام بمحاجات أخته العذراء المادية، وقد أدان كل من كبريانوس وجيروم وذهي الفم الظاهرة ومنع في مجمع أنقره سنة ٣١٤م بعد أن انتشرت فضائح كثيرة منهم، وهذا النوع يختلف عن الراهبات اللواتي تعشن مع الكليروس (Subintroductae) الظاهرة التي شجبهها القانون الثالث من قوانين مجمع نيقية (٣٢٥م). وكلمة Agapetae: كلمه يونانيه تعني المحبوبات (beloved). (م)

<sup>٧٨</sup> أم ٦: ٢٧-٢٨.

## الخطابات

الراهبات وهن لسن راهبات. لذلك فمن الآن وصاعدًا سأوجه كلامي كله إليك، يا من قُدِّر لك أن تكوني أول عذراء من أصول نبيلة في روما، لأحثك على أن تجتهدى بكِدٍ أكثر حتى لا تحسري السعادة الحاضرة والآتية. على الأقل أنتِ أدركت من الظروف التي مرت بها عائلتك مشكلات وتقلبات الحياة الزوجية. أختك بلاسيللا، الأكبر منك سنًا لكنها أقل منك برفضها نذر البتولية، قد أصبحت أرملة بعد أن اتخذت زوجًا لمدة ٧ شهور فقط. ما أتعس حظنا نحن الأموات الذين لا نعرف ما الذي سوف يواجهنا. فهي فقدت في وقت واحد تاج البتولية وسعادة الحياة الزوجية، وكونها أرملة، فلها الدرجة الثانية من البتولية. ورغم هذا لن تتخبي مقدر المصاعب والمحن المتواصلة التي ستحملها. فيوميًا ستري في أختها العذراء ما فقدته هي نفسها. وبينما ستختبر مدى صعوبة الاستمرار بدون متعة الزواج التي سبق وتذوقتها، فالجزء أيضًا سيكون أقل من جزائك. ولكن على الرغم من كل هذا، هي ممكن أن تتشجع وتبتهج. فالزرع الذي يثمر مائة والذي يثمر ستين ينميان كلاهما من بذرة واحدة، وهذه البذرة هي العفة.<sup>٧٢</sup>

(١٦)

لا تجلسي في مجلس النساء المتزوجات، ولا تزوري بيوت الأثرياء، ولا تتطلعي كثيرًا إلى المعيشة التي سبق وازدريتها لكي تصبحي راهبة. نساء العالم كما تعلمين، يتباهين بأنفسهن لأن أزواجهن في القضاء أو في منزلة رفيعة. زوجة الإمبراطور دائمًا يتلهف لزيارتها حشد كبير فلماذا إذن تسيئي إلى زوجك؟ لماذا يا عروس الرب تسرعين إلى زيارة زوجة مجرد إنسان

<sup>٧٢</sup> مت ١٣: ٨.



عادي؟ تعلّمي من هذا الأمر يا أيتها العروس المقدسة، بأنك أفضل منهن جميعاً.

يجب أيضًا ألا تتجني فقط الاتصال بمن يتفاخرن بمقام أزواجهن، ويحطن أنفسهن بالعديد من الخصيان، ويلبسن ثيابًا مطرزة بخيوط من الذهب. بل أيضًا تجني الأرامل اللواتي هن مضطرات أن يكن أرامل وليس عن رغبة، وليس المقصود عن رغبة أنهن يرغبن بموت أزواجهن، ولكن المقصود هن اللواتي لم يرحبن بفكرة التعفف حين توفرت لهن. هؤلاء يتغير رداؤهن فقط ولكن رغباتهن القديمة لا تتغير. عندما تريهن في مخفاتٍ واسعة وأردية حمراء وأجساد ممتلئة وصفوف من الخصيان يمشون أمامهن، سوف تدركين أنهن لم يفقدن أزواجهن بل يبحن عنهن. بيوتهن ملآنة بالمرائين والزوار. الإكليروس أنفسهم الذين يجب أن يرشدونهن بواسطة تعاليمهم وسلطانهم يقبلون جبهات هؤلاء السيدات ويمدون لهن أيديهم. ليخيل لك (إن لم تكوني على دراية بحقيقة الامر) إنهم يباركونهن، ولكن في الحقيقة لكي يأخذوا أجره الزيارة. وبسبب ظنهن أن الإكليروس لا يقدرون على الاستغناء عنهن فيزددن في الكبرياء. وبما أنهن اختبرن كلا الحالتين، فهن يفضلن رخصه الترميل عن قيود الزواج، فيلقبن أنفسهن بالراهبات أو اللواتي يعشن بالعفة. وبعد عشاء مفرط، يخلدن إلى الراحة، ويحلمن بالرسل!!

(١٧)

لكن اجعلي مجلسك وسط النساء الشاحبات والهزليات من الصوم. أعمارهن وسلوكهن تشهد لهن، وترنيمة قلوبهن اليومية "أخبرني يا مَنْ نُحِبُّهُ

## الخطابات

نَفْسِي أَيَّنَ تَرَعَى أَيَّنَ تُرْبِضُ عِنْدَ الظَّهيرةِ. “٧٧٣ من تقلن بصدق حقيقي ”لي  
اشتفاء أن أنطلق وأكون مع المسيح. “٧٧٤

كوني خاضعه لوالديك، متشبهة بعريسك. ٧٧٥ لا تسافري إلا نادراً، وإذا  
أردت أن تسعى وراء الشهداء لتساعدتهم وتعينهم. افعلي ذلك وأنت في  
قلايتك. لن تحتاجي أبداً إلى أعذار لكي تخرجي إن كنت لا تخرجين إلا  
للضرورة.

كُلي باعتدال ولا تملئي بطنك، لأن هناك نساء كثيرات بينما يجترسن من  
الخمير، لا يجترسن من الطعام. فعندما تقومين في الليل للصلاة اجعلي  
نسماتك تخرج من معدة خالية لا ممتلئة.

دائماً اقرئي، تعلمي بقدر ما تستطيعين، دعي النوم يأتيك والكتاب ما زال  
في يدك. وعندما تسقط رأسك من النعاس دعيتها تسقط على الإنجيل وهو  
مفتوح.

داومي على الصوم يومياً، وإفطارك يكون بسيطاً لا يسبب التخمة. فما  
المنفعة في أن تكون لنا معدة خاوية كل يومين أو ثلاثة إن كان هذا إعداداً  
للامتلاء والتخم؟! فعند التخمة يخمل العقل فوراً، فعندما تبتل الأرض،  
سرعان ما تنمو أشواك الشهوة.

إذا شعرت في مره أن إنسانك الخارجي يتحسر على ريعان شبابه. وعندما  
تضطجعين على فراشك بعد الأكل إذا أُثرت بأفكار متتابعة من الإغراءات  
الحسية. تقلدي حينها بترس الإيمان، فهو وحده القادر أن يطفئ سهام

٧٧٣ نش: ١: ٧.

٧٧٤ في: ١: ٢٣.

٧٧٥ لو: ٢: ٥١.

إبليس المتقدة ناراً.<sup>٧٧٦</sup> قال النبي: "كُنْهُمْ فَاسِقُونَ"، و"يُقَرَّبُونَ قُلُوبَهُمْ فِي مَكِيدَتِهِمْ كَالثَّنُورِ".<sup>٧٧٧</sup> لكن تمسكي بخضى الرب يسوع وتأملي الكلام القائل: "أَلَمْ يَكُنْ قَلْبُنَا مُلْتَهَبًا فِينَا إِذْ كَانَ يُكَلِّمُنَا فِي الطَّرِيقِ وَيُوضِحُ لَنَا الْكُتُبَ؟"<sup>٧٧٨</sup> وأيضاً "كَلِمَتِكَ مُمَحَّصَةٌ جِدًّا وَعَبْدُكَ أَحَبَّهَا".<sup>٧٧٩</sup> من الصعب على النفس البشرية ألا تقع في حب شيء، وعقلنا بسبب الضرورة يستسلم إلى الميل ناحية نوع أو آخر من العواطف. لذلك فالحب الحسي يُغلب بالحب الروحي، والهوى يُحمد بهوى آخر، وما يؤخذ من شهوة يزيد الشهوة الأخرى. لذلك، عندما تستلقين على الفراش قولي مراراً وتكراراً: "فِي اللَّيْلِ عَلَى فِرَاشِي ظَلَبْتُ مَنْ حُبُّهُ نَفْسِي".<sup>٧٨٠</sup> إن الرسول يقول: "أَمَيْتُوا أَعْضَاءَكُمْ الَّتِي عَلَى الْأَرْضِ".<sup>٧٨١</sup> ولأنه هو نفسه فعل هذا، لذا قال بثقة كلماته التالية: "فَأَحْيَا لَا أَنَا بَلِ الْمَسِيحِ يَحْيَا فِيَّ".<sup>٧٨٢</sup> فالذي أَمَات أَعْضَاءَهُ وَيَشْعُرُ أَنَّهُ "إِنَّمَا كَخَيَالٍ يَتَمَسَّى الْإِنْسَانُ".<sup>٧٨٣</sup> لا يخشى أن يقول "صِرْتُ كَرَقٌ فِي الدُّخَانِ"<sup>٧٨٤</sup>، ومهما يكون في من ندى الشهوة سوف يجف على الفور. وقال أيضاً "رُكْبَتَايَ ارْتَعَسَتَا مِنَ الصَّوْمِ"،<sup>٧٨٦</sup> و"سَهَوْتُ عَنْ أَكْلِ خُبْزِي. مِنْ صَوْتِ تَنَهْدِي لَصِقَ عَظْمِي بِلَحْيِي".<sup>٧٨٧</sup>

<sup>٧٧٦</sup> أف: ٦: ١٦.

<sup>٧٧٧</sup> هو: ٧: ٤-٦.

<sup>٧٧٨</sup> لو: ٢٤: ٣٢.

<sup>٧٧٩</sup> مز: ١١٩: ١٤٠.

<sup>٧٨٠</sup> نش: ٣: ١.

<sup>٧٨١</sup> كو: ٣: ٥.

<sup>٧٨٢</sup> غل: ٢: ٢٠.

<sup>٧٨٣</sup> مز: ٣٩: ٦.

<sup>٧٨٤</sup> "كرقي في الدخان" جاءت في الفولجاتا "كرقي في الجليد".

<sup>٧٨٥</sup> مز: ١١٩: ٨٣.

<sup>٧٨٦</sup> مز: ١٠٩: ٢٤.

<sup>٧٨٧</sup> مز: ١٠٢: ٥.

كوني كالجنذب (الذي يصفر بالليل) وإملئي الليل بالموسيقى. بالليل اغسلي فراشك وبللي مضجعك بدموعك.<sup>٧٨٨</sup> تأملي عصفور الدور، وكوني مثله كعصفور منفرد على السطح.<sup>٧٨٩</sup> رتلي بالروح ورتلي بالذهن أيضًا.<sup>٧٩٠</sup> واجعلي ترتيلك من ناظم الزامير الذي يقول: "باركي يَا نَفْسِي الرَّبَّ وَلَا تَنْسِي كُلَّ حَسَنَاتِهِ. الَّذِي يَغْفِرُ جَمِيعَ ذُنُوبِكَ. الَّذِي يَشْفِي كُلَّ أَمْرَاضِكَ. الَّذِي يَفْدِي مِنَ الْخُفْرَةِ حَيَاتَكَ. الَّذِي يُكَلِّلُكَ بِالرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ."<sup>٧٩١</sup>

هل يستطيع أي منا فعلاً أن يجعل هذه الكلمات كلماته لشخصية: "بَلِي قَدْ أَكَلْتُ الرَّمَادَ مِثْلَ الْخُبْزِ وَمَزَجْتُ شَرَابِي بِدُمُوعٍ."<sup>٧٩٢</sup> بالإضافة إلى ذلك. الأنبكي ونثن حينما تغويننا الحية كما أغوت ونيدت نذويتين لكي يأتيا من الثمرة المحرمة. وبعدما تطردنا من فردوس البتولية تريد أن تلبسنا أردية جلدية، مثل التي تركها إيليا وراءه على الأرض عائداً إلى الفردوس.<sup>٧٩٣</sup>

قولي لنفسك: ما المنفعة التي تعود عليّ من إشباع اللذة الحسية التي سرعان ما تنتهي؟ ما لي ونغمات السيرانة<sup>٧٩٤</sup> العذبة جداً والمميتة أيضًا لكل من يسمعها؟

لست مضطرة للخضوع تحت العقوبة التي حُكم بها على البشرية كلها، عندما قال الرب لحواء: "تَكْثِيرًا أَكْثَرُ أَتْعَابَ حَبْلِكَ. بِالْوَجَعِ تَلْدِينَ

<sup>٧٨٨</sup> مز ٦: ٦.

<sup>٧٨٩</sup> مز ١٠٢: ٧.

<sup>٧٩٠</sup> ١ كو ١٤: ١٥.

<sup>٧٩١</sup> مز ١٠٣: ٢-٤.

<sup>٧٩٢</sup> مز ١٠٢: ٩.

<sup>٧٩٣</sup> ٢ مل ٢: ١٣.

<sup>٧٩٤</sup> السيرانه Sirens: أسطورة يونانية تقول إنها عبارة عن حوريات بحر تغني أغاني عذبة تسحر البحارين فتجذبهم إلى الشواطئ الصخرية فتتخطم سفنهم ويغرق البحارة.

أولاً دَا:“ قولي لنفسك؛ هذا عقاب للمرأة المتزوجة، وليس لي. وعندما يقول الرب أيضاً: ”وإلى رَجُلِكَ يَكُونُ اسْتِيَاقُكَ،“<sup>٧٩٥</sup> قولي أيضاً: ليكن اشتياقها لزوجها من لا يكون المسيح عريسها. وعندما يقول أخيراً: ”موتاً تموت،“<sup>٧٩٦</sup> قولي مرة أخرى: حتماً سوف ينتهي الزواج بالموت، ولكن الحياة التي عزمت عليها بعيدة كل البعد عن الزواج. ليحتفظ المتزوجات بمكانتهن وألقابهن التي تخصهن، أما بتوليتي فهي مقدسة، في شخص القديسة مريم والسيد المسيح له المجد.

(١٩)

قد يقول قائل: هل تجرؤ وتخط من قدر الزواج الذي باركه الله؟ لا، فأنا لا أنتقض من قدر الزواج حينما أضع البتولية في المقدمة. لا أحد يقارن الشيء الرديء بالشيء الجيد. فليهنئن النساء المتزوجات أنفسهن لأنهن خلف البتوليات مباشرةً.

يقول الرب، ”أَثْمُرُوا وَاكْتُرُوا وَأَمَلُّوا الْأَرْضَ وَأَخْضِعُوهَا.“<sup>٧٩٧</sup> فمن يُرد أن يملأ الأرض فليثمر ويتكاثر إذا أراد. ولكن المكان الذي تنتمين إليه ليس على الأرض إنما في السماء. إن الوصية بالإثمار لم تحقق وتنفذ إلا بعد الطرد من الجنة، بعد العري وأوراق التين التي تدل على الرغبات الجنسية.

فليتزوجوا إذن من يأكلون خبزهم بعرق وجههم، وأرضهم تنبت شوكة وحسكاً،<sup>٧٩٨</sup> وزرعهم مخنوق بالأشواك. أما أنا فزرعي ينبت مائة،<sup>٧٩٩</sup> ”لَيْسَ

<sup>٧٩٥</sup> تك ٣: ١٦.

<sup>٧٩٦</sup> تك ٣: ١٩.

<sup>٧٩٧</sup> تك ١: ٢٨.

<sup>٧٩٨</sup> تك ٣: ١٨.

<sup>٧٩٩</sup> انظر الخطاب (٤٨).

## الخطابات

الْحَمِيمُ يَقْبَلُونَ هَذَا كَلَامًا بِي تَمَيُّنٍ غَضِيٍّ نَهُم. <sup>٨٠٠</sup> بعض الناس خُصوا <sup>٨٠١</sup> مضطرين، ولكن أذ فير دتي حرة.

”لِتَفْرِيقِ الْحِجَارَةِ وَقْتُتْ وَرَجْعِ حِجَارَةِ وَقْتُتْ. لِلْمُعَانَقَةِ وَقْتُتْ وَلِلْإِنْفِصَالِ عَنِ الْمُعَانَقَةِ وَقْتُتْ. <sup>٨٠٢</sup> لَأَنَّ. مِنْ حِجَارَةِ الصَّلْبَةِ، الَّتِي هِيَ الْأُمَمُ، أَقَامَ الرَّبُّ أَوْلَادًا لِإِبْرَاهِيمَ وَأَصْبَحُوا كَحِجَارَةِ النَّجَاحِ مَرْفُوعَةً عَلَى أَرْضِهِ. <sup>٨٠٣</sup> وَيَأْتُونَ مِنْ شَتَّى أُنْحَاءِ الْأَرْضِ وَيُرْفَعُونَ إِلَى مَرَكِبَةِ اللَّهِ ذَاتِ الْبِكْرَاتِ السَّرِيعَةِ.

ليخطن لأنفسهن قميصًا من فقدن قميص المسيح المنسوج كله من فوق بغير خياطة. <sup>٨٠٤</sup> اللواتي يُبهجهن صراخ الأطفال الذين أول ما يرون النور سرعان ما يصرخون ويبكون لأنهم ولدوا.

في الفردوس حواء كانت عذراء ولكن فقط بعد الأقمصة الجلدية بدأت حياتها الزوجية. الفردوس الآن هو مسكنك أنت أيضًا، فحافظي على ميراثك هذا الذي لك وقولي: ”ارْجِعِي يَا نَفْسِي إِلَى رَاحَتِكَ لِأَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ.“ <sup>٨٠٥</sup>

لإظهار أن البتولية هي الأصل وأن الزواج جاء بعد العصيان، فإن نتاج الزواج هو جسد بتولي. لذا، هو يعيد في الثمر ما قد فقدته الجذور.

”وَيَخْرُجُ قَضِيبٌ مِنْ جِذْعِ يَسَى وَيَنْبُتُ عُصْنٌ مِنْ أُصُولِهِ“ <sup>٨٠٦</sup>

<sup>٨٠٠</sup> مت ١١: ١٩.

<sup>٨٠١</sup> مت ١٩: ١٢.

<sup>٨٠٢</sup> جا ٣: ٥.

<sup>٨٠٣</sup> زك ٩: ١٦.

<sup>٨٠٤</sup> يو ١٩: ٢٣.

<sup>٨٠٥</sup> مر ١١٦: ٧.

<sup>٨٠٦</sup> إش ١١: ١.

القضيب<sup>٨٠٧</sup> هي أم الرب، البسيطة النقية غير الدنسة، التي لم تستقبل بذرة الحياة من خارجها، ولكن مثمرة في عذراويتها مثل الرب نفسه. أما زهرة القضيب فهو المسيح الذي قال عن نفسه: "أَنَا نَرْجِسُ شَارُونَ سَوْسَنَةُ الْأَوْدِيَةِ."<sup>٨٠٨</sup> وفي موضع آخر قيل عنه بالنبوة: "قُطِعَ حَجَرٌ مِنْ جَبَلٍ لَا يَبْدَيْنِ"<sup>٨٠٩</sup> تشبيهه أراد به النبي ان يوضح انه سيولد بتول من عذراء، لأن اليمين هنا كناية عن الزيجة، مثل ما جاء في الآية: "شِمَالُهُ تَحْتَ رَأْسِي وَيَمِينُهُ تُعَانِقُنِي."<sup>٨١٠</sup> وهذا أيضًا يتوافق مع تفسير أن الحيوانات غير الطاهرة كانت تدخل فلك نوح في أزواج، بينما الطاهرة في عدد فردي<sup>٨١١</sup> وعلى نحو مماثل فموسى ويشوع عندما أمرا أن يخلعا أحذيتهما لأن الأرض التي يقفا عليها أرض مقدسة،<sup>٨١٢</sup> كان للوصية معنى سرى. كذلك أيضًا الرسل حينما تعينوا ليكرزوا بالإنجيل قيل لهم ألا يأخذوا معهم أحذية ولا أربطة أحذية.<sup>٨١٣</sup> وعندما ألقى الجنود قرعة على ثياب يسوع<sup>٨١٤</sup> لم يجدوا أحذية ليأخذوها، لان الرب لا ينبغي أن يملك ما قد منع تلاميذه ان يملكوه.

(٢٠)

أنا أمدح الزواج فقط لأنه ينتج عذارى، أنا أجمع الورد من الأشواك،  
والذهب من التراب، واللؤلؤ من الصدف.

<sup>٨٠٧</sup> قضيب باللاتينية يعني *virg*، وهي تشبه كلمة *virgo* أي عذراء.

<sup>٨٠٨</sup> نش ٢: ١.

<sup>٨٠٩</sup> دا ٢: ٤٥.

<sup>٨١٠</sup> نش ٢: ٦.

<sup>٨١١</sup> تك ٧: ٢.

<sup>٨١٢</sup> خر ٥٥: ٥، يش ١٥: ٥.

<sup>٨١٣</sup> مت ١٠: ١٠، بحسب السبعينية وهي تشير إلى الاعمال الميتة.

<sup>٨١٤</sup> يو ١٩: ٢٤، ٢٤.

”هَلْ يَحْرُثُ الْحَارِثُ كُلَّ يَوْمٍ لِيَزْرَعَ وَيَشُقَّ أَرْضَهُ وَيُمَهِّدَهَا؟“<sup>٨١٥</sup> أَلنَّ يَتَمَتَّعُ أَيْضًا بِثَمَرِ تَعْبِهِ؟ تَزِدَادُ كِرَامَةِ الزَّوْجِ كُلَّمَا زَادَ حُبْنَا لثَمَرِهِ.

لماذا يا أم تشتكين من بتولية بنتك، فقد رضعت من لبنك وجاءت من رحمك وترعرعت في حضنك. رعايتك المحبة هي التي حفظت لها بتوليتها. هل أنت غاضبة منها لأنها اختارت أن تكون زوجة لملك وليس لجندي؟ لقد أنعمت عليك بامتياز كبير لقد أصبحت أنت اليوم حماة الرب.

يقول الرب: ”وَأَمَّا الْعَذَارَى فَلَيْسَ عِنْدِي أَمْرٌ مِنَ الرَّبِّ فِيهِنَّ.“<sup>٨١٦</sup> لماذا لا يوجد أمر؟ لأن بتوليته ليست نتيجة لأمر بل لاختياره الحر. ولن لا يصح أن نسمع لهم ويشيعون كذبًا بأنه كان متزوج عندما كان يتكلم عن العفة ويمدح البتولية الدائمة، وجّه الكلمات الآتية: ”لَأَنِّي أُرِيدُ أَنْ يَكُونَ جَمِيعُ النَّاسِ كَمَا أَنَا.“<sup>٨١٧</sup> وفي آية أخرى، ”أَلَعَلَّنَا لَيْسَ لَنَا سُلْطَانٌ أَنْ نَحْوَلَ بِأُخْتِ زَوْجَةٍ كَبَاتِي الرُّسُلِ وَإِخْوَةَ الرَّبِّ وَصَفَاءَ؟“<sup>٨١٨</sup> وَأَيْضًا ”وَلَكِنْ أَقُولُ لِغَيْرِ الْمُتَزَوِّجِينَ وَاللَّارَامِلِ إِنَّهُ حَسَنٌ لَهُمْ إِذَا لَبِثُوا كَمَا أَنَا.“<sup>٨١٩</sup>

لماذا إذن هو ليس عنده أمر من الرب بخصوص العذارى؟ لأن كل من يقدم شيء بإرادته وباختياره، يكون أثنى بكثير من أن ينتزع منه بالقوة والغضب. هذا بالإضافة إلى أن الأمر بالبتولية سيلغي الزواج، ولكان قانون صعب يكره الإنسان على السلوك عكس طبيعته الارضية، ويغضب البشر على الحياة الملائكية. وليس هذا فقط، لكنه أيضًا يجعل التدبير الإلهي للبشرية شيء خاطيء.

<sup>٨١٥</sup> إيش ٢٨: ٢٤.

<sup>٨١٦</sup> ١كو ٧: ٢٥.

<sup>٨١٧</sup> ١كو ٧: ٧.

<sup>٨١٨</sup> ١كو ٩: ٥.

<sup>٨١٩</sup> ١كو ٧: ٨.



(٢١)

كان للناموس القديم نموذج مختلف للبركة. فقد قيل فيه: "طوبى للرجل الذي له زرع في صهيون وأهل في أورشليم،"<sup>٨٢٠</sup> فقد كانت "العاقِرُ الَّتِي لَمْ تَلِدْ."<sup>٨٢١</sup> ملعونة ومستوحشة. وأيضًا، "بُنُوكَ مِثْلُ غُرُوسِ الرِّيتُونِ حَوْلَ مَائِدَتِكَ."<sup>٨٢٢</sup> الغنى أيضًا كان هو الوعد بالبركة للرجل المؤمن، لذا قيل: "فَأَخْرَجَهُمْ بِفِضَّةٍ وَذَهَبٍ وَلَمْ يَكُنْ فِي أَسْبَابِهِمْ عَائِرٌ."<sup>٨٢٣</sup>

أما الآن فحتى الحصيان قيل لهم: "وَلَا يَقُلِ الحِصِيُّ: هَا أَنَا شَجَرَةٌ يَابِسَةٌ."<sup>٨٢٤</sup> لأنه عوض عن الأولاد والبنات، لك مكان دائم في السماء. والفقراء الآن مطوّبون، فلعازر حاليًا في مرتبة أعلى من الغني بثيابه الأرجوانية.<sup>٨٢٥</sup> الآن، الضعيف فليحسب نفسه قويًا. قديمًا كان العالم غير أهل بالسكان، تبعًا لذلك، عدم الإنجاب لا يعد سوى مثال ورمز، والذين يعتبرون سعداء هم الذين يمكنهم التباهي بالأولاد. ولأجل هذا السبب، تزوج ابراهيم في شيخوخته من قطورة.<sup>٨٢٦</sup> وليئة استأجرت يعقوب بلفاح ابنها.<sup>٨٢٧</sup> ومن الواضح أن راحيل الجميلة، مثال الكنيسة، كانت تشكوا من أن رحمها مغلق.<sup>٨٢٨</sup>

ولكن نمت البذرة تدريجيًا والحاصد خرج ومعه منجله. إيليا عاش

<sup>٨٢٠</sup> إش ٣١: ٩ من السبعينية.

<sup>٨٢١</sup> إش ٥٤: ١.

<sup>٨٢٢</sup> مز ١٢٨: ٣.

<sup>٨٢٣</sup> مز ١٠٥: ٣٧.

<sup>٨٢٤</sup> إش ٥٦: ٣.

<sup>٨٢٥</sup> لو ١٩: ١٩.

<sup>٨٢٦</sup> تك ٢٥: ١.

<sup>٨٢٧</sup> تك ٣٠: ١٤-١٦.

<sup>٨٢٨</sup> تك ٣٠: ١٣.

## الخطابات

حياة البتولية، وكذلك فعل إيشع والكثير من أولاد الأنبياء. وإيرميا جاءت الوصية: "لَا تَتَّخِذْ لِنَفْسِكَ امْرَأَةً وَلَا يَكُنْ لَكَ بَنُونَ وَلَا بَنَاتٌ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ."<sup>٨٢٩</sup> فهو كان مكرسًا منذ أن كان في رحم أمه.<sup>٨٣٠</sup> ومُنِعَ من أن يأخذ لنفسه امرأة لأن السبي حينها كان وشيك الحدوث. الرسول أعطى نفس النصيحة ولكن بكلمات مختلفة قائلاً: "فَأُظَنُّ أَنَّ هَذَا حَسَنٌ لِسَبَبِ الضَّيْقِ الْحَاضِرِ. أَنَّهُ حَسَنٌ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ هَكَذَا."<sup>٨٣١</sup> ما هو هذا الضيق الحاضر الذي يلغي السعادة الزوجية؟ الرسول يجيب علينا في آية لاحقة: "الْوَقْتُ مِنْذُ الْآنَ مُقَصَّرٌ لِيَكُونَ الَّذِينَ لَهُمْ نِسَاءٌ كَأَن لَيْسَ لَهُمْ."<sup>٨٣٢</sup>

نبوخذ نصر على الأبواب، الاسد يزأر من عرينه، فأى شيء صالح سيعطيني إياه الزواج، إن كان سينتهي بي الحال إلى عبوديتي عند أكثر الملوك تعجرافاً؟ ما نفع الأطفال الصغار لي، إن كان نصيبهم بحسب ما وصف النبي إيرميا حزيناً، "لَصِقَ لِسَانُ الرَّاضِعِ بِحَنَكِهِ مِنَ الْعَطَشِ. الْأَطْفَالُ يَسْأَلُونَ خُبْرًا وَلَيْسَ مَنْ يَكْسِرُهُ لَهُمْ."<sup>٨٣٣</sup>

في العهد القديم كما قلت، فضيلة العفة كانت في الرجال فقط، أما حواء فقد استمرت بالأوجاع تحبل بالأطفال. أما الآن، وقد حبلت العذراء<sup>٨٣٤</sup> في الرحم وولدت لنا الطفل الذي قال عنه الأنبياء، "وَتَكُونُ الرَّيَّاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا مُشِيرًا إِلَيْهَا قَدِيرًا أَبَا أَبَدِيًّا رَيْسَ السَّلَامِ."<sup>٨٣٥</sup> تحطمت قيود اللعنة. الموت جاء عبر حواء، والحياة جاءت عبر مريم. فلذلك،

<sup>٨٢٩</sup> أر ١٦: ٢

<sup>٨٣٠</sup> أر ١: ٥

<sup>٨٣١</sup> ١ كو ٧: ٢٦

<sup>٨٣٢</sup> ١ كو ٧: ٢٩

<sup>٨٣٣</sup> مر ٤: ٤

<sup>٨٣٤</sup> إيش ٧: ٤

<sup>٨٣٥</sup> إيش ٩: ٦

مُنحت عطية البتولية بغنى أكثر للنساء، لأن بدايتها كانت من امرأة.

فور مجيء ابن الله إلى العالم جمع لنفسه عائلة جديدة هنا. حتى أنه كما يُعبد بواسطة الملائكة السمايين. يُعبد أيضًا بواسطة الملائكة الأرضيين. فقطعت يهوديت البتول رأس اليفانا ثانية.<sup>٨٣٦</sup> واحترق مرة ثانية هامان الذي تفسير اسمه الخطيئة بنار أتونه.<sup>٨٣٧</sup> كذلك يعقوب ويوحنا تركا أباهما وشباكهما وسفينتهما وتبعوا المخلص. فلا القرابة ولا قيود العالم ولا الاهتمامات المنزلية أرجعتهما إلى خلف. والآية تقول: "مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكَرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتَّبِعْنِي."<sup>٨٣٨</sup> لأن الجندي لا يأخذ امرأته معه إلى المعركة. حتى التلميذ الذي كان يريد أن يدفن والده، منعه السيد قائلاً: "لِلثَّعَالِبِ أَوْجَرَةٌ وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أَوْكَارٌ، وَأَمَّا ابْنُ الْإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ."<sup>٨٣٩</sup> فيجب ألا تشتكي إذن إن كان مسكنك ليس إلا حجرة غير ملائمة.

بنفس الاسلوب كتب الرسول: "غَيْرُ الْمُتَزَوِّجِ يَهْتَمُّ فِي مَا لِلرَّبِّ كَيْفَ يُرْضِي الرَّبَّ وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجُ فَيَهْتَمُّ فِي مَا لِلْعَالَمِ كَيْفَ يُرْضِي امْرَأَتَهُ. إِنَّ بَيْنَ الزَّوْجَةِ وَالْعَدْرَاءِ فَرْقًا: غَيْرُ الْمُتَزَوِّجَةِ تَهْتَمُّ فِي مَا لِلرَّبِّ لِتَكُونَ مُقَدَّسَةً جَسَدًا وَرُوحًا. وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجَةُ فَتَهْتَمُّ فِي مَا لِلْعَالَمِ كَيْفَ تُرْضِي رَجُلَهَا."<sup>٨٤٠</sup>

(٢٢)

ما أشد الضيقات المرتبطة الزواج وما أكثر الهموم التي تحيط به. وكما

<sup>٨٣٦</sup> يهو ١٣

<sup>٨٣٧</sup> أس ٧: ١٠

<sup>٨٣٨</sup> مر ٨: ٣٤

<sup>٨٣٩</sup> مت ٨: ٢٠

<sup>٨٤٠</sup> كو ٧: ٣٢ - ٣٤

## الخطابات

أظن، فقد شرحتها باختصار في مقالاتي التي نشرتها ضد هلفيديوس عن دوام بتولية القديسة عذراء مريم. وسوف يكون من المضجر أن نعيد الكرة مرة أخرى ومن يشاء فليرجع إلى هذا المصدر.

ولكن خشية أن يظن أنني تجاهت الموضوع. سوف أقول فقط الآن أن الرسول أمرنا أن نصلي بلا انقطاع.<sup>٨٤٢</sup> ومن كان في حالة زواج ويوفي المرأة حقها<sup>٨٤٣</sup> لا يستطيع أن يصلي هكذا. فأما أن نصلي بلا توقف ونحن بتوليون، أو نتوقف عن الصلاة لكي نوفي مطالب الزواج. ومع كل هذا يقول: "وإن تَزَوَّجَتِ الْعَذْرَاءُ نَمَّ تَحْضِيءٌ. وَلَكِنَّ مِثْلَ هَؤُلَاءِ يَكُونُ لَهُمْ ضِيقٌ فِي الْجَسَدِ."<sup>٨٤٤</sup>

في البداية لقد وعدت ألا أتطرق إلى مشكلات الزواج. والآن أعطيك ملاحظة تحوي نفس المضمون. إذا أردت أن تعرفي كم الاضطرابات التي تتحرر منها العذراء والمقيدة بها المتزوجة فعليك أن تقرئي رسالة ترتليانوس إلى صديقي الفيلسوف<sup>٨٤٥</sup> ومقالاته الأخرى عن البتولية. والمجلد المشهور للمبجل كبريانوس، وكتابات البابا داماسوس النثرية والشعرية، والمقالات التي كتبها القديس أمبروسيوس مؤخرًا لأخته، والتي فيها سكب من روحه بسيل من فصاحة عقله، مقدما كل ما يتعلق بمدح العذارى.

(٢٣)

يجب أن نواصل مسلكنا ولكن بأسلوب مختلف، لأن هدفنا ليس مدح البتولية، ولكن في كيفية حفظها. ليس كافيًا معرفة أن البتولية شيء

<sup>٨٤١</sup> اقس ٥: ١٧

<sup>٨٤٢</sup> اكو ٧: ٣

<sup>٨٤٣</sup> اكو ٧: ٢٨

<sup>٨٤٤</sup> غير موجودة الآن.

حسن. فعندما اخترناها وجب أن نحفظها في غيرة ويقظة. فالمعرفة لا تحتاج سوى فطنة، ونحن نشترك فيها مع كثيرين. أما حفظها فيتطلب جهادًا. وقليلون هم من يتبارون معنا فيها. لذلك يقول الرب: "وَلَكِنَّ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهَذَا يَخْلُصُ."<sup>٨٤٥</sup> وأيضًا قال: "لَأَنَّ كَثِيرِينَ يُدْعَوْنَ وَقَلِيلِينَ يُنْتَجَبُونَ"<sup>٨٤٦</sup> لذلك أنا أناشدك أمام الله والرب يسوع المسيح وملائكته الأخيار أن تحرسي ما قد قبلت، ولا تكشفي بسهولة أمام أنظار الناس آنية هيكل الرب (الكهنة فقط من حقهم ان يروها)، لكيلا يتطلع أي شخص دنس بأقداس الرب.

عزيا عندما لمس التابوت الذي لم يحق له أن يلمسه ضرب وسقط ميتًا.<sup>٨٤٧</sup> ويقينا لا آنية الذهب أو الفضة عزيزة عند الرب مثل هيكل جسد العذراء. الظل مضى، لكن الآن الحقيقي موجود.

بالفعل يمكنك أن تتكلمي بكل بساطة مع الغرباء، وبدافع المودة تستطيعين أن تتعاملي معهم. ولكن العين غير الطاهرة لا ترى شيئًا نقيًا، تفشل في إدراك جمال الروح ولا تقدر إلا جمال الجسد.

حزقيا كشف للأشوريين<sup>٨٤٨</sup> كنوز الرب، وكان يجب ألا يروا ما سوف يطمعون فيه حتمًا. وكانت النتيجة أن اليهودية تمزقت بالحروب المستمرة. وأول ما حُمِل إلى بابل كانت هي آنية الرب. ونجد أن بيلشاصر في وليمته ووسط سراريه شرب حتى سكر من هذه الكؤوس المقدسة (فالرزيلة دائما

<sup>٨٤٥</sup> مت ٢٤: ١٣

<sup>٨٤٦</sup> مت ٢٠: ١٦

<sup>٨٤٧</sup> صم ٦: ٧٠

<sup>٨٤٨</sup> مل ٢٠: ١٣

## الخطابات

تجد كما لها في تدنيس ما هو مقدس).<sup>٨٤٩</sup>

(٢٤)

لا تميلي أذنك للكلام البذيء، لأن الرجال دائماً ما يقولون كلام غير محتشم ليجربوا ثبات البتول، ولكي يروا هل تسر بمثل هذا الكلام أو هل ستكون متساهلة مع كل إيماء سخيقة. أشخاص مثل هؤلاء يوافقون على كل ما توافقين ويعترضون على كل ما تعترضين. وهم يتكلمون عنك ليس فقط كالقديسة بل كالكاملة. ويقولون إنه ليس بك أي مكر أو خداع أو رياء. وهم يقولون: انظروا خادمة الرب الحقيقية، الكاملة في إخلاصها القلبي، كم هي مختلفة عن القاسية المزيفة القبيحة الهوجاء التي هي غالباً لم تتزوج لأنها لم تقدر أن تجد زوجاً.

الضعف البشري الذي في طبيعتنا يجعلنا نتساهل في الاستماع لهؤلاء المتملقين، ولكن على الرغم من أن وجهنا قد يحمر خجلاً ونجيب بأن هذا الإطراء أكثر مما نستحق، إلا ان أرواحنا في داخلنا تبتهج بسماع مدحها.

كمثل تابوت العهد، يجب أن تُغشَى عروس المسيح بالذهب من داخل ومن خارج،<sup>٨٥٠</sup> ويجب أن تصون شريعة الرب التي في داخلها، تماماً مثل التابوت الذي لم يكن يحتوي على شيء إلا لوحى الشريعة،<sup>٨٥١</sup> هكذا لا يجب أن يكون في داخلك أي فكر خارجي. لأن الرب يسر بأن يجلس في عقلك كما كان جالساً على كرسي الرحمة وعلى الكارويم.<sup>٨٥٢</sup> وكما أرسل تلاميذه لكي يملأوا له الجحش ابن الأتان كي يجلس عليه، هكذا أرسلهم أيضاً إليك لكي

<sup>٨٤٩</sup> ٣-١:٥١

<sup>٨٥٠</sup> خر ٢٥:١١.

<sup>٨٥١</sup> ١ مل ٨:٩.

<sup>٨٥٢</sup> خر ٢٥:٢٢.

يحلُّوك من الاهتمامات الأرضية. وعندما تتركين الطوب والقش في مصر يمكنك أن تتبعي موسى الحقيقي في البرية لتدخلي أرض الموعد. لا تدعي أي أحد يجرؤ على إعاقتك، لا أم ولا أخت ولا قريب ولا أخ، فـ”الرَّبُّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِمَا.“<sup>٨٥٣</sup> وإذا أرادوا أن يعيقوك فليحذروا الضربات التي وقعت على فرعون لسبب منعه شعب الرب من أن يخرج ويعبده،<sup>٨٥٤</sup> فقد عانى من الأوبئة التي ذكرت في الأسفار المقدسة. المسيح دخل الهيكل وأخرج الأشياء التي لا تنتمي إلى الهيكل لأن الرب غيور لن يسمح أن يكون بيت أبيه مغارة للصوص.<sup>٨٥٥</sup> فحيث المال يُحصى والحمام يُباع والبساطة مخنوقة، تلك هي هموم هذا العالم التي بها يتقد صدر، لذلك فوراً ينشق حجاب الهيكل،<sup>٨٥٦</sup> والعريس يقوم بغضب ويقول: ”هُودًا بَيْتُكُمْ يَتْرُكُ لَكُمْ خَرَابًا“<sup>٨٥٧</sup>

اقرئي الإنجيل ولاحظي كيف أخذت مريم التي جلست عند قدمي المسيح نصيباً أصلح من نصيب مرثا المتحمسة، ففي حماسها لتكون مضيفة، فقد كانت تحضّر للرب وتلاميذه مائدة، مع ذلك قال لها المسيح: ”مَرَّتَا، مَرَّتَا، أَنْتِ تَهْتَمِينَ وَتَضْطَرِّبِينَ لِأَجْلِ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ وَلَكِنَّ الْحَاجَةَ إِلَى وَاحِدٍ. فَاخْتَارَتْ مَرِيْمُ التَّصِيْبَ الصَّالِحَ الَّذِي لَنْ يُنْزَعَ مِنْهَا،“<sup>٨٥٨</sup> فكوني إذن مثل مريم، وفضلي غذاء الروح عن غذاء الجسد، اتركي هذا لأخواتك لكي يسعون ذهابا وإيابا وينشغلن بكيفية إعداد ولائم الاستقبال الملائمة للمسيح، أما أنت يا من اخترتي أن تلقي عنك نير هذا العالم فاجلسي عند

<sup>٨٥٣</sup> مت ١: ٢١ - ٣ جيروم كتبها: ”الرب محتاج إليك.“

<sup>٨٥٤</sup> خر ٧: ١٦.

<sup>٨٥٥</sup> مت ١٣: ١٢: ٢١.

<sup>٨٥٦</sup> مت ٢٧: ٥١.

<sup>٨٥٧</sup> مت ٢٣: ٣٨.

<sup>٨٥٨</sup> لو ١٠: ٤١.

قدي الرب وقولي: ”وَجَدْتُ مَنْ نُحِبُّهُ نَفْسِي فَأَمْسَكْتُهُ وَلَمْ أَرْخِهِ.“<sup>٨٥٩</sup> وهو سوف يجيبك قائلاً: ”وَاحِدَةٌ هِيَ حَمَامَتِي كَامِلَتِي. الْوَحِيدَةُ لِأُمَّهَا هِيَ. عَقِيلَةٌ وَالِدَتِهَا هِيَ.“<sup>٨٦٠</sup> وعن هذه الأم التي تكلمنا عنها فهي أورشليم العليا.<sup>٨٦١</sup>

(٢٥)

اجعلي خصوصية قلايتك دائما حافظة لك، دعي العريس يخلو بك دائماً فيها.<sup>٨٦٢</sup> إن صليت، فأنت تتكلمي مع العريس، وإن قرأت الكتاب المقدس، فالعريس يتكلم معك. وعندما يدركك النوم سيأتي من خلفك يده من الكوة،<sup>٨٦٣</sup> وقلبك سوف ينتبه له،<sup>٨٦٤</sup> وسوف تستيقظين قائلاً له: ”أَيَّ مَرِيضَةٍ حُبًّا.“<sup>٨٦٥</sup> عندها سوف يجيب: ”أُخْتِي الْعَرُوسُ جَنَّةٌ مُغْلَقَةٌ عَيْنٌ مُقْفَلَةٌ يَنْبُوعٌ مَحْتَمُومٌ.“<sup>٨٦٦</sup>

لا تبارحي الديار ولا تزوري بنات أرض غريبة. حتى لو كان أخوتك رؤساء الأسباط وأبوك هو يعقوب. فدينه خرجت وأغوت.<sup>٨٦٧</sup> لا تطليبي العريس في الشوارع، ولا تتجولي حول نواصي المدينة. لأنه بالرغم من قولك: ”إِنِّي أَقُومُ وَأَطُوفُ فِي الْمَدِينَةِ فِي الْأَسْوَاقِ وَفِي الشُّوَارِعِ أَظْلُبُ مَنْ نُحِبُّهُ نَفْسِي.“<sup>٨٦٨</sup> وعلى الرغم من أنك سألت الحُرَّاسَ ”أَرَأَيْتُمْ مَنْ نُحِبُّهُ

<sup>٨٥٩</sup> نش ٣: ٤.

<sup>٨٦٠</sup> نش ٦: ٩.

<sup>٨٦١</sup> غل ٤: ٢٦.

<sup>٨٦٢</sup> تك ٢٦: ٨.

<sup>٨٦٣</sup> نش ٥: ٤.

<sup>٨٦٤</sup> نش ٥: ٢.

<sup>٨٦٥</sup> نش ٥: ٨.

<sup>٨٦٦</sup> نش ٤: ١٢.

<sup>٨٦٧</sup> تك ٢: ٣٤.

<sup>٨٦٨</sup> نش ٣: ٢.



نَفْسِي؟<sup>٨٦٩</sup> فلن يتنازل أحد ويعطيك إجابة. العريس لا يمكن أن يوجد في الشوارع فما "أَضِيقَ الْبَابَ وَأَكْرَبَ الصَّرِيقَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْحَيَاةِ"<sup>٨٧٠</sup> وهكذا النشيد يُكْمَل فيقول: "طَلَبْتُهُ فَمَا وَجَدْتُهُ. دَعَوْتُهُ فَمَا أَجَابَنِي."<sup>٨٧١</sup> ولن يكون الفشل في إيجاده هو كل شيء؟ فلسوف تجرحني وتتعري وتنوح وتقول: "وَجَدَنِي الْحَرَسُ الطَّائِفُ فِي الْمَدِينَةِ. صَرَبُونِي. جَرَحُونِي. حَفَظَتُهُ الْأَسْوَارُ رَفَعُوا إِزَارِي عَنِّي."<sup>٨٧٢</sup>

والآن إن كانت التي تستطيع أن تقول: "أَنَا نَائِمَةٌ وَقَلْبِي مُسْتَيْقِظٌ."<sup>٨٧٣</sup> و"صَرَّةُ الْمَرْحَبِيِّ لِي. بَيْنَ تَدْيِي يَبِيتُ."<sup>٨٧٤</sup> قد عانت كثيرًا جدًا حينما خرجت خارجًا، فكيف يكون حالنا نحن البنات الصغيرات؟ وحينما يدخل العريس مع العروس أسنبقى خارجًا؟

المسيح غيور، لا يريد أن ينكشف وجهك للآخرين وقد تجدين عذرًا وتقولين: لقد أحكمت حجابي عليّ، غطيت وجهي جيدًا وطلبتك قائلة: "أَخْبِرْنِي يَا مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي أَيْنَ تَرَعَى أَيْنَ تُرَبِّضُ عِنْدَ الظَّهِيرَةِ. لِمَاذَا أَنَا أَكُونُ كَمُفْتَعَةٍ عِنْدَ قُطْعَانِ أَصْحَابِكَ؟"<sup>٨٧٥</sup> لكن بالرغم من أعدارك سوف يغتاظ ويمتلئ غضبًا ويقول: "إِنْ لَمْ تَعْرِفِي أَيْتَهَا الْجَمِيلَةَ بَيْنَ النِّسَاءِ فَاخْرُجِي عَلَى آثَارِ الْغَنَمِ وَارْعِي جِدَاءَكَ عِنْدَ مَسَاكِينِ الرُّعَاةِ."<sup>٨٧٦</sup> قد تكونين جميلة ومن بين الوجوه قد تكونين أعز واحدة على العريس،

<sup>٨٦٩</sup> نش ٣:٣

<sup>٨٧٠</sup> مت ٧:١٤

<sup>٨٧١</sup> نش ٥:٦

<sup>٨٧٢</sup> نش ٥:٧

<sup>٨٧٣</sup> نش ٥:٢

<sup>٨٧٤</sup> نش ١:١٣

<sup>٨٧٥</sup> نش ١:٧

<sup>٨٧٦</sup> نش ١:٨

## الخطابات

ولكن إن لم تعرفي قدر نفسك وتحافظي على يقظة قلبك،<sup>٨٧٧</sup> وإذا لم تتجني نظرات الشباب، فسوف تُطردين من حجال العروس لتطعمي الجداء التي سوف تكون عن يساره.<sup>٨٧٨</sup>

(٢٦)

هكذا تبدأ هذه الامور يا استوكيوم يا ابنتي، ياسيدي، يا رفيقة الخدمة، يا أختي، اللقب الاول يشير إلى سنك والثاني يشير إلى ربتك والثالث إلى دعوتك الدينية والأخير إلى المكان الذي تشغلينه في قلبي. أصغي إلى كلمات إشعياء: "هَلَمْ يَا شَعْبِي ادْخُلْ مَحَادِعَكَ وَأَغْلِقْ أَبْوَابَكَ خَلْفَكَ. اخْتَبِي نَحْوَ الْحَيْظَةِ حَتَّى يَعْزِرَ الْعَضْبُ."<sup>٨٧٩</sup> اتركي العذارى الجاهلات يتسكعن خارجا، أما أنت فامكثي مع العريس في البيت لأنه إن أغلقت بابك وصليت لأبيك في الخفاء طبقا لوصية الإنجيل،<sup>٨٨٠</sup> فحالا يأتي ويقرع قائلاً: "هَذَا وَقْفٌ عَلَى الْبَابِ وَقَرْعٌ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، ادْخُلْ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي."<sup>٨٨١</sup> وسوف تجيبين فوراً قائلة: "صَوْتُ حَبِيبِي قَارِعًا: «افْتَحِي لِي يَا أُخْتِي يَا حَبِيبَتِي يَا حَمَامَتِي يَا كَامِلَتِي»"<sup>٨٨٢</sup> ومن المستحيل أن ترفضى وتقولى: "قَدْ خَلَعْتُ نَوْبِي فَكَيْفَ أَلْبِسُهُ؟ قَدْ غَسَلْتُ رِجْلِي فَكَيْفَ أُوسِّخُهُمَا؟"<sup>٨٨٣</sup> بل انهضي في الحال وافتحي، وإلا بينما أنت تتباطئين قد يمضي ويذهب فتتحرسين قائلة: "فَتَحْتُ لِحَبِيبِي لَكِنَّ حَبِيبِي تَحَوَّلَ وَعَبَّرَ."<sup>٨٨٤</sup> لماذا أبواب

<sup>٨٧٧</sup> أم ٤: ٢٣.

<sup>٨٧٨</sup> مت ٢٥: ٣٣.

<sup>٨٧٩</sup> إش ٤٦: ٢٠.

<sup>٨٨٠</sup> مت ٦: ٦.

<sup>٨٨١</sup> رؤ ٣: ٢٠.

<sup>٨٨٢</sup> نش ٥: ٢.

<sup>٨٨٣</sup> نش ٥: ٣.

<sup>٨٨٤</sup> نش ٥: ٦.

قلبك مقفولة للعريس؟ افتحي الأبواب أمام المسيح ولكن اقلبيها في وجه الشيطان بحسب القول: "إِنْ صَعِدَتْ عَيْنُكَ رُوحَ الْمُتَسَلِّطِ فَلَا تَتْرُكْ مَكَانَكَ."<sup>٨٨٥</sup> دانيال لما لم يستطع الاستمرار في الاسفل صعد إلى عليته وفتح نوافذه تجاه أورشليم.<sup>٨٨٦</sup> هل تُبقيين أنت أيضًا نوافذك مفتوحة؟ ولكن فقط في الناحية التي يمكن أن يدخل منها النور وحيث تستطيعين رؤية عين الرب. لا تفتحي تلك النوافذ الأخرى التي قال عنها النبي: "لَأَنَّ الْمَوْتَ طَلَعَ إِلَى كُونَا"<sup>٨٨٧</sup>

(٢٧)

يجب أيضًا أن تحرصي على أن تتجني فخ المجد الباطل. يقول المسيح: "كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تُؤْمِنُوا وَأَنْتُمْ تَقْبَلُونَ مَجْدًا بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ"<sup>٨٨٨</sup> فانتبهي من هذا الشر العظيم الذي يجرم ضحاياه من الإيمان! بل دعينا نقول بدلاً من هذا: "بَلْ بِهَذَا لِيَفْتَخِرَنَّ الْمُفْتَخِرُ: بِأَنَّهُ يَفْهَمُ وَيَعْرِفُنِي أَنِّي أَنَا الرَّبُّ"<sup>٨٨٩</sup> أيضًا: "مَنْ افْتَخَرَ فَلْيَفْتَخِرْ بِالرَّبِّ"<sup>٨٩٠</sup> وأيضًا "فَلَوْ كُنْتُ بَعْدُ أَرْضِي النَّاسَ لَمْ أَكُنْ عَبْدًا لِلْمَسِيحِ."<sup>٨٩١</sup> وأيضًا "وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ."<sup>٨٩٢</sup> كذلك أيضًا "بِاللَّهِ نَفْتَخِرُ الْيَوْمَ كُلَّهُ"<sup>٨٩٣</sup> و"بِالرَّبِّ تَفْتَخِرُ

<sup>٨٨٥</sup> جا: ١٠: ٤.

<sup>٨٨٦</sup> دا: ٦: ١٠.

<sup>٨٨٧</sup> أر: ٩: ٢٦.

<sup>٨٨٨</sup> يو: ٥: ٤٤.

<sup>٨٨٩</sup> أر: ٩: ٢٤.

<sup>٨٩٠</sup> ١ كو: ١: ٣١.

<sup>٨٩١</sup> غل: ١: ١٠.

<sup>٨٩٢</sup> غل: ٦: ١٤.

<sup>٨٩٣</sup> مز: ٤٤: ٨.

حين تصنعين صدقة اجعلي الرب فقط هو من يراك،<sup>٨٩٥</sup> حينما تصومين لا تعبئي وجهك<sup>٨٩٦</sup> لا تكن ثيابك متأنقة جدًا أو رثة جدًا ولا تجعلها ملفتة للأنظار لدرجة تجذب أنظار المارة وتجعل الرجال يشيرون بأصابعهم نحوك.

هل مات لك أخ؟ هل يجب أن تحملي جسد أخت عزيزة إلى المدافن؟ احذري جدًا فالانغماس بهذه الأعمال غالبًا ما يميتهك أنت نفسك.

لا تحاولي أن تظهرى كورعة جدًا ولا متواضعة أكثر من اللازم، مخافة أنه بهذا تطلبين مجداً تتظاهري بتجنبه، لأن كثيرون ممن يظهرون أمام أنظار الناس مدى تقشفهم وعفتهم وصومهم، يرغبون في إثارة الإعجاب بالازدراء والترفع عن العالم، وبغرابة يطلبون مديحًا يدعون ترفعهم عنه.

أجد الكثيرين أحرارًا من جميع التجارب المزعجة الأخرى والتي تجعل الإنسان يفرح ويكتئب، ويسعد ويخاف. لكن قليلين هم الأحرار من هذه التجربة (محبة المديح). والأكثر جمالاً هو الأقل عيوبًا، والبشرة الأجل هي صاحبة أقل التشوهات.

لا أعتقد أنه من الضروري أن أحذرك من الافتخار بغناك والتباهي بمولذك. ولا من وضع نفسك في مرتبة أعلى من الأخريات. فأنا أعرف اتضاعك وأعرف أنك تقولين بصدق: "يَا رَبُّ لَمْ يَرْتَفِعْ قَلْبِي وَلَمْ تَسْتَعْلِ عَيْنَايَ"<sup>٨٩٧</sup> أنا أعلم أن صدرك - كما هو أيضًا صدر أمك - ليس فيه مكان للكبرياء الذي أسقط الشيطان. وسيكون مضيعة للوقت أن أكتب إليك

<sup>٨٩٥</sup> مز ٣٤: ٢.

<sup>٨٩٥</sup> مت ٦: ٣.

<sup>٨٩٦</sup> مت ٦: ١٦.

<sup>٨٩٧</sup> مز ١٣١: ١.

عنه، لأنه ليس هناك حماقة أكثر من أن تُعَلِّمَ تلميذ ما هو يعلمه بالفعل!

ولكن الآن بما إنك احتقرت أمجاد كبرياء هذا العالم، لا تجعلي هذه الحقيقة توحى إليك بمجد آخر. فلا تضعي في ذهنك بأنك توقفت عن جذب الانتباه بالملابس الذهبية لتفعلها ثانية ولكن بالملابس الرثة. وعندما تدخلين إلى موضع مليء بالأخوة والأخوات فلا تختاري أحقر مكان وتبرري ذلك بأنك لا تستحقين حتى موضع الأقدام. لا تتعمدي تخفيض صوتك وكأنه مرهق من كثرة الأصوام، ولا تستندي على كتف أحد أو تقلدي مشية مترنحة لشخص ضعيف. بعض النساء حقيقة يغيرن وجوههن لكي يظهرن للناس صائمات. وأول ما يجذبن نظر أي شخص يبدأ في النحيب وينظرن إلى أسفل ويغطين كل وجوههن ماعدا عين واحدة يرون منها مدي ما أحدثته من لفت للانتباه! ثيابهن قاتمة والمنطقة من مسح، والأيدي والأرجل قذرة. فقط بطونهن التي لا يمكن أن تظهر تكون حارة بالطعام. وعلى هؤلاء يقول المزمور يومياً: "اللَّهُ قَدْ بَدَّدَ عِظَامَ المتنعمين."<sup>٨٩٨</sup>

أخريات يغيرن ثيابهن ويظهرن بمظهر الرجال، يخزين من كونهن ما ولدن عليه، نساء، يخلقن شعرهن ولا ينجلن من كونهن مثل الخصيان، والبعض يلبسن وبر الماعز ويرتدين غطاء، معتقدات أنهن رجعن مثل الأطفال مما يجعل شكلهن مثل شكل اليوم.

(٢٨)

أنا لن أحذرك فقط من النساء ولكن أيضاً تجنبي الرجال متى رأيتهم يلبسون السلاسل ويرخون شعرهم الطويل مثل النساء عكس وصية

<sup>٨٩٨</sup> مز ٥٣: ٥٥، بحسب النسخة الرومانية للزمير.

الرسول،<sup>٨٩</sup> هذا بخلاف حيتهم نبي تشبه حية الماعز، وعباءاتهم السوداء وأقدامهم الحافية في موجهة نبرد. كل هذه العلامات واضح انها خدع من الشيطان. قديماً كان أنتيموس Antimus وصفرونيوس Sophronius<sup>٩٠</sup> حديثاً مثالين عن هؤلاء الرجال عانت منهما روما. مثل هؤلاء الأشخاص متى تمكنوا بالتحايل من الدخول إلى إحدى بيوت الثريات ويخدعون: "نُسَيَاتٍ مُحَمَّلَاتٍ حَطَايَا، مُنْسَاقَاتٍ بِشَهَوَاتٍ مُحْتَلِفَةٍ. يَتَعَلَّمْنَ فِي كُلِّ حِينٍ، وَلَا يَسْتَطِعْنَ أَنْ يُقْبِلْنَ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ أَبَدًا."<sup>٩١</sup> يختلقون مظهرًا حزينًا ويتظاهرون بأنهم صائمون بينما في الليل يحتفلون خفية بالوليمة. الخجل يمنعني أن أذكر المزيد لأن طريقي قد تبدو ذمًا أكثر منها تحذيرًا.

هناك آخرون - أنا أتكلم عنن في درجتي - قد نالوا الكهنوت والشماسية فقط لكي يستطيعوا أن يتقابلوا مع النساء بلا قيود، أمثال هؤلاء لا يفكرون في شيء سوى ملابسهم. دائماً يستخدمون العطور ويحرصون على عدم وجود أي خدش في جلود أحذيتهم، شعرهم مُنَسَّقٌ وتظهر عليه آثار التصفيف، أصابعهم تتلألأ بالخواتم، ويمشون على أطراف أصابعهم حينما يعبرون طرق مبلة خشية أن تتسخ أقدامهم! فحينما ترين رجال يتصرفون هكذا فكري فيهم كعمرسان وليس كإكليروس. بعض من هؤلاء يكرسون كل حياتهم وطاقتهم لهدف واحد وهو معرفة أسماء وبيوت وصفات النساء النبيلات المتزوجات.

إني سوف أعطيك صور ملخصة مختصرة لرئيس هذه الفئة. لكي تتعرفي من هيئة المعلم على تلاميذه. يقوم على عجل مع طلوع الشمس وجدول

<sup>٨٩</sup> ١ كو ١١: ١٤.

<sup>٩٠</sup> أنتيموس وصفرونيوس لا نعرف شيئاً عنهما.

<sup>٩١</sup> ٢ تي ٣: ٦، ٧.

زيارته الصباحية منظم كما يجب. يسلك أقصر الطرق ويالحاح يقحم العجوز نفسه في غرف نوم النساء حتى وهن لا يزلن نائمات. إذا رأى وسادة أو مفروش وأعجب بها أو بأي شيء في البيت، يأخذها بين يديه ويمدحها ويظهر إعجابه بها، ويشكو من أنه لا يملك مثل هذا الشيء، ويتوسل لكي يأخذها بينما هو في الحقيقة يغتصبها من مالكها. وفي الواقع كل السيدات يخشين رفض طلب شخص ينهمك في القيل والقال في كل المدينة. العفة والصوم أشياء مكروهة بالنسبة له. ما يبتغيه هو فطور حار ولذيذ. مثل طائر الكركي الممتلئ والمشهور باسم الطائر المغرد. في حديثه هو فظ ووقح، ودائمًا مستعد لقفز الكلام البذيء، أينما تذهبي فهو أول إنسان ترينه أمامك، كل الشائعات إما هو مروّجها أو مهوّلها. يغيّر أحصنة عربته كل ساعة. وخيله أنيقة ونشيطة لدرجة أنك تحسبه أخو ملك تراس.<sup>٩٢</sup>

(٢٩)

كثيرة هي الحيل التي يستخدمها العدو الماكر ضدنا كما قيل: "وَكَاثَتْ الْحَيَّةُ أَحْيَلَ جَمِيعَ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمَلَهَا الرَّبُّ الْإِلَهَ"<sup>٩٣</sup> ويقول الرسول: "لَأَنَّنا لَا نَجْهَلُ أَفْكَارَهُ"<sup>٩٤</sup> فلا الميل إلى الملابس الرثة ولا حب الأناقة يجعل من المرء إنسانًا مسيحيًا.

إن كان هناك شيء ما تجهلينه أو تشكين فيه من الأقوال الإلهية، فخذني النصيحة ممن تشهد له حياته، وسنه يضعه فوق أي شكوك، وسمعتة لا تناقض أقواله، شخص يقدر أن يقول: "خَطْبْتُكُمْ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ، لِأَقْدَمَ"

<sup>٩٢</sup> ملك تراس: أسمه ديوميدي في الأساطير اليونانية وهو ملك قبائل البستون وكان له خيل مفترسة يُغذيها بلحوم

البشر.

<sup>٩٣</sup> تك ١:٣

<sup>٩٤</sup> ٢كو ١١:٤

## الخطابات

عَذْرَاءَ عَفِيفَةً لِلْمَسِيحِ.<sup>٩٠٦</sup> وإذا لم يكن هناك أي شخص يقدر أن يجيب على أسئلتك. فالأحسن لك أن تتجنبني الخطر بقبول أن تجهلي شيء، عن أن تقتربي من الخطر بغية ضب نعم.<sup>٩٠٧</sup> تذكرني أنك تمشين وسط أشراك، وعذارى محنكات ذوات عفة لا شك فيها، بينما هن على عتبة الموت يتركن أكاليلهن تسقط من على رؤوسهن.

وإذا شاركتك النذر بعض خادماتك فلا تتعالى عليهن، أو تفتخري بأنك سيدتهن، فمن الآن كلكن اخترتن عريس واحد. تترنمن بالمزامير ذاتها، وتتناولن معاً جسد المسيح. فلماذا تظنين أنك مختلفة عنهن؟ يجب أن تحاولي أن تربحي الأخريات، وبقدر ما تقدي الاحترام الشديد للعذارى اللواتي معك، بقدر ما تكسبين بسهولة. وإذا وجدت واحدة منهن ضعيفة في الإيمان، قفي بجانبها وأريحيها واحتضنيها واحسي طهارتها هو كنزك الذي يجب أن تحصلي عليه. ولكن إذا وجدت واحدة نذرت نفسها ظاهرياً فقط لتتهرب من الخدمة، فاقرائني أمامها كلمات الرسول التي تقول: "الزَّوْجَ أَصْلَحَ مِنَ التَّحْرِقِ."<sup>٩٠٧</sup> أما الكسالى والفضوليات، عذارى كن أم أرامل، اللواتي يذهبن من بيت إلى بيت لزيارة المتزوجات، ويظهرن بوجه صفيق أكثر من المتطفلات. تجنبهين كما تتجنبني الطاعون. لأن "المُعَاشَرَاتِ الرَّدِيَّةَ تُفْسِدُ الْأَخْلَاقَ الْجَيِّدَةَ."<sup>٩٠٨</sup> ومثل هؤلاء النساء لا يهتمن بشيء سوى الشهوات المنحطة. ودائما ما سوف يجادلونك قائلات: يا عزيزتي، استفيدي من ميزاتك أحسن استفادة وعيشي مادامت لك حياة. فبال تأكيد أنت لا تدخرين الأموال لأطفالك؟ مدمنات للخمر الذي فيه الخلاعة ويغرسن كل

<sup>٩٠٦</sup> ٢ كو ١١: ٢٠

<sup>٩٠٧</sup> كما يقول المثل: Peaceful Ignorance is better than dangerous Instruction.

<sup>٩٠٧</sup> ١ كو ٧: ٩

<sup>٩٠٨</sup> ١ كو ١٥: ٣٣



أنواع الأذى في عقول البنات. ويعوين أكثر المتزلمات تقشفا لينغمسن في الم لذات المميتة، و”مَتَى بَطْرُنَ عَلَى الْمَسِيحِ يُرِدْنَ أَنْ يَتَزَوَّجْنَ، وَلَهُنَّ دِينُونَ لِأَنَّهُنَّ رَفَضْنَ الْإِيمَانَ الْأَوَّلَ.“<sup>٩٠</sup>

لا تظهرى فصاحة زائدة، ولا يكون كلامك منمقًا ولا تبتهجي بالأغاني السجعية، ولا تقليدي تلك العادة السقيمة عند السيدات المتزوجات اللواتى يضغطن على أسنانهن، ويفتحن شفاههن ويتكلمن بلثغة ويحذفن آخر جزء من الكلمة عمدًا، لأنهن يتخيلن أن النطق الطبيعى علامة النشأة الريفية. لذلك يجدن سعادة فيما أنا أطلق عليه اعوجاج (زنا) اللسان.

”أَيَّةُ شَرِكَةِ لِلتُّورِ مَعَ الظُّلْمَةِ؟ وَأَيُّ اتِّفَاقٍ لِلْمَسِيحِ مَعَ بَلِيَعَالٍ؟“<sup>٩١</sup> كيف يشترك هوارسي مع صاحب المزامير، وفيرجيل مع الإناجيل، وشيشرون مع الرسول؟ أَلن يُعَثِرُ أَخوكَ متى رَأكَ تَجَلِّسِينَ فِي هَيْكَلِ وَثْنٍ؟<sup>٩٢</sup> فعلى الرغم من أن ”كُلُّ شَيْءٍ ظَاهِرٌ لِلظَّاهِرِينَ“<sup>٩٣</sup> و”لَا يُرْفَضُ شَيْءٌ إِذَا أُخِذَ مَعَ الشُّكْرِ“<sup>٩٤</sup> لكن فى الوقت نفسه يجب ألا ”تَشْرَبُوا كَأْسَ الرَّبِّ وَكَأْسَ شَيْاطِينٍ.“<sup>٩٥</sup>

دعيني أقص عليك تجربتي البائسة.

(٣٠)

منذ سنوات عديدة مضت عندما هجرت بيتى ووالدى وأختى وأقاربي و  
- بصعوبة - طعامى الشهى الذى تعودت عليه من أجل ملكوت السموات،

<sup>٩٠</sup> ١٢ تي ٥: ١١، ١٢.

<sup>٩١</sup> ٢ كو ٦: ١٥.

<sup>٩٢</sup> ١ كو ٨: ١٠.

<sup>٩٣</sup> ١٢ تي ١: ١٥.

<sup>٩٤</sup> ١ تي ٤: ٤.

<sup>٩٥</sup> ١ كو ١٠: ٢١.

## الخطابات

وعندما كنت في طريقي لأورشليم لأعلن الحرب هناك. لم أستطع أن أغضب نفسي وأمتنع عن مجموعة كتبي التي جمعتها في روما بمشقة واهتمام شديدين. أية تعاسة كنت فيها! فقد كنت أصوم وبعد الصوم أقرأ لشيشرون Cicero! وكنت أقضي الليالي الطويلة في قراءة فرجيل، وبعد أن أذرف الدموع المرة من أعماق قلبي على خطاياي السابقة، كنت أرجع وألتقط كتاب بلوتوس Plautus مرة أخرى! وعندما رجعت إلى صوايبي. وبدأت أقرأ الكتب النبوية. كانت تبدو لي أن أسلوبها بدائي ومنفر. وفشلت في رؤية النور بعيني الضرية. لكني لم أنسب الفشل إلى عيني بل إلى الشمس.

وبينما كانت الحية القديمة تتلاعب بي في منتصف الصوم الأربعيني، هاجمت حمى شديدة جسدي الضعيف وتمكنت منه كليًا، القصة تبدو صعبة التصديق، وجسدي كان يبلى ولم يبق سوى جلدي وعظامي. في غضون ذلك كانت جنازتي تعد، وجسدي يبرد شيئًا فشيئًا، ودفء الحياة لم يعد إلا في أنفاس صدري الواهنة. فجأة، اختطفت في الروح وسحبت إلى كرسي حُكِّم الديان، هناك كان النور ساطعًا جدًا، والواقفون حولي كانوا يشعرون ضوءًا، فألقيت بنفسي على الأرض ولم أجرؤ على رفع عيني. وعندما سُئِلت من أنا أجبت، أنا مسيحي. فقال من يترأس المحكمة: أنت كاذب أنت تابع لشيشرون وليس للمسيح، ف”حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضًا.“<sup>١٥</sup> وفي الحال صرت أبكم. وفي وسط ضربات الشياطين حيث أمر مجلدي كنت أشعر بعذاب أشد وأقسى من نار تأنيب ضميري، وتذكرت الآية القائلة: ”فِي الْهَآوِيَةِ مَنْ يَحْمَدُكَ؟“<sup>١٦</sup> وحينها بدأت أبكي واقول نائحًا:

<sup>١٥</sup> مت ٦: ٢١.

<sup>١٦</sup> مز ٥: ٦.

”إِرْحَمْنِي يَا اللَّهُ ارْحَمْنِي.“<sup>١٧</sup> ووسط صوت الشياطين سمع صوتي، وفي النهاية سقط جميع من حولي عند ركبتي الجالس على العرش وتوسلوا إليه كي يشفق علي صغري سني، ويعطيني فرصة أخرى لأكفر عن ذنبي، وتحذيري بأن هذا العذاب سيكون من نصيبي إن رجعت لقراءة أعمال الوثنيين.

وتحت ضغط هذه اللحظة الرهيبة كنت على استعداد أن أتعهد بأشياء أكثر جدًا من هذا. وتبعًا لذلك، أقسمت ودعوت باسمه قائلاً: يا رب إذا رجعت مرة أخرى وامتلكت مثل هذه الكتب أو قرأتها أكون قد أنكرت. وبعد أن تعهدت بذلك سمح لي بالانصراف. وعدت إلى عالمي العلوي - وكأنه أختطف إلى العالم السفلي - ووسط دهشة الجميع فتحت عيني مرة ثانية وكانتا مغرورقة بالدموع، وكان ألمي يكفي ليقنع حتى الشكاكين بحقيقة الأمر.

أشهد أن هذه التجربة لم تكن أثناء نوم أو حلم تافه مثل ما نخذع به عادةً، بل دينونة طُرحت أمامها وحكم رهيب خشيت منه، واطمئني ألا أسقط في تلك المحاكمة مرة أخرى. وأعترف أن أكتافي كانت سوداء مزرقة. وعانيت من الكدمات فترة طويلة بعد أن قمت من رقادي. من ذلك الحين بدأت أقرأ الأسفار الإلهية بحماس أكثر من الذي كنت أعطيه لكتب البشر.

(٣١)

يجب أيضًا أن تحذري من خطية الجشع والاقتناء. ليس فقط بعدم الاستيلاء على ممتلكات تخص الآخرين، فهذا جرم يعاقب عليه القانون العام. بل أيضًا بعدم الاحتفاظ بممتلكاتك والتي أصبحت الآن لم تعد لك. يقول الرب: ”إِنْ لَمْ تَكُونُوا أَمْنَاءَ فِي مَالِ الظُّلْمِ فَمَنْ يَأْتَمِنُكُمْ عَلَى الْحَقِّ؟“

<sup>١٧</sup> مز ١٠٧.

وَأِنْ لَمْ تَكُونُوا أَمَنَاءَ فِي مَا هُوَ لِلغَيْرِ، فَمَنْ يُعْطِيكُمْ مَا هُوَ لَكُمْ؟<sup>٩١٨</sup> ” ما هو للغير“ يرمز إلى مقدار الذهب والفضة، بينما ”ما هو لكم“ فهو غنى الميراث الروحي الذي قيل عنه في موضع آخر: ”فِدْيَةُ نَفْسِ رَجُلٍ غِنَاهُ“<sup>٩١٩</sup> ”لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ، لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبَغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الْآخَرَ، أَوْ يُلَازِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الْآخَرَ. لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللَّهَ وَالْمَالَ (مأمون).“<sup>٩٢٠</sup> فالمامون Mammon هو الغنى باللغة الوثنية السريانية. وهو الشوك الذي يخنق إيماننا،<sup>٩٢١</sup> ويأخذ الاهتمام والعناية بدلا من حياتنا.<sup>٩٢٢</sup> فأن يكون لنا نفس اهتمامات الوثنيين هو بداية الجشع.<sup>٩٢٣</sup>

لكنك سوف تقولين: أنا فتاة نشأت على الرفاهية ولا أقدر أن أعمل بيدي. أفترض أنني عشت حتى أصبحت عجوزة ومرضت، من سيفسق علي؟ اسمعي يسوع وهو يقول للرسل: ”لَا تَهْتَمُّوا حَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ، وَلَا لِأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ. أَلَيْسَتْ الْحَيَاةُ أَفْضَلَ مِنَ الطَّعَامِ، وَالْجَسَدُ أَفْضَلَ مِنَ اللَّبَاسِ؟ انظروا إلى طُيُورِ السَّمَاءِ: إِنَّهَا لَا تَزْرَعُ وَلَا تَحْصُدُ وَلَا تَجْمَعُ إِلَى مَخَازِنَ، وَأَبُوكُمْ السَّمَاوِيُّ يَقُوتُهَا. أَلَسْتُمْ أَنْتُمْ بِالْحَرِيِّ أَفْضَلَ مِنْهَا؟“<sup>٩٢٤</sup> أينقصك ثياباً؟ ضعي زنابق الحقل أمام عينيك، أيتملك عليك الجوع؟ اذكري الكلمات التي فيها الجوع والفقراء مطوبون. هل ابتليت بالألم؟ اقرئي ”لِدَلِكِ أُسْرٌ بِالضَّعْفَاتِ وَالشَّتَائِمِ وَالضَّرُورَاتِ

<sup>٩١٨</sup> لو ١٦: ١٢.

<sup>٩١٩</sup> أم ١٣: ٨.

<sup>٩٢٠</sup> مت ٦: ٢٤.

<sup>٩٢١</sup> مت ١٣: ٧ - ٢٢.

<sup>٩٢٢</sup> مت ٦: ٢٥.

<sup>٩٢٣</sup> كما يقول الكاهن في تحليل القديس: [حائلنا وحائل شعبك من كل خطية ... ومن كل ملافاة الهراطقة والوثنيين.]

(م)

<sup>٩٢٤</sup> مت ٦: ٢٥، ٢٦.

وَالْإِضْطِهَادَاتِ وَالضِّيَقَاتِ لِأَجْلِ الْمَسِيحِ. لِأَنِّي حِينَمَا أَنَا ضَعِيفٌ فَحِينَيْدُ أَنَا قَوِيٌّ.<sup>١٢٥</sup> وَأَيْضًا "أُعْطِيتُ شَوْكَةً فِي الْجَسَدِ، مَلَائِكَةُ الشَّيْطَانِ، لِيَلْطَمَنِي لِكَلِّ أَزْتَفَعِ."<sup>١٢٦</sup> افرحي إذن بكل أحكام الرب. ألم يقل المرنم "ابْتَهَجْتُ بِنَاتِ يَهُودَا مِنْ أَجْلِ أَحْكَامِكَ يَا رَبُّ."<sup>١٢٧</sup> اجعلي هذه الكلمات دومًا على شفاهك: "عُرْيَانًا حَرَجْتُ مِنْ بَطْنِ أُمِّي وَعُرْيَانًا أَعُودُ إِلَى هُنَاكَ."<sup>١٢٨</sup> أَيْضًا، "لَأَنَّنَا لَمْ نَدْخُلِ الْعَالَمَ بِشَيْءٍ، وَوَاضِحٌ أَنَّنَا لَا نَقْدِرُ أَنْ نَخْرُجَ مِنْهُ بِشَيْءٍ."<sup>١٢٩</sup>

(٣٢)

اليوم قد ترين نساء يملأن خزانة ثيابهن بالملابس، يغيرن عباةتهن يومًا بعد يوم. وبسبب كل هذا الكم من الثياب لا يقدرن على القضاء على العثة. والأكثر تقوى فيهن تلبس في الخارج ثوبًا واحدًا، وبينما تظهر بثياب رثة إلا أن دوليها ملآنة.

الرقوق تُصطبغ بالأرجوان، والذهب يُسال للكتابة به، والمخطوطات ترصع بالجواهر، بينما المسيح مطروح عند الباب يحتضر عريانا، وعندما يمدون يد المساعدة للمحتاجين يصوتون أمامهم بالبوق.<sup>١٣٠</sup> وعندما يدعون إلى وليمة أغابي<sup>١٣١</sup> يستأجرون منادى أمامهم. مؤخرًا رأيت أرقى سيدات روما، وأنا أكرم اسمها لأني لا أريد هجو أحد، بمجد كبير من الخصيان أمامها في بازيليك القديس بطرس. وكانت تعطي الفقراء عملة واحدة لكل

<sup>١٢٥</sup> ٢كو ١٢: ١٠.

<sup>١٢٦</sup> ٢كو ١٢: ٧.

<sup>١٢٧</sup> مز ٩٧: ٨.

<sup>١٢٨</sup> أي ٢١: ١.

<sup>١٢٩</sup> تي ٦: ٧.

<sup>١٣٠</sup> مت ٦: ٢.

<sup>١٣١</sup> Love feast: في الكنيسة الأولى الإفخارستيا كانت تسبق وليمة الأغابي التي فيها يتشارك الجميع في الطعام ويجلسون معًا ويأكلون ثم تنتهي بالتسبيح والصلوات.

## الخطابات

شخص بيدها شخصياً، حتى تُحسب بهذا أكثر تديناً. وفي غضون ذلك وكما هو متوقع حدث أن امرأة عجوز أعادت الكرة وجرت إلى الأمام لكي تأخذ قطعة أخرى من النقود. وحينما جاء دورها ثانية لم تأخذ عملة بل لطمه قاسية كافية لتسحب الدم من عروقها جزاء جرمها الشديد!

”مَحَبَّةَ الْمَالِ أَضْرُ نِكْرَ نَشْرُورٍ“<sup>٩٣٠</sup> وبولس الرسول تكلم عن الطمع على أنه عبادة أوثان.<sup>٩٣١</sup> ”اَضْبُوا أَوْلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ وَبِرِّهٖ، وَهَذِهِ كُلُّهَا تَزَادُ لَكُمْ.“<sup>٩٣٢</sup> ان الرب لا يسمح أبداً للنفس البارة أن تموت من الجوع، ”أَيْضًا كُنْتُ فَتَى وَقَدْ شِخْتُ وَلَمْ أَرِ صَدِيقًا تُحْيِي عَنْهُ وَلَا ذُرِّيَّةً لَهُ تَلْتَمِسُ حُبْرًا“<sup>٩٣٥</sup>

إيليا أُطعم بواسطة الغربان التي كانت تعوله.<sup>٩٣٦</sup> وأرملة صدقة صيدا والتي هي وابنها كانا يتوقعان الموت في نفس الليلة، ظلت جائعة لتطعم النبي، والذي جاء لكي يُطعم أصبح هو الذي يُطعم. فبمعجزة ملاء الأوعية الفارغة.<sup>٩٣٧</sup>

القديس بطرس قال: ”لَيْسَ لِي فِضَّةٌ وَلَا ذَهَبٌ وَلَكِنِ الَّذِي لِي فَيَايَاهُ أُعْطِيكَ: بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ قُمْ وَامْشِ“<sup>٩٣٨</sup> أما الآن فيقولون بأفعالهم لا بكلماتهم: ليس لي ايمان ولا شفقة، ولكن الذي لي - الذهب والفضة - فإياه أيضاً لن أعطيك!

”إِنْ كَانَ لَنَا قُوَّةٌ وَكِسُوءَةٌ فَلَنَكْتَفِ بِهِمَا.“<sup>٩٣٩</sup> استمعي إلى صلاة يعقوب

<sup>٩٣٢</sup> اتي ٦: ١٠

<sup>٩٣٣</sup> كو ٣: ٥

<sup>٩٣٤</sup> مت ٦: ٢٣

<sup>٩٣٥</sup> مر ٣٧: ٢٥

<sup>٩٣٦</sup> امل ١٧: ٦٤

<sup>٩٣٧</sup> امل ١٧: ٩ - ١٦

<sup>٩٣٨</sup> أع ٣: ٦

<sup>٩٣٩</sup> اتي ٦: ٨

الذي قال: "إِنْ كَانَ اللَّهُ مَعِي وَحَفِظَنِي فِي هَذَا الطَّرِيقِ الَّذِي أَنَا سَائِرٌ فِيهِ وَأَعْطَانِي حُبْرًا لِأَكُلَ وَثِيابًا لِأَلْبَسَ وَرَجَعْتُ بِسَلَامٍ إِلَى بَيْتِ أَبِي يَكُونُ الرَّبُّ لِي إِلَهًا"<sup>٩٤٠</sup> فهو وإن كان قد صلى فقط من أجل الضروريات، لكنه بعد ٢٠ سنة عاد إلى أرض كنعان بغنى كثير وأولاد أكثر.<sup>٩٤١</sup> عديدة هي الآيات الموجودة في الوحي الإلهي التي تعلم الإنسان أن: "انظروا وَحَفِّظُوا مِنْ الطَّمَعِ"<sup>٩٤٢</sup>

(٣٣)

وبما أنني قد تطرقت إلى هذا الموضوع - الذي يحتاج منا إلى رسالة كاملة إن شاء الرب وعشنا - سوف أروي لكم ما حدث منذ فترة ليست بعيدة في نتريا.<sup>٩٤٣</sup> كان هناك أخ راهب أكثر بجللاً من الجشع والطماع. لم يضع أمام عينيه أن السيد قد بيع بثلاثين من الفضة.<sup>٩٤٤</sup> عند موته ترك وراءه مائة قطعة من الذهب كسبها من نسج الكتان. فعقد الرهبان مجمعا وكان هناك حوالي خمسة آلاف راهب يعيشون في قلالي متفرقة في المنطقة، ليتشاوروا ماذا يفعلون بتلك القطع الذهبية. فقال البعض إنها يجب أن توزع على الفقراء، والبعض الآخر قال إنها يجب أن تعطى للكنيسة. وآخرون قالوا، تعطى لأقارب المتوفي ولكن مكاريوس وبموا وإيسيدوروس والآخرون المعتبرون آباء تكلموا بالروح القدس، وقرروا أن يُدفن المال مع صاحبه قائلين: "لِتَكُنْ فِضَّتُكَ مَعَكَ لِلْهَلَاكِ"<sup>٩٤٥</sup> ولم يكن هذا القرار

<sup>٩٤٠</sup> تك ٢٨: ٢٠ - ٢١

<sup>٩٤١</sup> تك ٣٣: ١٠، ٥٠

<sup>٩٤٢</sup> لو ١٢: ١٥.

<sup>٩٤٣</sup> نتريا منطقة كانت عامرة بالرهبان بجوار برية شهيت. من أشهر قديسيها الأنبا آمون.

<sup>٩٤٤</sup> (مت ٢٦: ١٥)

<sup>٩٤٥</sup> (أع ٨: ٢٠)

## الخطابات

قاسياً، فمنذ ذلك الحين صار خوف عظيم في كل أرض مصر، وأصبحت الآن جريمة أن يترك أحد الرهبان خلفه قرشاً واحداً.

(٣٤)

وبما أنني ذكرت الرهبان وأنا أعلم أنك تحبين سماع الأشياء مقدسة اصغي إلى قليلاً. هناك في مصر ثلاث أنواع من الرهبان. النوع الأول (الكنيويون) رهبان حياة الشركة، وتدعى بالـنصرية نومية - وسر (Sauses)، وهم أناس يعيشون في حياة مشتركة. والنوع الثاني الكوريت أي المتوحدون الذين يعيشون في الصحراء كل واحد بمفرده. ودعوا هكذا لأنهم انسحبوا من المجتمع (Withdraw = anacorein). والنوع الثالث يدعى ريموبوث (remoboth)<sup>١٦٦</sup> وهو نوع متدنٍ جداً وغير معتبر، ينتشر بصورة خاصة في إيبارشيتي (بانونيا أو سوريا) وعلى الأقل فهو موطن نشأتها. هؤلاء يعيشون معاً اثنين أو ثلاثة ونادراً في مجموعات أكبر. ولا يتقيدون بأي قوانين بل يفعلون ما يحلو لهم. جزء الأنصبة التي يكسبونها يجمعونها في صندوق مال مشترك، يُنفق منه على غذاء على الجميع، وفي أغلب الحالات يقيمون في المدن أو الحصون، ولأن المقدس عندهم هو إتيقان الصنعة وليس نفوسهم، لذلك فكل شيء يبيعونه يكون غالباً جداً. ودائماً ما يتشاجرون لأنهم لا يرغبون أثناء تقديم الطعام أن يكونوا خاضعين بعضهم لبعض. وفي الحقيقة هم يتنافسون مع بعضهم البعض في الصوم، جاعلين ما هو مفروض أن يكون شأناً شخصياً أو في الخفاء، مادة للتنافس والانتصار. وفي كل الأشياء هم يهتمون بالتظاهر. أكمامهم مرخية واحذيتهم منتفخة وثيابهم أخشن ثياب. وهم دائماً إما حزاني وإما يزورون العذارى،

<sup>١٦٦</sup> Remoboth: لا يعيشون حسب قانون موحد ولكن يتجمعون في مجموعات صغيرة (اثنين أو ثلاثة ونادراً أكثر) في أماكن شعبية ويعملون حرفيين ويستغلون اسمهم وتقواهم في الربح أكثر. يوحنا كاسيان أعطى صورة سيئة عنهم.



وإما يستهزئون بالإكليروس، وحينما يأتي العيد يصابون بالتخمة من كثرة الأكل.

(٣٥)

بعد أن تخلصنا من مثل هؤلاء كما من أوبئة كثيرة. لنأتي إلى النوع الأغلب والأوسع انتشاراً من الرهينة، وهم رهبان الشركة الذين يعيشون معاً (الكينوييون). الجوهر الأساسي الذي تقوم عليه هذه النوعية من الرهينة هو طاعة الرؤساء مهما قالوا، وهم مقسمون إلى مجموعات مكونة من عشرة أفراد، ومجموعات مكونة من مئات، أب المجموعة هو رئيس التسعة الباقين من العشرة، ورئيس المائة تحت أمره عشرة رؤساء مجموعات العشرات، يعيشون في قلالي منفصلة عن بعضها البعض، وبحسب قوانينهم لا يقدر راهب أن يزور راهب آخر قبل الساعة التاسعة من النهار، ماعدا الرؤساء الذين ذكرناهم وعملهم هو إراحة الذين تتعبهم أفكارهم بكلمات هادئة ملطفة. وبعد الساعة التاسعة يجتمعون ويرنمون سوياً. ويقرأون الأسفار الإلهية بحسب ما هو معتاد وبعد ذلك عندما تنتهي الصلوات ويجلس الجميع، يقوم من يسمى الأب في وسطهم، ويبدأ في شرح قراءات اليوم، وبينما هو يتكلم يكون الصمت عميقاً، لا يجروء أحد أن ينظر إلى الذي يجواره أو حتى يتنحج. والثناء على المتكلم يكون بكاء السامعين، دموعهم تنزل بصمت على خدودهم، ولا شهقة واحدة تهرب من بين شفتي أحد. وحينما يبدأ الأب بالكلام عن ملكوت المسيح والنعم المستقبلية والمجد الآتي، يقول كل سامع في نفسه بتلهف وخيف وعيونه ناظرة إلى أعلى: "لَيْتَ لِي جَنَاحًا كَالْحَمَامَةِ فَأَطِيرَ وَأَسْتَرِيحُ!"<sup>٩٧</sup> وبعدما ينتهي الاجتماع، تذهب كل

## الخطابات

مجموعة مع أبيها إلى مائدتها، وكل مجموعة تأخذ دورها أسبوعياً في خدمة موائد الآخرين. لا ضوضاء تحدث أثناء الأكل، ولا يتكلم أحد أثناء تدوير الطعام. والخبز والخضار من عملهم وزرعهم. والتوبير نوحية هي منح النبيذ لا يعطى إلا لكبار السن الذين مع المبتدئين هم ضعه مختلف. معد لهم خصيصاً لإصلاح آثار الشيخوخة ويحفظ الأحداث من الضعف السابق لأوانه. حينما ينتهي الأكل يقفون معا وبعد الترتيل يذهبون إلى مساكنهم. وهناك يكلم كل واحد رفيقه هكذا: هل لاحظت أي نعمة وأية همة كان فيها فلان وأي هدوء وقار كان يسير به.<sup>٩٨</sup> إن كان هناك ضعيف بينهم يريحونه، إن كان أحد متوهج بمحبة الله يشجعون حماسة أكثر فأكثر. وفي المساء بجانب الصلوات الليلية الجماعية، يحرصون على أن يكون كل أخ ساهراً يصلي في قلايته، فيطوفون على القلاي واحد واحد ويضعون آذانهم على الباب ليتحققوا ماذا يفعل الساكن فيها، وإذا وجدوا راهب كسلان. لا يشجبوه لكنهم يخفون ما قد كشفوه، ويزورونه على نحو متكرر حاثين إياه على الصلاة بدون أن يجبروه أو يرغموه.

كل يوم عمل له إنتاج يسلم إلى الرئيس ويقدم الناتج إلى الربيتة. والربيتة في كل شهر يقدم حساباً دقيقاً للأب العام، هو أيضاً يذوق الطعام عندما يطبخ. وكما أنه غير مسموح أن يقول أحد أنه بلا فراش جديدة أو عباءة أو سترة، فالرئيس عليه أن يوفر كل هذا دون أن يطلبوا لكيلا ينقصهم شيء. وفي حالة مرض راهب ينقلونه إلى قلاية أكبر، ويعتنى به جيداً بواسطة رهبان كبار السن، وبهذا لا يفتقد راحة المدن أو حنان الأمومة.

<sup>٩٨</sup> كنوع من تبيكيت النفس lamentation.

في يوم الرب (كل أحد) يقضون كل اليوم في الصلاة والقراءة، وفي الواقع حينما ينتهون من مهامهم يكون هذا هو عملهم المعتاد. فكل يوم يحفظون عن ظهر قلب جزء من الأسفار الإلهية. ويراعون الأصوام نفسها على مدار السنة لكن الأربعين المقدسة يُسمح لهم بأن يقضوها بصرامة ونسك أكثر.

في أول أسبوع بعد عيد العنصرة، يبدلون وجبة العشاء بوجبة في الظهرية وهذا يتوافق مع تقليد الكنيسة وفي الوقت ذاته يراعى تجنب التخمّة بامتلاء البطن مرتين بالطعام في اليوم. هناك وصف مشابه للأسينيين<sup>٩٩</sup> كتبه فيلو<sup>١٠٠</sup> مُقلد أفلاطون. أيضًا عند يوسيفيوس<sup>١٠١</sup> اللاوي اليوناني في روايته عن سبي اليهود.

(٣٦)

وعلى الرغم من أن موضوعي هو عن العذارى، إلا أنني تكلمت كثيرًا عن الرهبان. لذا سأنتقل إلى النوع الثالث من الرهبنة وهو 'المتوحدون' anchorites أي الراهب الذي يخرج من الدير إلى البراري بلا أي شيء ما خلا الخبز والملح.

الأنبا بولا أول من عاش هذه الحياة، والأنبا أنطونيوس هو من جعلها مشهورة، وعند الرجوع إلى الخلف نجد أن يوحنا المعمدان هو أول من وضع نموذجًا لها. وإرميا النبي أعطى وصفًا جيدًا لهذه الحياة عندما قال: "جَيِّدٌ لِلرَّجُلِ أَنْ يَحْمِلَ التَّيْرَ فِي صَبَاهُ. يَجْلِسُ وَحَدَهُ وَيَسْكُتُ لِأَنَّهُ قَدْ وَضَعَهُ عَلَيْهِ

<sup>٩٩</sup> الأسينيين طائفة من طوائف اليهود انعزلت عن المدن وهجرت العبادة في الهيكل. ومخطوطات وادي قمران تتكلم عنهم.

<sup>١٠٠</sup> انظر خطاب ٧٠.

<sup>١٠١</sup> يوسيفيوس 'حروب اليهود'.

## الخطابات

يُعْطِي حَدَّهُ لِضَارِبِهِ. يَشْبَعُ عَارًا. لِأَنَّ السَّيِّدَ لَا يَرْفُضُ إِلَى الْأَبَدِ.<sup>٩٥٢</sup> إن جهاد المتوحدين وحياتهم - في الجسد إنما ليست للجسد - إذا شئت سوف أتكلم عنها في وقت لاحق. لكن يجب أن أعود إلى موضوع الطمع والذي تركته للكلام عن الرهبان الذين إذا وضعتي سيرتهم أمام عينيك سوف تحتقرين ليس الذهب والفضة فقط بل السماء والأرض وكل ما فيهما متحدة بالمسيح و مترنمة قائلة: "نصيبني هو الربُّ قَالَتْ نَفْسِي."<sup>٩٥٣</sup>

(٣٧)

فضلاً عن ذلك، وعلى الرغم من أن الرسول أمرنا قائلاً: "صَلُّوا بِلَا انْقِطَاعٍ."<sup>٩٥٤</sup> وعلى الرغم أيضاً من أن نوم القديسين الهادئ هو صلاة، إلا أنه يجب أن تكون لنا ساعات محددة ثابتة للصلاة. حتى لو انشغلنا بالأعمال فالوقت يذكرنا بواجباتنا. ومن المعروف أن صلوات السواعي هي؛ الثالثة، والسادسة، والتاسعة، والغروب والمساء. يجب ألا نبدأ أي وجبة بدون صلاة. وقبل مغادرة المائدة نقدم الشكر للخالق. ويجب أن نقوم مرتين أو ثلاث مرات في الليل. وتتلوا بعض أجزاء من الأسفار الإلهية التي نحفظها عن ظهر قلب. حينما نغادر مسكننا تكون الصلاة هي درعنا، وعندما نعود من الشارع يجب أن نصلي قبل أن نجلس، ولا نعطي الجسد الواهن راحة قبل أن تتغذى الروح. في كل عمل نعمله وكل خطوة نخطوها، نعود أيدينا أن ترشم علامة الصليب.

لا تتكلمي كلاماً ضد أحد، ولا تسيئي إلى ابن أمك.<sup>٩٥٥</sup> "مَنْ أَنْتَ الَّذِي

<sup>٩٥٢</sup> مرثي ٣: ٢٧ - ٢٨، ٣٠ - ٣١.

<sup>٩٥٣</sup> مرثي ٣: ٢٤.

<sup>٩٥٤</sup> اتس ١٧: ٥.

<sup>٩٥٥</sup> مر ٢٠: ٥٠.

تَدِينُ عَبْدَ غَيْرِكَ؟ هُوَ لِمَوْلَاهُ يَثُبْتُ أَوْ يَسْقُضُ. وَلَكِنَّهُ سَيُثَبَّتُ لِأَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ أَنْ يُثَبِّتَهُ.<sup>٩٥٦</sup> إذا صمت يومين أو ثلاثة انقطاعي، لا تحسبن نفسك أفضل من الذين لم يصمن. أنت تصومين ومع ذلك تغضبين، أما هي تأكل ولكن تحمل على وجهها ابتسامة رضا. أنت تنفثين عن اضطرابك وجوعك بالمشاجرات، وهي تأكل طعامها باعتدال وتعطي الشكر لله.<sup>٩٥٧</sup>

فإشعياء يصرخ يومياً ويقول: "أَمِثْلُ هَذَا يَكُونُ صَوْمٌ أَخْتَارُهُ؟ قال الرب"<sup>٩٥٨</sup> "وَأَيْضًا "هَا إِنَّكُمْ فِي يَوْمِ صَوْمِكُمْ تُوجِدُونَ مَسْرَةً وَيَكُلُّ أَشْغَالِكُمْ تُسَخَّرُونَ. هَا إِنَّكُمْ لِلْخُصُومَةِ وَالنِّزَاجِ تَصُومُونَ وَلِتَضْرِبُوا بِلِكْمَةِ الشَّرِّ. لَسْتُمْ تَصُومُونَ كَمَا الْيَوْمَ لِتَسْمِيعِ صَوْتِكُمْ فِي الْعَلَاءِ. أَمِثْلُ هَذَا يَكُونُ صَوْمٌ أَخْتَارُهُ؟"<sup>٩٥٩</sup> أي صومٌ لهذا الذي ليس فقط تغرب الشمس على غضبه، بل تتغير أوجه القمر بينما يظل غضبه كما هو دون تغيير!

(٣٨)

لاحظي نفسك وافرحي بنموك لا بسقوط الأخريات. بعض النساء ينشغلن بالجسديات، يحسبن دخولهن ومصاريهفن اليومية. هؤلاء نماذج غير مناسبة لك. يهوذا كان خائناً ولكن باقي التلاميذ لم يجيدوا. فيجلس<sup>٩٦٠</sup> والإسكندر انكسرت بهما السفينة، لكن الباقي استمروا في درب الإيمان إلى نهايته.

لا تقولي فلانة تستمتع بما تمتلكه وهي مبجلة عند الناس، إختوها

<sup>٩٥٦</sup> رو ١٤: ٥.

<sup>٩٥٧</sup> رو ١٤: ٦.

<sup>٩٥٨</sup> إيش ٥٨: ٥.

<sup>٩٥٩</sup> إيش ٥٨: ٣، ٥٤.

<sup>٩٦٠</sup> تي ١: ١٥، تي ١: ١٩، تي ٢: ١٩.

## الخطابات

وأخواتها يأتون لزيارتها، هل بهذا لم تعد راهبة؟

أولاً: كونها راهبه هو أمر مشكوك فيه برغم أن "الإِنْسَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْعَيْنَيْنِ، وَأَمَّا الرَّبُّ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْقَلْبِ."<sup>٩٦١</sup> أيضاً، يمكن أن تكون عذراء بالجسد وليس بالروح، فبحسب الرسول نجد أن العذراء الحقيقية هي: "عَيْرُ الْمُتَزَوِّجَةِ تَهْتَمُّ فِي مَا لِلرَّبِّ لِتَكُونَ مُقَدَّسَةً جَسَدًا وَرُوحًا."<sup>٩٦٢</sup> في النهاية دعيها تفرح بطريقتها الخاصة، متجاهلة قول الرسول، وتعيش في المسرة بالمقننيات، وأما أنت وأنا فيجب ان نتبع أمثلة أفضل.

ضعي أمام عينيك القديسة مريم، والتي بسبب نقاوتها الفائقة أصبحت تليق بأن تكون أم الرب، عندما جاءها جبرائيل الملاك في هيئة إنسان وقال لها: "سَلَامٌ لَكَ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! الرَّبُّ مَعَكَ."<sup>٩٦٣</sup> اضطربت ولم تستطع أن ترد لأنها لم تتلق أبداً تحية من أي رجل من قبل، ولكن عندما علمت من هو تكلمت، فمن تخاف ان تتكلم مع رجل تكلمت مع ملاك بلا خوف.

والآن، أنت أيضاً يجب أن تكوني أما للرب، حُذِي لِتَنْفِسِكَ لَوْحًا كَبِيرًا وَاكْتُبِي عَلَيْهِ بِقَلَمٍ إِنْسَانٍ: لِمَهَيَّرَ سَلَالَ حَاشَ بَرَ.<sup>٩٦٤</sup> وعندما اقتربت من النبيه وحبلت في البطن وولدت ابناً،<sup>٩٦٥</sup> ساعتها قولي: "يَا رَبُّ. حَبَلْنَا بِمَخَافَتِكَ تَلَوَيْنَا وَكَلَدْنَا رُوحَ خَلَاصِكَ الَّتِي صَوَّرْنَاهَا عَلَى الْإَرْضِ."<sup>٩٦٦</sup>

٩٦١ اصم ٧:١٦

٩٦٢ ١كو ٧:٣٤

٩٦٣ لوقا: ٢٨

<sup>٩٦٤</sup> إش ١:٨ الاسم يعني: يعجل بالغبية، يسرع إلى النهب والمقصود هنا هو الرب الذي يملك على الإنسان.

<sup>٩٦٥</sup> إش ٣:٨ وقد تشير النبيه هنا إلى كلمة الوحي التي حينما تقرب إليها يحل المسيح بكلمته في أحشاءنا.

<sup>٩٦٦</sup> إش ٢٦: ١٨ [فولجانا].

وعندها سيحبك ابنك قائلاً: "هَا أُمِّي وَإِخْوَتِي."<sup>٩٦٧</sup> والذي نقشت اسمه حديثاً على لوح قلبك، وكُتِبَ بقلم على سطح قلبك المجدد<sup>٩٦٨</sup> بعد أن يسترد الغنائم من العدو ويجرد الرياسات والسلطين ويشهرهم جهاراً مسمرًا اياهم بالصليب<sup>٩٦٩</sup> وبعد أن ولدته بمعجزه، سينمو إلى أن يصبح رجلاً يحفظك ويرعاك، لا كأمه فيما بعد، بل كعروسته. فلكي تصبحي مثل الشهداء أو الرسل أو المسيح نفسه يجب ان تتجازي جهاد شديد ولكنه سوف يأتي ومعه جزاء عظيم.

كل هذا الجهاد له فائدة فقط إن كان في نطاق الكنيسة.<sup>٩٧٠</sup> فيجب أن نصنع الفصح في بيت واحد،<sup>٩٧١</sup> يجب أن ندخل الفلك مع نوح،<sup>٩٧٢</sup> يجب أن نحتمي في بيت راحب من سقوط أسوار اريحا.<sup>٩٧٣</sup>

أما الرهبات اللواتي يقال إنهن من أتباع الهراطقة ومن ضمن أتباع ماني المضل، فلا يحسن راهبات بل عاهرات. كيف يحافظن على طهارة شيء (اجسادهن) من صنع عدوهن؟! إذا كان كما يدعي المانيون أن الشيطان هو صانع الجسد؟! لكن بسبب أنهم يعلمن أن اسم الراهبة يعطي كرامة للشخص لذلك صرن راهبات. هن ذئاب في ثياب حملان<sup>٩٧٤</sup> مثلهن مثل ضد المسيح الذي يدعي أنه المسيح، هؤلاء الراهبات ينتحلن صفة مكرمة لكي يخفين حياة مخزية.

<sup>٩٦٧</sup> مت ٤٩:١٢.

<sup>٩٦٨</sup> ٣:٧م، ٣:٣١ ا، ٣٣:٣١.

<sup>٩٦٩</sup> ٢ كو ١٥:١٤.

<sup>٩٧٠</sup> مثل مبدأ القديس كبريانوس: [لا خلاص خارج الكنيسة].

<sup>٩٧١</sup> خر ٤٦:١٢.

<sup>٩٧٢</sup> ١بط ٣:٢٠ - ٤١.

<sup>٩٧٣</sup> يع ٢٥:٢٩.

<sup>٩٧٤</sup> مت ١٥:٧.

## الخطابات

افرحي يا أختي، وتهلي يا ابنتي، بتهجي يا راهبتي، لأنك قررت أن تكوني راهبة حقيقية، في حين أن كثيرات بنفاق يتظاهرن بأنهن كذلك.

(٣٩)

هذه الأشياء التي أوضحتها هنا تظهر صعوبة على من لا يحب المسيح. ولكن بالنسبة إلى كل من يعتبر عظمة هذا العالم نفاية، وينظر إلى كل ما تحت الشمس كأشياء باطلة كي يفوز بالمسيح،<sup>٩٧٥</sup> من مات في المسيح وقام معه،<sup>٩٧٦</sup> وصلب الجسد مع الاهواء والشهوات،<sup>٩٧٧</sup> سوف يصيح بجرأة قائلاً: "مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشَدَّةُ أُمِّ ضَيْقٍ أَمْ اضْطِهَادُ أُمِّ جُوعٍ أَمْ غُرْبٍ أَمْ خَطَرٍ أَمْ سَيْفٍ؟"<sup>٩٧٨</sup> أَيْضًا "إِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لَا مَوْتَ وَلَا حَيَاةَ وَلَا مَلَائِكَةَ وَلَا رُؤْسَاءَ وَلَا قُوَّاتٍ وَلَا أُمُورَ حَاضِرَةً وَلَا مُسْتَقْبَلَةً وَلَا عُلوَّ وَلَا عُمُقَ وَلَا خَلِيقَةَ أُخْرَى تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبَّنَا."<sup>٩٧٩</sup>

لأنه من أجل خلاصنا ابن الله صار إبان الإنسان، وانتظر تسعة أشهر في الرحم حتى الولادة، واحتمل كل العذابات البشعة وبعد ذلك تخضب جسده بالدم،<sup>٩٨٠</sup> ولُفَّ في أكفان وطُيَّبَ بجنان. الذي يغلِق على العالم كله بكفيه<sup>٩٨١</sup> احتواه مذود صغير. هذا فضلاً عن الثلاثين عامًا التي امضاها في سرية مكتفياً بفقر والديه.<sup>٩٨٢</sup> عندما جُلِدَ احتفظ بسكينته، وعندما صُلب صُلِّيَ

<sup>٩٧٥</sup> في ٨:٣.

<sup>٩٧٦</sup> رو٤:٦.

<sup>٩٧٧</sup> غل ٢٤:٥.

<sup>٩٧٨</sup> رو٨:٣٥.

<sup>٩٧٩</sup> رو ٨: ٣٨ - ٣٩.

<sup>٩٨٠</sup> اش ٦٣: ٢ - ٣.

<sup>٩٨١</sup> مز ٩٥: ٥٤، ٥٤: ١٥، ١٢: ٤٠.

<sup>٩٨٢</sup> لو ٢: ٥١ - ٥٢.



من أجل صالبيه. "مَاذَا أَرُدُّ لِلرَّبِّ مِنْ أَجْلِ كُلِّ حَسَنَاتِي لِي؟ كَأَسَّ الْخَلَاصِ أَتَنَاوَلُ وَبِاسْمِ الرَّبِّ أَدْعُو... عَزِيزٌ فِي عَيْنِي الرَّبُّ مَوْتُ أَثَقِيَّائِهِ."<sup>٩٨٣</sup> الرد اللائق اللائق الوحيد له هو أن نقدّم الدم عوض الدم، وكما إننا افتدينا بدم المسيح لنبذل حياتنا ودمنا بسرور من أجل فادينا.

أي قديس نال أكليلاً دون أن يجاهد أولاً لأجله؟ هاييل البار قُتِل، وإبراهيم تعرض لفقدان زوجته. أنا لأحب أن أطيل بإفراط في هذا. ابجثي بنفسك، وسوف تجدي أن كل القديسين قد عانوا بشدة؛ سليمان فقط هو من عاش في رفاهية، وربما لأجل ذلك سقط.

فإن كان "الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، وَيَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ"<sup>٩٨٤</sup> فأيهما أفضل؛ أن نقاتل لفترة قصيرة، ونرفع أوتاداً لبناء أسوار، ونحمل السلاح، وننهبك تحت ثقل التروس، ثم بعد ذلك نحتفل في النهاية كمنتصرين، أم نبقي عبداً إلى الأبد لأننا فقط لم نستطع أن نتحمل لساعة واحدة؟<sup>٩٨٥</sup>

(٤٠)

لا شيء عسير على الحب. لا توجد مهمة صعبة على المثابر. تأملي في كل ما تحمله يعقوب لأجل راحيل، الزوجة التي وُعد بها. فالكتاب يقول: "فَخَدَمَ يَعْقُوبُ بِرَاحِيلَ سَبْعَ سِنِينَ وَكَانَتْ فِي عَيْنَيْهِ كَأَيَّامٍ قَلِيلَةٍ بِسَبَبِ مَحَبَّتِهِ لَهَا."<sup>٩٨٦</sup> بعد هذا هو نفسه أخبرنا عما عاناها: "كُنْتُ فِي التَّهَارِ يَا كُفْنِي الْحَرُّ وَفِي اللَّيْلِ الْجَلِيدِ وَطَارَ نَوْمِي مِنْ عَيْنِي."<sup>٩٨٧</sup>

<sup>٩٨٣</sup> مز ١١٦: ١٠، ١٣، ١٥.

<sup>٩٨٤</sup> عب ١٢: ٦.

<sup>٩٨٥</sup> مت ٢٦: ٤.

<sup>٩٨٦</sup> تك ٢٩: ٢٠.

<sup>٩٨٧</sup> تك ٣١: ٤٠.

لذلك يجب أن نحب المسيح، ودائمًا نترجى أحضانه، وعندها كل شيء عسير سيبدو يسيرًا، وكل ما هو بعيد يحسب قريبًا وفي مرمى سهامه،<sup>٩٨٨</sup> سوف نقول كل لحظة: ”ويل لي فإن غربتي قد طالت عليّ“<sup>٩٨٩</sup> لأن ”آلام هذا الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا.“<sup>٩٩٠</sup> ولأن ”الضيق ينشئ صبرًا والصبر تركية والتزكية رجاء والرجاء لن يخزي.“<sup>٩٩١</sup> فإن وجدت أن طريقك يبدو صعب التحمل، إقراي الرسالة الثانية إلى كورنثوس: ”في الأتعب أكثر. في الضربات أوفر. في السجون أكثر. في الميئات مرارًا كثيرة. من اليهود خمس مرات قبلت أربعين جلدة إلا واحدة. ثلاث مرات ضربت بالعصي. مرة رجمت. ثلاث مرات انكسرت بي السفينة. ليلاً ونهارًا قضيت في العمق. بأسفار مرارًا كثيرة. بأخطار سيول. بأخطار لصوص. بأخطار من جنسي. بأخطار من الأمم. بأخطار في المدينة. بأخطار في البرية. بأخطار في البحر. بأخطار من إخوة كذبة. في تعب وكد. في أسفار مرارًا كثيرة. في جوع وعطش. في أضوام مرارًا كثيرة. في برد وعري.“<sup>٩٩٢</sup> أي منا يمكن أن يدعي أنه تحمل جزء ولو صغير من هذه الأتعاب التي سردت؟! إلا أن هذه جعلته بعد ذلك يقول بثقة: ”قد جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعي، حفظت الإيمان، وأخيرًا قد وُضع لي إكليل البر، الذي يهبه لي في ذلك اليوم الربّ الديان العادل.“<sup>٩٩٣</sup> أما نحن تكفهر وجوهنا لو كان طعامنا أقل شهيه من المعتاد، وإذا شربنا نبيدًا محققًا بالماء نفتخر بأننا صنعنا معروفًا للرب! وإذا قُدم لنا الماء فاترًا نكسر الكوب ونقلب المائدة ونجلد الخادم على جرمه هذا

<sup>٩٨٨</sup> مز ٣٨: ٢.

<sup>٩٨٩</sup> مز ١٢٠: ٥.

<sup>٩٩٠</sup> رو ٨: ١٨.

<sup>٩٩١</sup> رو ٣: ٥ - ٤.

<sup>٩٩٢</sup> كو ١١: ٢٣-٢٧.

<sup>٩٩٣</sup> تي ٤: ٤-٧.

حتى ينزف دمًا.

”مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ يُغْصَبُ، وَالْعَاصِبُونَ يَحْتَطِفُونَهُ.“<sup>٩٩٥</sup> لذا إن لم نستخدم القوة (الجهاد) لن نحصل على ملكوت السموات، إذا لم نطرق بالحاح، لن نأخذ الحبز السري.<sup>٩٩٥</sup> أليس هذا اغتصابًا، في نظرك، أن يريد بشري أن يصير كالله ويصعد إلى درجات سقط منها ملائكة<sup>٩٩٦</sup> بل وأيضًا يدين ملائكة.<sup>٩٩٧</sup>

(٤١)

أتوسل اليك، اخرجني من سجنك لبرهة، وارسمي أمام عينيك جزءا مشقاتك الحاضرة، فهي مكافأة ”لَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ.“<sup>٩٩٨</sup> ما أجد هذا اليوم، عندما تأتي القديسة مريم أم الرب للقائك بصحبة خورس العذارى، فعندما جازوا البحر الأحمر وغرق فرعون ومركباته وقواته، أخذت مريم أخت هارون ”الدَّفَّ بِيَدَيْهَا وَخَرَجَتْ جَمِيعُ النِّسَاءِ وَرَأَتْهَا بِدُفُوفٍ وَرَفِصٍ. وَأَجَابَتْهُمَ مَرْيَمُ: «رَبِّمُوا لِلرَّبِّ فَإِنَّهُ قَدْ تَعَظَّمَ! الْفَرَسَ وَرَاكِبَهُ طَرَحَهُمَا فِي الْبَحْرِ!»<sup>٩٩٩</sup>

ثم ستطير تكلا<sup>١٠٠٠</sup> من الفرح وتحتضنك. حينها عريسك نفسه سيأتي إليك ويقول: ”فُؤِي يَا حَبِيبَتِي يَا جَمِيلَتِي وَتَعَالَى. لِأَنَّ الشَّتَاءَ قَدْ مَضَى وَالْمَطَرُ مَرَّ وَزَالَ.“<sup>١٠٠١</sup> والملائكة ستقول في تعجب: ”مَنْ هِيَ الْمُسْرِفَةُ مِثْلَ

<sup>٩٩٥</sup> مت ١١: ١٢.

<sup>٩٩٥</sup> لوقا ١١: ٥-٨.

<sup>٩٩٦</sup> إيش ١٤: ١٢.

<sup>٩٩٧</sup> ١ كو ٦: ٣.

<sup>٩٩٨</sup> ١ كو ٤: ٩.

<sup>٩٩٩</sup> خر ١٥: ٢٠ - ٢١.

<sup>١٠٠٠</sup> تكلا: عذراء من أيقونية آمنت على يد بولس الرسول.

<sup>١٠٠١</sup> نش ٤: ١٠ - ١١.

## الخطابات

الصَّبَاحِ جَمِيَّةٌ كَثُفَرِ صَ هِرْزُ كَنْشَمِيسٍ؟<sup>١٠٢</sup> البنات سوف يرينك وبيباركنك،  
أجل، والملكات سوف تبجحك والسراري ستمدحنك.<sup>١٠٣</sup>

بعد ذلك مجموعة أخرى من النساء العفيفات سيقابلنك، ساره مع  
المتزوجات، وحنه بنت فنوثيل مع الأرامل، في مجموعة سوف تري أمك  
الطبيعية، وفي الأخرى سوف ترين أمك الروحية.<sup>١٠٤</sup> الأولى تفرح لأنها  
أنجبتك، والثانية تفتخر لأنها علمتك، ثم سيأتي الرب راكبًا على أتان،<sup>١٠٥</sup>  
ويدخل أورشليم السماوية. حينها سيرفع الأطفال، الذين قال عنهم المخلص  
في إشعياء "هَأَنَذَا وَالْأَوْلَادُ الَّذِينَ أَعْطَانِيَهُمُ الرَّبُّ،"<sup>١٠٦</sup> أغصان الانتصار  
وسيقولون بضم واحد: "أَوْصَنَا لِابْنِ دَاوُدَ! مُبَارَكُ الْآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! أَوْصَنَا فِي  
الْأَعَالِي!"<sup>١٠٧</sup> ثم بعدها المئة وأربعة وأربعين ألفًا "صَارِيَيْنَ بِالْقِيَارَةِ يَضْرِبُونَ  
بِقِيَارَاتِهِمْ، وَهُمْ يَتَرْتَمُونَ كَتَرْنِيمَةٍ جَدِيدَةٍ أَمَامَ الْعَرْشِ ... وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ  
أَنْ يَتَعَلَّمَ التَّرْنِيمَةَ إِلَّا الْمِئَةُ وَالْأَرْبَعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ أَلْفًا ... هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ لَمْ  
يَتَنَجَّسُوا مَعَ النِّسَاءِ لِأَنَّهُمْ أَظْهَرُوا. هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْخُرُوفَ حَيْثُمَا  
ذَهَبَ."<sup>١٠٨</sup>

فهما حاولت مباهج هذا العالم أن تفتنك، ومهما تري فيه من أبهة  
باطلة، فانقلي بفكرك إلى الفردوس، واختبري الآن ما سوف تكونين فيه.  
وستسمعين عريسك يقول: "اجْعَلِي كَخَاتِمِ عَلَى قَلْبِكَ كَخَاتِمِ عَلَى

<sup>١٠٢</sup> نش ٦: ١.

<sup>١٠٣</sup> نش ٦: ٩.

<sup>١٠٤</sup> باولا، ومارسيللا.

<sup>١٠٥</sup> مت ١: ٢١ - ٩.

<sup>١٠٦</sup> إيش ٨: ١٨.

<sup>١٠٧</sup> مت ٩: ٢١.

<sup>١٠٨</sup> رؤ ١٤: ١ - ٤.

سَاعِدِكَ.<sup>١٠٩</sup>“ حينها تقولين وأنتِ متقوية جسداً وعقلاً بصوت عالٍ: ”مِيَاهُ  
كَثِيرَةٌ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُظْفِرَ الْمَحَبَّةَ وَالسُّبُولَ لَا تَغْمُرُهَا.“<sup>١١٠</sup>

---

<sup>١٠٩</sup> نش ٦:٨.

<sup>١١٠</sup> نش ٧:٨.

## المراجع

- Courcelle, P. *Recherches sur les Confessions de saint Augustin* (Paris: E. de Boccard, 1950).
- Drobner, Hubertus R. *The Fathers of the Church: A Comprehensive Introduction*, trans. Siegfried Schatzmann, Translation edition (Baker Academic, 2016).
- Gribomont, J. *Encyclopedia of the Early Church, Vol. 1*. Edited by A. di Berardino. Trans. A. Walford. Cambridge and New York, 1997.
- Hagendahl, H. *Genesis* 40 (1968).
- Hagendahl, H. and J. H. Waszink. *Reallexikon für Antike und Christentum* 15. Ed. T. Kluster et al. Stuttgart.
- Mierow, Charles Christopher. 33. *Letters of St. Jerome, Vol. 1* (New York, NY: Paulist Press, 1962).
- Nautin, P. *Theologische Realenzyklopädie* 15. Ed. G. Krause and G. Müller.
- Origen, *De Principiis* (1.3.4), ANF Vol. 4.
- Origen, *Homilie in visions Isaiae* 1, 2 PG 13.
- Quasten, J. *Patrology* (4 Vols.; Westminster, Md.: Christian Classics, 1984-1988).
- Wright, F. A. trans., *Jerome: Select Letters*, Reprint edition (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1933).



سلسلة مدرسة الإسكندرية للدراسات المسيحية هي سلسلة من الدراسات والترجمات تلقي بالضوء على جوانب متعددة من الرسالة المسيحية. تتميز تلك السلسلة بالتنوع إذ تعالج العديد من القضايا في مختلف مناحي الحياة المسيحية. يشارك في تلك السلسلة العديد من الدارسين والمتخصصين والمترجمين من الكنيسة القبطية من مختلف الأرجاء والأعمار والتخصصات.

يعد جيروم واحدًا من الأعمدة الأربعة للعقيدة في الكنيسة اللاتينية، وتأثيره هو الأكثر امتدادًا، فبالرغم من أنه ليس مفكرًا مبدعًا كأغسطينوس ولا بطل مثل أمبروسيوس ولا مدبرًا ومبشرًا بالمسيحية مثل غريغوريوس، إلا أن تأثيره فاق تأثيرهم جميعًا؛ وذلك لأن تأثيرهم في العصور الوسطى كان على نطاق ضيق نسبيًا، أما هو فالمؤسسات الرهبانية التي أنشأها، وفكرة تكريم رفات القديسين وزيارة الأماكن المقدسة التي دافع عنها صارت من ملامح الكنيسة طيلة ألف عام. هذا بالإضافة إلى أن ترجمة الفولجاتا التي أنتجها كانت بمثابة الكتاب المقدس الرسمي للمسيحية الغربية حتى وقت الانشقاق البروتستانتي. في نظر اللاهوتيين كانت أهميته في أنه نقل وسجل مستشهدًا بأقوال الآباء أكثر مما كتبه هو بنفسه في اللاهوت. أما بالنسبة لإسهاماته في التاريخ، فصوره الحية عن الأشخاص والأحداث بالرغم من العصر المظلم الذي مر به العالم آنذاك، جعل لكتاباته أهمية لا تقدر بثمن.



مدرسة الإسكندرية